

قصه نبوی



عبدالعزیز محمد الزکی

قصص النبوة
مختصر

يقدم
عبد العزيز محمد الزكي

الناشر : مؤسسة المطبوعات الحديثة

تصدير

يعيب حياتنا الثقافية في الوقت الحاضر أنها تهمل الثقافة الشرقية ، وأقصد بالثقافة الشرقية الثقافة الروحية التي نبتت من مصر وإيران والهند والصين ؛ بينما تتجه بكل قواها الواعية الى الثقافة الغربية ، وتسير في ركابها خشيّة أن تتخلف عن موكب الحضارة .

ويمكن أن نجد لنا عذرا في القرن الماضي لأخذنا من الثقافة الغربية لإحياء حياتنا الفكرية التي أخذها الاستعمار التركي ، ولكن بعد أن أخذنا من الغرب أكثر من قرن ونصف قرن يجب أن نعتمد على مقوماتنا العقلية في نهضة حياتنا الفكرية ، وإننا يجب أن نتوقف عن الأخذ من الغرب ونبدأ في خلق ما يعبر عن أعماق روحنا . فإذا كان لنا أن نأخذ العلم من الغرب فإن جميع الشعوب منذ الأزل تتعاون على تقدم العلم وتطوره وإن العلم ليس له وطن ، وليس الكشف عن أسرار الطبيعة يخص الشرق دون الغرب أو يهيم الغرب دون الشرق ، وإنما يشترك الجميع في البحث عن كنه كل ما يحيط الإنسان من حياة وظواهرات وكلها واحدة لا تتغير في كل زمان ومكان .

وما ينطبق على العلم لا ينطبق على الفن ، فإن لكل وطن فنه الخاص الذي يتميز به لأنه يعبر عن خلجات روح هذا الوطن بالذات . فإذا كان لنا

أن تذوق فنون مخلف الأمم ونظرب لها بما تبعته فينا من مشاعر ، فإنه لا يحق لنا أن نقلدها لأن القوى الخالقة التي ابتدعتها تخالف قوانا الخالقة ، وإذا ما ألزمتنا أنفسنا بمحاكاة فنون الغرب وآدابه فإننا لن نصل الى مرتبة الابتكار وسنظل أبد الأبدى مقلدين ، إلا اذا استوحينا روحنا الخالقة فإننا عندئذ يمكن أن نصل الى مرتبة الابتكار ولذلك يجب أن نحى قوانا الخالقة حتى نسير في طريق الابتكار والابداع وأحسب أن غرس الثقافة الشرقية في عقولنا يعتبر من العوامل الرئيسية لبعث قوانا الخالقة الخاملة .

ولكن ما لنا نهرع بعقولنا وقلوبنا نحو الغرب دون الشرق ..! وما لنا نتهافت على ثقافة الغرب ونهمل ثقافة الشرق ..! وما لنا نبحت عن مثلنا العليا في الحضارة الغربية دون الحضارة الشرقية ...! وما لنا لا نعمل استيراد كل ما يستحدثه الغرب من فنون وآداب وفلسفات ولا نلقى بالا الى ما يستحدثه الشرق ..! ما لنا نطمع في أن نعمل بمحاكاة الغرب الى ما وصل اليه من تقدم ورفق . ..! ولكن كيف نتطلع الى قوة الفكر وسلطان الثقافة ونحن عبيد الغرب نستجدي ثقافته . ..! لم نعمل في تشديد وثاق روحنا بأغلال الثقافة الغربية ونحسول دون إطلاقها في عالم الروح الرحيب الذي نشأت فيه منذ فجر التاريخ وتعودت الحياة بين جنباته بمرور الزمن ..!

إننا نأخذ من الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ولكن ما زال فكرنا على ما هو عليه من تخلف وقصور . ألا يقنعنا ذلك بأن أخذنا

من الثقافة الغربية ومحاكاتها مما طال لن يمكننا من خلق ثقافة أصيلة ، وأنه
آن الأوان لكي نعمل على أن نتحرر من سيطرة الثقافة الغربية على حياتنا
الفكرية كما تحررنا من السيطرة الغربية على حياتنا السياسية والاقتصادية
والعسكرية ..

لا شك في أن مسئولية مغالاتنا في الأخذ من الثقافة الغربية يقع على
عاتق كبار رجال الفكر في العالم العربي الذين أتاحت لهم الفرص توجية
مستقبل الثقافة في الوطن العربي خلال الأجيال الحديثة .

ويهمنا أن نذكر الآن رأيا قديما للدكتور طه حسين عرضه منذ حوالي
ربع قرن في مستهل كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، ويقوم هذا الرأي في
أن العقلية المصرية أقرب الى العقلية اليونانية منها الى العقلية الإيرانية أو العقلية
الهندية أو العقلية الصينية ، مستدلا على ذلك بأنه كان هناك علاقات تجارية
وثقافية بين مصر واليونان تبعد في القدم قدم حضارة كل منها ، كما يطلان
على بحر واحد هو البحر الأبيض المتوسط ؛ بينما لم تقم إلا علاقات سطحية
بين مصر والهند والصين ، ولما غزا الفرس مصر كره المصريون حكمهم
ورحبوا بدخول الإسكندر المقدوني لمصر ليخلصهم من ظلم الفرس وجورهم .
هذا فضلا عن أنه كان لتراث اليونان أثر واضح في نهضة الحضارة الإسلامية
ورقيها . وانتهى الدكتور طه حسين من كل ذلك الى أنه اذا كانت هناك
علاقات جوار ومودة وتعاون ، وروابط تجارية ، وتبادل ثقافي بين مصر

واليونان من قديم الزمن ؛ وأن تراث الفكر الإغريقي استنهض همم العرب
والمسلمين لتكوين حضارتهم فلا يوجد ما يمنع في الوقت الحاضر من أن
تتجه عقولنا نحو الغرب ونستعين بثقافته في بعث نهضتنا الفكرية ...

فكل الأسس التي اعتمد عليها الدكتور طه حسين في تبرير ضرورة
أخذنا من الغرب هو أن هناك روابط جغرافية وعلاقات تجارية وصلات
ثقافية منذ القدم بين مصر واليونان ، وأنه كان للتراث الإغريقي أثر كبير
على الحياة الثقافية في الإسلام ؛ ولكنه لم يذكر إذا ما كان هناك تجانس
فكري بين العقلية الفرعونية والعقلية الإغريقية ، ولم يوضح لنا نوع أثر
التراث اليوناني على العرب والمسلمين وإذا كان من النوع الذي يبعث على
طاقات خالقة أو من النوع الذي يحث على السير في فلكه دون أن
يأتي بجديد ...

فلو تأملنا في تاريخ الحضارة اليونانية نجد أن مقدماتها الأساسية تقوم
على دعائم أرضية مادية تهتم بالأرض قبل السماء ، بل تسخر السماء من أجل
الأرض ، تعطى للعقل كل السلطة للتصرف في مختلف شؤون الحياة ، ولا تكاد
تعترف بالروح أو تقر بحدسها ، ولا تؤمن بقدره الحياة الروحية على إسعاد
البشر ، ولا تنظر إلى الآلهة إلا خلال منظار الأرض فلا ترى فيهم أكثر
من بشر وكل ما يمتازون به عن الإنسان أنه يجري فيهم دماء تكسبهم

الخلود . وأن ما توصلت إليه الحضارة اليونانية من علوم كان الباعث عليها خدمة الإنسان وتهدف الى حفظ حياته على الأرض أو تهيئة المتعة والرفاهية والرخاء في حياتنا الحاضرة ؛ وأن ما عرفته من فنون لا تعبر إلا عن الجمال المادى ولا تهتم إلا بالجمال الأرضى . كما كانت نزعات الأناية وحب التملك والرغبة فى التوسع والسيطرة هى التى تحرك تاريخ الحضارة الإغريقية وتسير حياة اليونانيين .

بينما لو تأملنا تاريخ الحضارات الشرقية كالحضارة الفرعونية والحضارة الإيرانية والحضارة الهندية والحضارة الصينية نجد أن مقوماتها الأساسية تغاير مقومات الحضارة الإغريقية من جميع الوجوه ؛ لأن الحضارات الشرقية تهتم بالسما قبل الأرض ، وتنشد الخلاص من الأرض فى سبيل الوصول الى السماء ، تعطى للروح كل السيطرة على شتى نواحي حياتها ، تؤمن بالأنبياء وتثق فى وحي السماء ، سخرت العلوم والفنون والآداب لخدمة السماء ، ولم تتورع عن أن تضحي بكل القيم الأرضية فى سبيل الحياة فى السماء .

فإذا ما أخذنا نبحث عن مقومات الحضارة الفرعونية (١) والبواعث التى حفزت قدماء المصريين على خلق مدينتهم ، نجد أن إيمان المصرى القديم

١ - حول الفكر الإسلامى : فصل ٥ : إنباء مقوماتنا الروحية . للمؤلف تحت الطبع

بالبعث دعاه الى خلق كل ما عرف عن الفراعنة من علوم وفنون . فالرغبة في بناء أما كن قوية متينة تصون الجسد من التلف حتى يمكن أن تعود اليه الروح من جديد ويضمن الإنسان الحياه في العالم الثاني ، حفز المصريين على بناء الأهرامات وهي تحتاج الى معرفة دقيقة بالحساب والهندسة والفن المعارى فتقدمت هذه العلوم . وإمعان المصريين في المحافظة على الجسد أداهم الى اختراع فن التحنيط وهو عملية لا يمكن أن يتقنها إلا من برع في تركيب كثير من العقاقير ، وعرف موضع جميع أعضاء الجسم ووظيفة كل عضو منها ، فكان التحنيط مدعاة لتقدم علم الطب وفن الجراحة وصناعة الأدوية والعقاقير . ولقد أخذ الفراعنة حذرهم ، ولم يثقوا كل الثقة في قدرة أهراماتهم في صون أجسادهم ، وشكوا في مهارتهم في التحنيط وحسبوا حسابا لم قد يعترى الجسد من تلف فوضعوا في المقابر تماثيل عديدة للبيت حتى اذا ما انحل الجسد حلت الروح في أحد هذه التماثيل ، فتقدم بذلك فن النحت . وما بنيت المعابد إلا للصلاة عن روح الميت طلبا للمغفرة ومساعدة لها في رحلتها الشاقة الى العالم الآخر . وما زينت المقابر والمعابد بالنقوش الدينية إلا لتعين الروح في توخي أيسر السبل في رحلتها الى الحياة الثانية . فكانت عقيدة البعث هي الباعث الأول لوضع كثير من العلوم والفنون ، بل هي الدعامة الأساسية التي قامت عليها الحضارة الفرعونية . وعقيدة البعث عقيدة روحية أولا وقبل كل شيء تؤمن بحياة أخرى بعد الموت ، استولت على عقول قدماء المصريين وحشتم على أن يهبوا حياتهم الدنيوية في سبيل الاستعداد للحياة

الأخرى ، وعلى أن يسخروا مواهبهم في المحافظة على الجسد حتى لا يعتريه الفساد فلا تجرد الروح مستقرها في العالم الآخر :

فالحضارة الفرعونية صدرت عن مقومات روحية ، ونمت وترعرعت في أحضان مقومات روحية ، بخلاف الحضارة الإغريقية . فإذا كان هناك علاقات تجارية وثقافية وروابط جوار بين مصر واليونان فإن هناك تفاوتاً كبيراً بين مقومات الحضارة الفرعونية والحضارة الإغريقية بعكس الحال مع الحضارة الإيرانية . فبالرغم من أن المصريين كرهوا حكم الفرس الظالم فلا يمكننا أن ننكر أن الحضارة الإيرانية اتخذت من تعاليم زرادشت الروحية موجهها ومرشداً ، وهي تعاليم تقوم على أن هناك صراعاً بين الخير والشر ، وأن هذا الصراع سيستمر حتى يقضى الخير على الشر ويعم الخير الحياة في النهاية . ولقد سيطرت هذه التعاليم على حياة الإيرانيين الفكرية والاجتماعية ، وأوحت اليهم بروائع الفن والأدب ، وحثتهم على العمل في سبيل الخير بالسعي في طلب التقدم لأن في التقدم قضاء على الشر وانتشاراً للخير ، فظهرت العلوم لتدعيم أسس الخير ، ونشأت الحضارة الإيرانية وتطورت بفضل الرغبة في تحقيق الخير ومحاربة الشر .

ولا تختلف الحضارة الهندية عن الحضارة الفرعونية والحضارة الإيرانية من حيث أن مقوماتها الأساسية مقومات روحية بحتة . فإن ديانات الهند التي تعتقد في كون الخالق في كل شيء في الوجود ، وفي فضل مجاهدة البوجا

في تحقيق الطهارة الروحية ، وفي تعاليم بوذا وچاني التشفية الأخلاقية ، خلقت الحياة الهندية خلقا ، فهي وراء كل تطور وكل نهضة . فلقد ظهر في غابات الهند وجبالها أوائل الزهاد والنسك ، وأبدع الهنود الكثير من الفنون والعلوم من أجل خدمة التعاليم الهندية والبرهمانية والجانية والبوذية والهندوكية ، وهي ديانات كان لها دخل كبير في (١) تنظيم شتى مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .

أما عن الحضارة الصينية فقوماتها كذلك مقومات روحية . فإن الشعب الصيني قد آمن بقوة بالديانة الكنفشيوسية التي تقشد إقامة حكم صالح على أساس أن تكون الأسرة خلية المجتمع الأولى صالحة ، وأن تتحكم الأخلاق الفاضلة في حياة الأسرة وفي أساليب حكم البلاد حتى يمكن أن يعيش البشر في سعادة روحية حقة . فلا نعجب اذا كان للتعالم الكنفشيوسية التي لا تكاد تؤمن بالله وتثق في القيم الأخلاقية الفاضلة كل الثقة هي التي وجهت سير أحداث تاريخ الصين ، وألهمت الصينيين بمختلف الفنون والآداب والفلسفات وحشتم على وضع كثير من العلوم التي تفتخر بها الحضارة الصينية .

وهكذا قامت حضارات مصر وإيران والهند والصين على أسس روحية وكانت التعاليم الروحية هي التي لها الفضل الأول في نشأتها وتطورها وتقدمها .

وذلك كله يتبين أن هناك اتجاها عاما مشتركا بين مقومات الأمم الشرقية، وأن هذه المقومات المشتركة هي مقومات روحية، وأنها هي التي تحفز على النهوض والخلق. وذلك يشهد على أن مصر أقرب بروحها إلى إيران والهند والصين منها إلى اليونان. فان لم يذكر التاريخ القديم أنه كان هناك علاقات تجارية واسعة أو تبادل ثقافي مستمر بين مصر والهند والصين، وإن لم توجد روابط جوار بينها وبين مصر فلا يجب أن نغفل عن أن التاريخ لم يهمل في أن ينهنا إلى أن الحضارات الشرقية جميعا قامت على نزعات روحية متشابهة متجانسة.

ويخبرنا التاريخ الإسلامي بأن الحضارة العربية قامت على تعاليم القرآن الروحية. فإن حب المسلمين في المحافظة على سلامة القرآن حفزهم إلى تدوينه وتدوين غيره من تراث العرب، وإلى وضع أصول قواعد النحو العربي خوفا من اللحن، وإلى تفسير القرآن والحديث فنشأت علوم التفسير والبلاغة والتاريخ. وما سنها القرآن من شرائع دفع إلى وضع أصول علم الفقه، ولما أخذت الحركات المناهضة للإسلام تشتد ظهر علم الكلام ليدافع عن معتقدات الإسلام. ولم يتقدم علم الحساب بين العرب إلا لأنهم احتاجوا إليه في علم الفرائض الذي يحدد نسبة ميراث كل فرد حسب الشريعة الإسلامية. ولم يقبل المسلمون على دراسة الفلك في أول الأمر إلا لمعرفة مواقيت الصلاة والصوم والحج. وكان الإسلام على الدوام يعاون على تقدم

العلوم التي تخدمه ، ولم يرتق من العلوم والفنون إلا ما كان له علاقة وثيقة بالإسلام والقرآن .

وهكذا نشأت الحضارة الإسلامية في أحضان تعاليم روحية كذلك ، وكان يمكن أن ترتقى وتتقدم تحت رعاية نفس التعاليم الروحية ، ولكن لما أقبل المسلمون على ترجمة التراث اليوناني أغرقوا حياتهم الفكرية الناشئة بأفكار يونانية كان قد تم نضجها فاستطاعت أن تؤثر فيها تأثيرا كبيرا وتسيطر عليها في آخر الأمر . ولا يمكننا أن ننكر فضل التراث اليوناني في أنه عاون على صياغة ما توصل إليه العرب من علوم في قالب علمي دقيق مما ساعد هذه العلوم على أن تسير بعض الخطوات السريعة إلى الأمام . إلا أنه سرعان ما توقف تقدم هذه العلوم مما أدى بها في النهاية إلى نوع من الجمود العميق الذي أعجزها عن التقدم والحركة .

إن المتبع لتطور علوم النحو والبلاغة والفقه والكلام والفلسفة والتصوف (١) يدشن من كيف بدأت هذه العلوم بداية طيبة ، وكيف تعثر تطورها حتى تدهورت وما زال الفكر العربي في عنفوانه . إذ تاهت في ضنم الثقافة الإغريقية فضلت الطريق الذي يهديها إلى الخلق والابتكار

١ - حول الفكر الإسلامي : فصل : جناية التراث اليوناني على الفكر العربي .
للمؤلف تحت الطبع

بينما لو تركت هذه العلوم وشأنها تتطور تطورها الطبيعي لتمكنت - ولو بعد
طول عناء - من أن تسير الى آخر مداها وتصل الى درجات رفيعة من الخلق
والإبداع. ولكن اندفاع العرب في ترجمة التراث اليوناني وانكبابهم على
دراسة والنقل عنه حتى سارت أفكاره في دماهم وعاشت آراؤه في قلوبهم
واستقرت مذاهبه في عقولهم ، جعل كتبهم تردد نفس كتابات الاغريق في
أسلوب أو آخر ولكن لا تختلف عنها في شيء ولا تخرج عن أنها محاولات
للتوفيق بين تعاليم القرآن والأفكار اليونانية أو محاولات لمحاكاة تراث
اليونان ، حتى أصبح الخروج من نطاقها يكاد يكون أمرا مستحيلا

ومن الغريب حقا أن كل مفكر إسلامي حاول أن يأتي بمحيد ذهب
صوته أدرج الرياح ، فإن محاولات عبد القاهر الجرجاني في خلق مذهب
جديد في النقد تاهت بين الأفكار اليونانية وضاعت بين الآراء التي لم ترغب
في أن تتخلى عن محاكاة الفكر اليوناني . ولذلك لم تجد آراء الجرجاني الجديدة
من يتبعها من بعده . وإن ابن سينا نفسه أحس بأنه يعيش في دوامة من
النظريات اليونانية ، وشعر بما في ذلك من نقص يعيب الحياة الفكرية في
الإسلام ومن خطر يهدد الثقافة العربية . فإذا به يعلن في مقدمة كتاب
« حكمة الإشراق » أنه يضع نظريات جديدة تمشي مع الروح الشرقية ،
ولكنه لم يستطع أن يأتي بمحيد ، واستمرت كتاباته تسير على نهج اليونان
تمحاكي أفكارهم أو توفق بين نظرياتهم . وذلك لأنه انكب على دراسة

الثقافة اليونانية حتى سارث في دماثة وعاشت في قلبه فاستولت على عقله ولم يستطع التحرر منها ؛ وبالتالي عجز عن الابتكار بالرغم من رغبته القوية في أن يصنع فلسفة عربية إسلامية شرقية النزعات لا تسير في رتاب الفلسفة اليونانية ؛ ولم يكن ذلك صعبا عليه ولكن سيطرة الثقافة اليونانية على الفكر الاسلامي عاقت كل نابغة عن الخلق وقيدت نشاطه وجمدت مواهبه والزمته بأن يحوم حولها يردد ما تردد بالرغم منه .

وذلك يثبت أن تجربة الثقافة العربية في الاخذ من التراث اليوناني فشلت في تهيئة عقلية عربية تهيئة تبعثها على الخلق والابداع ، وذلك لسبب واضح بسيط هو أن مقومات الثقافة اليونانية المادية العقلية تختلف عن مقومات الثقافة العربية الروحية الحدسية ، ونظراً لأن الثقافة اليونانية كان قد تم تطورها وبلغت آخر درجاتها في الرقي عندما وصلت الى العرب الذين كانوا في بداية نشاطهم الثقافي ، فتمكنت الثقافة اليونانية بتفوقها أن تسيطر على الثقافة العربية الناشئة وتجبرها على السير في ركابها ، ولما سارت وراءها سارت في طريق يختلف كل الاختلاف عن طريقها الروحي الحدسي ، وحينما شعرت بخطئها وحاولت أن تتخلص من قيود الثقافة اليونانية كانت الفرصة قد ضاعت بعد أن تسمم جو الثقافة الاسلامية تسمما تاما بالأفكار اليونانية .

فلم يكن أثر التراث اليوناني على الفكر العربي في صاخ الثقافة العربية ولا يمكن أن نتخذ من تجربة العوب بتأثرهم بالتراث اليوناني مثالا يحتذى

أو نرى فيه القدوة الصالحة لأن هذه التجربة لم تضل بالعقلية الغربية الى مرتبة الخلق وإنما أوقفها عند حد المحاكاة .

• • •

أحسب أن التاريخ يشهد ضد كل من يدعى أن العقلية المصرية أو العقلية العربية أقرب الى الغرب منها الى الشرق فإن مقومات الحضارة الفرعونية والحضارة العربية هي نفس مقومات الحضارة الشرقية التي تختلف اختلافاً بينا عن الحضارة اليونانية ، وأن أثر التراث اليوناني في الفكر الاسلامي لم يكن أثراً ناجحاً بحيث نحب أن تكرر مرة أخرى في وقتنا الحاضر ؛ لأنه كان من الأسباب الرئيسية في شل العقاية العربية عن الخلق والابداع . ولذلك لا يجب أن نشق في الثقافة الغربية الحاضرة أو نعتقد أنه يمكننا أن نساعد العرب على بعث نهضة ثقافية خالقة .

إننا نأخذ من الغرب منذ أن وطأت قدما نابليون أرض مصر ، ولكن ما زلنا نشعر بالقصور والتخلف في ميدان الثقافة والفكر . ويرى الدكتور محمد مندور أن ذلك يرجع الى أن ما أخذناه من الغرب ما زال أقل من القليل ، وطالب العرب بأن يكثروا من الاطلاع على شتى الآداب الغربية وامتصاص مختلف اتجاهاتها حتى تسير في دمائنا وتعيش في نفوسنا وعقولنا . وأن نحكي ثقافات الغرب محاكاة مستنيرة ، وأن نتخذ من هذه المحاكاة سبيلاً للخلق . ولكن تجربة الثقافة الاسلامية في أخذها من التراث اليوناني

ما زالت ماثلة في الأذهان ، وأن أخذنا من الغرب في الوقت الحاضر لن
يوصلنا الى مدى أبعد مما وصل اليه أسلافنا العرب في العصور الإسلامية .

وإذا أردنا أن نحكي الغرب حقا يجب أن نحكيه في أصول منهجه
الذي أدى به الى التبوغ . يجب أن نقلده في الخلق ولا نقلده في مخلوقاته .
لا شك في أن مقومات الثقافة اليونانية مقومات أصيلة انبعثت من أعماق
الروح اليونانية نفسها ، مثلها في ذلك مثل مقومات الثقافات الفرعونية
والايرانية والهندية والصينية التي انبعثت من أعماق روح شعوبها . فلما
سيطرت التعاليم المسيحية الروحية الحدسية الايمانية على الحياة الثقافية في
الغرب خلال القرون الوسطى أصابها الركود والخمود . ولما تنبه الغرب الى
ركوده وجموده أخذ يبحث عن ثقافة غير الثقافة التي تستمد أصولها من
تعاليم الديانة المسيحية الروحية أو تحاكيها ، فاتجه الى الثقافة الإسلامية على
اعتبار أنها كانت ثقافة العصر الراقية ، فأدرك أنها تأخذ من الثقافة اليونانية
فأخذ يبحث عن الثقافة اليونانية في مصادرها الأولى . ولما توسع في الاطلاع
عليها أحس بأن هناك نوعا من التجاوب والمشاركة بين روحه وبين
مقومات الثقافة اليونانية التي هي مقومات مادية بشرية عقلية ، فلم يتورع
عن أن يدير وجهه عن الثقافة العربية ، ويبدل كل ما يستطيع من جهد
لتحرير فكره من سيطرة التعاليم المسيحية الروحية الحدسية الايمانية .
فإذا به يحطم سطوة الكنيسة الدينية على حياته العقلية ، ويطلق لفكره العنان ويترك

له مطلق الحرية في توجيه حياته . فإذا به يشهد مواهبه البشرية ويتخلى غير
أسف عن القيم الروحية التي فرضتها عليه المسيحية عندما وجد أنها لا تتفق
مع اتجاهاته المادية البشرية العقلية وتعمق تقدمه ، فانكب على التراث اليوناني
لما أحسن بأنه ينعش فكره ويحضنه على الخلق والابداع . هذا هو الطريق
الذي سار فيه الغرب حتى بلغ ما بلغ من رقي وتقدم ، ولأننا إذا أردنا أن
نصل الى ما وصل اليه يجب أن نسير في نفس الطريق

وإذا أردنا أن نسير في طريق الإنجد حقا يجب أن نستفيد من تجاربنا في
الماضي البعد والقريب وأن نجعل حياتنا الفكرية الحاضرة امتدادا
لحياتنا الفكرية السابقة بتقوية النوازع الروحية في النفوس . لأن الفترات
التي ضعف فيها النوازع الروحية في النفوس سواء في العصور الفرعونية أو في
العصور العربية لم تتدهور الحياة الفكرية فحسب وإنما تعرضت فيها البلاد
للتفكك والفتح ونهب الغزاة . وما سقطت مصر وبقية الدول العربية في
أيدي المستعمرين إلا بسبب نخول القوى الروحية وجمودها ، مما ساعد
المستعمر على السيطرة على البلاد ثقافيا واقتصاديا وعسكريا . ولكن شدة
وطأة الاستعمار به تلك القوى الروحية الحاملة فقام المصريون والعرب
يقاومونه في كل مكان ؛ فتسربت العواطف الروحية الى المشاعر الوطنية
واختلطت بها اختلاطا أدى الى تفاعلها واندماجها اندماجا خلق منها طاقة
حيوية نهبت المستعمر الى خطر مقومات العرب الروحية ، فأخذ يرميهم من

حين لآخر بالتعصب ليطغى شحنة حماسهم الوطني في طلب الحرية والاستقلال
ويظهرهم أمام العالمين بمظهر المتأخرين الرجعيين ، ثم لوح لهم بثقافته الغربية
ليشغلهم عن إحياء مقوماتهم الروحية بالأخذ من الغرب ، ويغريهم بالجرى
وراء مدينته ليلينهم بتحصيل ثقافته عن العناية بروحهم ، ويوهمهم بأن
رقيهم وتقدمهم هو في محاكاة الغرب ، وأن ما يعانيه العرب من تأخر وضعف
لا يرجع إلا لتعصبهم ورجعيتهم . وهدف المستعمر من وراء ذلك إلى زهق
الروح العربية لتتعدم مقاومة الأمة العربية لاستعمارها ، أو لتتخف حدتها على
الأقل وترتاح نوعا ما إلى المستعمر ، فلا ترى غضاضة في أن تعتبر ثقافته
هي المثل الأعلى الذي يجب أن تتحديه ، فلا تثور على حكمه أو تستهين بقدرة
العرب على مساعدة العرب في نهضتهم الثقافية ، ويشعر في النهاية أنه بدون
عون الغرب ومحاكاة ثقافته لن يحقق تلك النهضة التي ينشدها . فأقبل الكثير
منا على ثقافة الغرب ، ومع ذلك ما زلنا نعاني جمودا فكريا يكاد يزهق
روحنا ، وما زلنا نشكو من تخلفنا الثقافي ، وأخذ الشعور بالنقص يتسرب
إلى نفوسنا شيئا فشيئا يلهب عواطفنا ويخزيها ، ويغمر عقولنا بهـواجس
تدفعنا دفعا أعمى وراء حضارة الغرب ظنا بأنه كلما زاد محصول ما نأخذه
من الغرب ارتفع مستوى إنسانيتنا ورقينا ، ونستطيع بما أخذناه أن نخلق
شيئا بل أشياء . وإذا ما عجزنا عن المخلق بعد ذلك لا تتورع عن أن تنهم
أنفسنا بالتقصير في الأخذ من الغرب ، فنبالغ في محاكاة ثقافته مبالغة
رذيلة . ولا تنتبه إلى أن الحياة في جو تيارات الثقافة الغربية لا يلائم طبيعة

ميولنا الفكرية ويصرفها للجمع والتحصيل ؛ لأن الثقافة الغربية لا تملك إلا أن تثقف عقولنا وتزودها بمعارف متنوعة تجعل منها مكتبات حية متنقلة لا تملك لنفسها نفعا أو ضرا . لأن الثقافة الغربية لا تقدر أن ترعى عقولنا أو تنميها حتى تنتج فتستفيد وتفيد وتخلق وتبتكر . فلم نمانع ونكابر وتنادى في الأخذ من ثقافة مقوماتها غربية عن روحنا ، فضلا عن أن هذا الأخذ لن يأتي باثمة المرجوة . ولذلك يجب أن نمنع النظر في تاريخنا البعيد والقريب لتعلم من تجارب أسلافنا ونسترشد بخبراتهم الثقافية في بحث نهضتنا الفكرية . لقد قال التاريخ كلمته وشهد بأن العقلية العربية لا تنتج نتاجا فذا فريدا في نوعه إلا إذا بحث وجودها في أفكار روحية ، ولا تستنبط أو تخلق عن يسر وبساطة إلا إذا استوحت روحها الأصيلة .

وإذا أردنا أن نستوحي روحنا يجب أن نوقف هذه الروح بعد طول سباتها العميق . وما دامت أسس مقومات هذه الروح هي نفس مقومات الروح الشرقية ، فأحسب إننا لو اتجهنا بعقولنا نحو الشرق ، وأتحننا لها من الفرص ما يجعلها تعيش في الأفكار الشرقية فقد يساعد ذلك على أن تفوق روحنا من غفوتها وتنبه إلى أصول مقوماتها وتسير في طريق المجد . وأحسب إنه إذا أخذنا في الاطلاع على الثقافات الشرقية لا شك في أن نفوسنا سترتاح إليها كل الارتياح ، وتتجاوب معها تجاوبا تاما وتألفها بسرعة عجيبة وتندمج فيها بكل كيائها وتشاركها مشاركة عميقة مدركة أنها نتاج فكر

ليس غريبا عنها وتشعر بأنه منها وهي منه .

ولقد كان أول من استجاب الى المشاعر الشرقية هو الرئيس جمال عبد الناصر مع أنه رجل ثورة وسياسة وليس برجل ثقافة وفكر . لقد تعودنا أن يكون رجال الفكر هم أول من يعبر عن روح الشعب ويطالب بتدعيم مقوماته وتنقية اتجاهاته ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر سبق بتفكيره السياسي جميع رجال الفكر في العالم العربي . ولا عجب في ذلك فإن الرئيس جمال عبد الناصر هو رمز الأمة العربية ، ولقد أثبتت سياسته أنه يعبر تعبيرا صادقا قويا عن مقومات العرب وآمالهم الروحية . لقد حرر مصر من المستعمر الغاصب ومحارب الاستعمار في كل ركن من أركان الدول العربية وفي افريقية وفي آسيا ، بينما لم يستطع رجال الفكر الى الآن تحرير العقول من غزو الثقافة الغربية . بل إن الرئيس جمال عبد الناصر لا يمل من تكرار القول بأن الأفكار التي يجب أن تسود منطقة الشرق الأوسط يجب أولا وقبل كل شيء أن تنبعث من نفس المنطقة ولا تصدر اليها من الخارج وكذلك نحن تنادى مع رئيسنا بأن الآراء التي يجب أن تسود حياتنا الفكرية يجب أن تنبعث من أعماق قلوبنا وأغوار روحنا ولا تصدر اليها من الخارج . لقد آمن الرئيس جمال عبد الناصر بأهمية التعاون مع الشعوب الشرقية في خلق حضارة شرقية تقف في وجه الحضارة الغربية ، فإذا به يتجه نحو أندونيسيا والهند والصين ، ويلعب دورا رئيسيا في دعم مؤتمر باندونج الذي نادى بالحياة الإيجابية والتعايش السلمي وحق تقرير المصير وهي مبادئه

إنسانية روحية تحترم الأخلاق الفاضلة . ولقد نجح الرئيس جمال عبد الناصر نجاحا كبيرا في تعاونه مع الشعوب الإفريقية والآسيوية وفي توطيد دعائم هذه المبادئ الإنسانية الروحية في الحياة العالمية بحثه على عقد مؤتمرات من حين لآخر تنبه الأذهان للقضايا الإنسانية التي يدافع عنها ، حتى أصبحت دول العالم أجمع تنظر الى هذه القضايا بعين الاعتبار ، مما يدل على أن معالم روحنا الشرقية إبتدأت تتضح في المضمار السياسي وتلفت الأنظار الى أهمية المقومات الروحية في تحقيق مجتمع إنساني يتمتع بالسلام والاستقرار والطمأنينة . ولقد كان من الواجب أن يتزعم رجال الفكر في العالم العربي هذه الحركة ويمهدوا طرق تنفيذها لرجال السياسة .

لقد صادق الرئيس جمال عبد الناصر جميع قادة الشرق في آسيا وفي إفريقيا ذلك لأنه يعتقد أن مثل هذه الصداقة تعتبر من أهم الوسائل الطيبة التي توثق علاقات الأمم الشرقية ببعضها بعضا ، وتعمل على تعاونها في الرقي والتقدم في شتى ميادين الإصلاح . ولكن لا نكاد نعرف أن هناك صداقات قوية بين رجال الفكر في العالم العربي ورجال الفكر في الدول الشرقية بالرغم من أهميتها في توطيد الروابط الثقافية بين العرب والشرق . ومع ذلك نعرف أن هناك صداقات وصداقات بين رجال الفكر عندنا وبين رجال الفكر عند الغرب . ولا أكون مجانباً للصواب اذا زعمت أن رجال الفكر في الغرب هم الذين سعوا سعيا وراء هذه الصداقات لأنهم يعلنون عظم أثرها:

في توطيد دعائم الثقافة الغربية بين العرب فلا نعجب إذا لم يوجد في العالم العربي أساتذة جامعيون تخصصوا في اللغات الشرقية من سنسكريتية وبالية وصينية مع أننا نعرف أن هناك عشرات الأساتذة الذين تخصصوا في اللغة اليونانية القديمة واللغة اللاتينية . ولا نكاد نعرف أن هناك أستاذا تخصص في ناحية من نواحي الفكر الشرقي القديم أو الوسيط أو حتى الحديث ، ولكن نعرف كثيرا من أساتذة كليات الآداب قد تخصصوا في مختلف فروع الثقافة الغربية من قديمة ووسيلة وحديثة . فلا نلوم طلبة كليات الآداب إذا عرفوا الكثير عن «سقراط» ، و «أفلاطون» ، و «أرسطو» ، ولا يعرفون شيئا عن «زرادشت» ، و «ماني» ، أو عن «بوذا» ، و «جاني» ، أو عن «كنفشيوس» ، و «لوتشيوس» ، و «بيدرسون» «الإلياذة» ، و «الأوديسه» ، بينما يجهلون «المهبأ راتا» و «الراما يانا» ؛ و يمتحنون في أدب «أرسطوفان» ، و «سوفكليس» ، و «إرييد» ، و «فرجيل» . ولا يسألون عن آداب «لويو» ، و «داوتشين» ، و «دوفو» .

وأحسب أن كل ذلك يرجع إلى عدم عناية الجامعة بأعداد جيل من المتخصصين في شتى الثقافات الشرقية ، لأن المشرفين عليها ما زالوا إلى الآن يقدسون صنم الثقافة الغربية ويجدون فيها العذاء الفكري الكامل الذي يكفل تنمية عقل الطالب دون حاجة إلى ثقافات الشرق . مع أن تراث الفكر الشرقي تراث وفير وعميق يتناول شتى فروع الثقافة الانسانية ، ولا يبهز تراث الفكر اليوناني في شيء . هذا فضلا عن تنشئة الطلبة العرب على

الثقافات الشرقية فيه إيقاظ. لمواهبنا الروحية الخاملة . وتدعيم لنزعائنا؛
الإنسانية الراكدة؛ وإن حياة فكرنا في كتفها يبعث على الثقة والأطمئنان،
فنشعر بأننا نعيش في أحضان ثقافات سدرت عن نبع عذب تكلف به
نفوسنا وأنبعث من معين حلوا تألفه روحنا، يوحى بشيء من العزة الفكرية
والكرامة العقلية، فتؤمن بقدرتنا على الخلق والإبتكار. ومتى وثقنا في
عقولنا وأمنا بعقريتنا، فإننا سننتج في ميدان الثقافة ما يبهر الشرق والغرب
على السواء، وتتخلص من ذلك الشعور الأليم بالنقص الذي يلقي فينا
بانفعالات مريرة توهمنا بأننا أقل فطنة وقدرة من الغرب، فلا نستسلم
لثقافته ولا نشعر بعجزنا عن النتاج الأصيل.

لا ريب في أن نشر الثقافات الشرقية من إيرانية وهندية وصينية في
ربوع الوطن العربي فيه إحياء لعقولنا الخاملة التي استعذبت المحاكاة، وبعث
لعقريتنا التي طال أمد جمودها ومتى نشطت العقول واشتعل بريق العبقرية
فلن نحتاج لثقافة شرقية أو ثقافة غربية في تربية فكرنا، وسنسير في الطريق
الذي يدفع بنا إلى وضع ثقافة أصيلة تتم عن طبيعتنا وتلائم اتجاهاتنا تعطى
أكثر مما تأخذ. فإن كنا نعيب على كليات الآداب عدم عنايتها بتدريس
الثقافات الشرقية، فلإننا - في الحقيقة - نرى أن تزويد طلبتها بهذه الثقافات
يمقق صحوة العقل العربي الشرقي الميول. ولذات لا يجب أن يقف تدريس
تراث الشرق لطلبة كليات الآداب دون بقية أفراد الأمة العربية، ولا يوجد
ما يمنع تدريسها كذلك في المدارس الثانوية والاعدادية بالمقدار الذي يلائم

مستوى كل مدرسة . ذلك لأننا في وقت نبذل كل ما نستطيع جهد لتوطيد صداقتنا بالشعوب الآسيوية الإفريقية وهي شعوب شرقية ؛ ولكن كيف يمكن أن نقيم هذه الصداقة إذا كان الشعب العربي يجهل الشيء الكثير عن تاريخ تطور هذه الأمم فضلا عن جهله بثقافتها ... !؟

لقد سبقنا الغرب في التوفر على دراسة الفكر الشرقى دراسة مستفيضة لأحباب الفكر الشرقى ؛ ويرجع إليه الفصل الأول والآخر في كشف النقاب عن كل ما كان يحيط التراث الشرقى من غموض وظلام لاعن رغبة في الأخذ منه ، وإنما طمعا في أن يفهم نفسية الشعوب الشرقية فيها يساعده على إطالة أجل استعمار هذه الشعوب على أساس من المعرفة والعلم . ولسكننا نحن العرب لانهم حتى أن نقيم صداقتنا للشعوب الشرقية على أساس من المعرفة والعلم ، ونكتفى بأن نقيم هذه الصداقة على تقارب أهدافنا في محاربة الاستعمار أو على تشابه آمالنا في خلق حضارة شرقية . ولكن كيف يمكن أن نطهر الشرق من المستعمرين ... وكيف تؤسس حضارة شرقية ... إذا كانت أغلبية الشعوب تجهل ثقافات بعضها بعضا ... ؟ لذلك يجب أن تضاعف الجهود حتى تنتشر الثقافات الشرقية بين أفراد الأمة العربية ، إذا أردنا أن نقيم صداقتنا مع الشعوب الشرقية على أساس وطيء لا ينقسم . لأن المعرفة تولد الألفة ، والألفة تعين الصداقة على رسم السياسة التي تصهر الشعوب في وحدة تخلق منها قوة تعمل على صون النزعات الروحية ونشرها في ربوع العالم .

وكتاب « قصة بوذا » ، ما هو إلا محاولة متواضعة لنشر تراث الثقافة الشرقية في الوطن العربي . وكم كنت أتمنى أن تكون دراسات الجامعة قد أتاحت لي فرصة الإلمام باللغات الهندية على الخصوص اللغة السنسكريتية واللغة البالية لتكون عدتي في كتابة « قصة بوذا » . ولكن أرجو في المستقبل العربي أن تظهر كتب في الفكر الشرقي يعتمد كاتبوها على المصادر الأولى في لغاتها الأصيلة وليس على ترجمات في لغات غريبة .

ع . الزكي



(بوذا فی شبابہ)

شمال

خريطة مرسومة في عصر بوندا

مناجدها

جبال



مقدمه

إن سرد قصة حياة بوذا ليس بالأمر الهين ، فهي حياة وقعت أحداثها في عهد يبعد في القدم إلى القرن السادس قبل الميلاد . وهو عهد مازال غامضا على المؤرخين ، ولم يحدد معاملة الباحثون بعد ، ومهما بلغت دقة الباحث فلن يخلو بحثه في حياة بوذا من التعرض إلى الأساطير والخرافات ، بما دعا بعض المشتغلين بالبوذية إلى اعتبار بوذا شخصية أسطورية خرافية خلقتها العقلية الهندية كما خلقت غيرها من الشخصيات الخرافية ، وأحاطتها بالمعجزات والكرامات .

إن الأساطير التي وصلتنا عن بوذا لا تبدأ منذ ولادته ، وإنما تعرض له قبل أن يولد ، وتستعرض شتى مراحل حياته ومماته وبعد مماته ، فتاه الباحثون فيها ، ووجدوا صعوبة كبرى في تعرف حياة بوذا الصادقة الحقيقية بما أدى إلى انكار وجوده كفردي حقيقي ، واعتبروه مثل كريشنا أحد أبطال ملحمة المهاباراتا ، ثم آله بعد ذلك نظرا لسمو أخلاقه ، وسعية الدائم لنشر الخير ، أو مثل رامنا بطل ملحمة الرامايانا ، وهو أحد هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بكل شيء في سبيل الشرف والكرامة والعزة ونصرة الحق ونشر الخير فألمه الهنود . ورأى بعض المفكرين أن بوذا لا يخرج عن أن يكون بطلا أسطوريا مثل كريشنا ورامنا ثم آله بعد ذلك مثلها تماما ، إذ ينقصنا الدليل القاطع على وجوده خصوصا وأن يوم ميلاده لم يعرف بالضبط ، وإذا ما عرفنا أن السير المعتمدة التي تناولت حياته كانت تحفظ في الصدور ، ثم

دونت بعد وفاته بقرون بعد أن إضيفت إليها اضافات متنوعة في الشرق الأقصى ، فهناك سير كتبت في الهند ، وأخرى في سيلان ، وثالثة في الصين وغيرها من بلاد الشرق الأقصى كالتبت ، وقد دونت هذه السير في وقت تعددت فيه المذاهب البوذية حتى بلغت العشرات ، وتوخى كل من حاول تأريخ حياة بوذا أن يعرضها في صورة تؤيد دعائم مذهبه فأحيطت حياة بوذا بالمعجزات والكرامات حتى تجذب الأنصار .

فكل هذه العوامل تجعل من تناول حياة بوذا أمراً شاقاً ولذلك حينما حاول المشتغلون بالفكر البوذي من أمثال : ريز دفيدز وزوجته ، وصامويل بل ، وماركس مولر ، وفوسيل ، وأدوارد توماس وغيرهم عرض حياة بوذا عرضوها في صورة تكاد تكون مجردة من الأساطير ، وجعلوا من بوذا شخصية إنسانية لا شخصية الهية ، ولذلك لا أجد نفسى بجانب الصواب إذا مارس على منوال علماء الفكر البوذي في تناول قصة حياة بوذا . فلقد اطلعت على ترجمات كثيرة من الكتب التي كتبها الهنود وأهل سيلان والصينيون ، وعلى كثير من التراجم التي كتبها الباحثون الغربيون عن حياة بوذا ، فتوصلت إلى فكرة عامة عن حياة بوذا جمعها من مختلف هذه الكتب مستوحياً تعاليمه ، محاولاً أن أعرض حياته عرضاً يبين كيف أدت تطوراته النفسية إلى تكوين عقيدته مستعيناً ببعض الأساطير التي كان لها أثراً كبيراً في نشر البوذية ، ولها دخلاً عظيماً في تعلق البوذيين بتعاليم بوذا .

وإذا كانت هناك صعوبات في عرض قصة حياة بوذا بدقة وصدق ،

فلا شك في أن هناك شبه استحالة في عرض تعاليم بوذا غير مختلطة بتعاليم أتباعه ، لأن بوذا لم يترك كتبنا خاصة به ، ودونت تعاليمه بعد وفاته في فترات متفاوتة حدث فيها كثير من الإضافات والبدع كادت تغير معالم العقيدة البوذية التي وضعها بوذا نفسه ، إلا أنني توخيت في هذا الكتاب تناول تعاليم بوذا ونظمه ما أمكن مع اغفال ذكر كل ما يشك في أنه نسب إليه ولم يكن من بين تعاليمه الأصلية . ولكن لا أحسب أن في قدرة أي باحث في الفكر البوذي في وقتنا الحاضر أن يحدد تعاليم بوذا تحديدا وافيا ثابتا لا ريب فيه ، ولكن عندما يتقدم البحث في أفكار بوذا قد يتمكن الباحثون من تمييز تعاليم بوذا من تعاليم أتباعه تمييزا قاطعا .

الأسكندرية

يناير ١٩٥٩

عبد العزيز مجيد الزكي

الفصل الأول

مولد جوتاما ونشأته

في القرن السادس قبل الميلاد كان الغزاة الآريون قد استقروا من زمن في شمال الهند ، واختلطوا بسكانها الأصليين ، وكونوا القرى والمدن ، واشتغلوا بالزراعة والرعي . وكانوا يعيشون في قبائل تخضع لحاكم يهتم بصالحه الشخصي قبل أن يهتم بصالح شعبه .

وكان ينظم حياة الهنود نظام الطوائف الذي يقسم الهنود إلى طوائف أربع رئيسية ، على رأسها طائفة البراهمة التي تتكون من رجال الدين ، الذين كان لهم نفوذ ديني يسمح لهم بالسيطرة على الحياة العامة . ويلبها طائفة الكشاتريا التي تتكون من رجال الجيش الذين يحاربون الأعداء ، ويحفظون الأمن في داخل البلاد ، فأتاح لهم القوة الحربية فرص الاستيلاء على الحكم . أما طائفة الفيسيا فيشتغل أفرادها بالتجارة والزراعة ، والصناعة ، بينما يقوم أفراد طائفة السودرا بأعمال الخدم .

وكان الحكام وأفراد الشعب يحترمون رجال الدين من البراهمة ، ذلك لأنهم كانوا يقومون بأداء الشعائر الدينية التي لا يجيد أداءها غيرهم ، ويرتلون الأناشيد القيدية التي لا يعرف طرق ترتيلها سواهم ، ويفسرون الكتب الدينية من فيدا وبرهماناس وبوبانيشاد التي لا يعرف أسرارها غيرهم . فضلا عن أنهم يدعون أنهم يعرفون أثر النجوم والكواكب على حياة الأفراد ، وتفسير

الأحلام ، وقراءة الطوابع ، ويوحون للهنود بأن لهم دراية تامة بشتى الوسائل التي تبعد الشر ، وتجلب الخير خصوصا وأن بلاد الهند عرضة للزوابع والفيضانات والقحط ، وغاباتها مليئة بالحيوانات المفترسة ، فتفنن البراهمة في عمل الرقى والتعاوين التي تحمي الهنود من خطر تقلبات الطبيعة والحيوانات المتوحشة .

وبما ساعد على تقوية نفوذ البراهمة إيمان الجميع بعقيدة التناسخ التي تزعم بأن روح الميت تولد في جسم جديد من إنسان أو حيوان أو نبات حسب أفعاله السابقة ، وأن من يهرب من سلسلة الولادات المتتالية يستقر مقامه في النفس الكبرى التي تتجلى في شتى موجودات الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد ويعيش في سعادة مطلقة لا تعرف الموت والولادة وآلام الحياة . وخيل للناس أن في قدرة البراهمة إنقاذهم من توالى الموت والحياة . ولذلك كان لكهنة البراهمة سيطرة روحية عظيمة مكنتهم من استغلال الحكام والشعب الهندي ، فاغتنوا ، واقتنوا القصور والضياع ، وعاشوا في كنف عشرات الزوجات ، ولم يعرف الا القليل منهم حياة الزهد .

ومع ذلك فلقد كان هناك عدد كبير من الهنود من مختلف الطوائف قد هجروا بيوتهم ، وسكنوا الكهوف والمغارات ، وتجولوا في الغابات ، يعذبون أنفسهم بأقصى أنواع الرياضات الجسمية والمجاهدات النفسية ليقضوا على نزعات الحس التي تجرى وراء رغبات الشهوة ، وقبلوا أن يقطعوا كل صلة تربطهم بالحياة ليفوزوا بالحياة في النفس الكبرى حيث السعادة الحقة التي لا تآكلها أحزان ، ونصر الله والإنسان حقيقة واحدة .

وفي هذا الجو نشأت أسرة جوتاما الكشارتريه المحاربه من قبيلة ساكيا
في بلاد نيبال، وحكمت ولاية (كايلافاستي) التي تقع على أحد ضفتي نهر
روهيني الذي ينبع من جبال الهمالايا ، ويقع شمال مدينة بنارس الحالية .
ويحد ولاية كايلافاستي اتحاد ليشافيس القوى وملكة ماجادها الفتية
شرقا . ويحدها أراضي البراهمة المقدسة وولاية كوشالا التي تعادى
ملكة ماجادها غربا . وكان التنافس بين ولاية كوشالا وملكة ماجادها
سببا في صيانة استقلال ولاية كايلافاستي ، مع أن قوتها الحربية لا تقوى
على حفظ استقلال البلاد ، وإن كانت تقوى على صد هجمات القبائل الجبلية ،
وإخضاع العشائر الثائرة التي تخرج عن طاعتها .

وكان سكان كايلافاستي يشتغلون بالزراعة على مياه نهر روهيني أو يرعون
الأغنام والماشية على المراعي الجبلية . وأحيانا كان ينشأ نزاع بين قبيلة ساكيا
وقبيلة كولي التي تعيش على الضفة الأخرى من نهر روهيني بسبب مياه هذا
النهر . إلا أن هذا النزاع كان سرعان ما ينتهي بالصلح نظرا لما يقوم بين
القبيلتين من أواصر القرابة والمصاهرة .

وفي فترة من الفترات التي كان يسود فيها الوثام بين القبيلتين تزوج زعيم
ساكيا سودهودانا ابنتي زعيم كولي إلا أنهما لم ينجبا أطفالا بما أحزن قلب
سودهودانا ، خصوصا وأن هذه القبائل تعتقد أن حالة الإنسان في حياته
التالية بعد الموت ، تتوقف على الشعائر التي يقيمها له من يخلفه في الزعامة ،
وأن أبر فرد للزعيم هو الابن .

ولكن حدث أن أته زوجه مايا الأخت الكبرى في ذات يوم ، وهي في

سن الخامسة والأربعين ، وأخبرته بأنها بعد أن صامت سبعة أيام حلت حلما غريبا ، وهو أن الملائكة صعدت بها في أعنان السماء ، وأن فيلا أبيض اللون ، متناسق التكوين ، بديع المنظر ، رأسه تلمع كالزمرد ، وأنيابه ذهبية ، ومسلح بأسلحة ست دخل رحما من جانبها الأيمن . فاستدعى سوهدودانا الكهنة والعرافين ، وطلب منهم تفسير هذا الحلم ، فأخبروه بأن زوجته ستلد له ولدا سيكون له شأن عظيم ، لأن الكتب المقدسة تذكر أن الرجل العظيم يتسرب إلى رحم أمه في شكل فيل يتصف بمثل هذه الصفات .

ولم تمض أيام حتى حلت مايا . ويذكر أن هذا الجنين كان يرى في رحم أمه جالسا جلسة القرفصاء أثناء أشهر الحمل . وفي الشهر الأخير من الحمل طلبت مايا من زوجها أن تسافر إلى أنها لتضع المولود عندهم كما هي العادة في ذلك الوقت . فأعد لها زوجها شتى سبل الراحة حتى لا يسبب لها السفر المتعب ، كما أعد لها والدها قصرا خاصا لتلد فيه وهي في راحة تامة .

ولكن أتاها المخاض وهي في الطريق ، فاضطرت إلى أن تضع رحالها تحت شجرة سال في بستان لومبيني . وأثناء الوضع انحنت الشجرة لتظلها ، وأتت الملائكة لمساعدتها . وعندما وضعت خطا الوليد إلى الأمام سبع خطوات ، وصاح قائلا : « إنني سيد الكون ، إن هذه الحياة آخر حياة لي ، وظهرت اثنتان وثلاثون علامة في السماء والأرض ، منها انتشار النور في كل مكان ، واستعادة الأعمى البصر ، والأصم السمع ، والأبكم النطق ، واستقامة الأشرار وسعادة عامة الناس . وبعد الولادة عادت الأم وابنها إلى قصر زوجها .

وفي اليوم الخامس بعد الولادة أقام سود هودانا حفلا كبيرا اجتمع فيه البراهمة والعرافون وقراء الطوائع والمنجمون والمتطلعون على أسرار العلامات وقرروا جميعا بأن سيكون لهذا الطفل شأن عظيم ، لأن به سبع علامات مقدسة ، تدل على أنه إما سيكون حاكما من أقوى حكام العالم تدين له كل الدنيا أو زاهدا من أعظم الزهاد قاطبة يبشر بتعاليم جديدة تنقذ البشرية من الآلام وذلك بعد أن يشاهد كهلا ومريضا وميتا وزاهدا ، ثم يهجر قصر أبيه ، ويعيش عيشة الزهاد .

فإن الحاكم إما يصبح ملكا مرهوبا للجانب واسع السلطان ، وإما يصبح زاهدا قوى الروح تنتشر تعاليمه الجديدة في كل مكان . ولا يوجد المسع من هذين المستقبلين في ذلك الوقت ؛ فإن الحاكم القوى هو المثل الأعلى لطائفة الكشائريا التي تنتسب إليها أسرة جوتاما ، وإن الزاهد المستنير مكانته أرفع من مكانة البراهمة أنفسهم سواء ظهر من بين طائفة البراهمة أو حتى من بين طائفة السودرا ، لأن الشخص الذي ينجح في الإفلات من برائن الحياة ، وينجى بنفسه من الشهوات والرغبات ، ويرضى بتعذيب الجسد والنفس في سبيل الطهارة الروحية ؛ لاشك في أنه شخص متميز يستحق التقدير والإحترام دون النظر إلى أصل طائفته . فإن لم يكن ابن الحاكم من طائفة البراهمة إلا أنه يمكنه أن يكون أحد هؤلاء العظماء الذين يمكنهم تحطيم قيود الحياة ، ويصبحون من بين زعماء الروح . فهل خدع الكهنة وقراء الطوائع سود هودانا بهذا التنبؤ؟! ولكن الأحداث صدقت التنبؤ الأخير ، فهل تكشف لهم الغيب حقا؟! وهل نفذت بصيرتهم إلى أسرار المستقبل أم

وضعت قصة هذا التنبؤ بعد أن تم لبوذا سيطرته الروحية ، وأخذ أعوانه بعد موته يحكيون مثل هذه القصص ليضيفوا على حياته هالة من المعجزات والكرامات !

إن الذين تعرضوا لكتابة حياة بوذا سردوا كثيرا من المعجزات والخوارق وخلطوا الواقع بالخيال حتى يصعب على الباحثين تمييز الحق من الباطل . ولكن لا يجب أن تهمل هذه القصص عند تأريخنا لحياة بوذا لمجرد أنها تخالف سنن الحياة وتعارض مألوف الطبيعة ، وأن غرضنا من ذكرها أن نعرف حياة بوذا كما يعرفها البوذيون أنفسهم ، هذا فضلا عن أنه لا يوجد دين يخلو من معجزات وخوارق سواء أكانت حقيقية أو مختلفة ، إذ لا يستقيم دين إذا لم يحط نبيه بهاله من الألوهية بأن ينسب إليه كرامات عجيبة تدعم دعوته ، خصوصا في العصور القديمة التي كان للخرافة فيها تأثير كبير على العقول .

ولم يمض يومان على هذا الحفل الكبير الذي اجتمع فيه الكهنة والمنجمون ، حتى وافت الملكة مايا المنية ، وتركت ابنتها الوليد في المهد ، وهو لم يتجاوز أسبوعا واحدا من العمر ، وليس في موتها أى غرابة لأنه لا يجوز لها أن تلد مولوداً آخر بعد هذا الابن المقدس . ولقد كفلته خالته زوجة أبيه الثانية التي لم تنجب أطفالا ، وتولته بالرعاية والحنان ، وشملته بالعطف والحب ، وخصصت له مرضعة رحيمة .

أما عن الاسم الذي وضع للوليد الجديد فلا يكاد يعرف بالضبط إذا

ما وضعت عند ولادته أو بعد موته . فلقد اتقوا باسم (سدهارثا) أى الشخص الذى حقق عرضه ، وباسم (ساكياسيا) أى أسد قبيلة ساكيا ، وباسم (ساكيا موني) أى حكيم قبيلة ساكيا ، وباسم (سودجانا) أى الشخص السعيد وباسم (دسانها) أى المعلم ، وباسم (جينا) أى المنتصر ، وباسم (هاجانا) أى المبارك . وباسم (لوكاناتا) أى سيد العالم ، وباسم (سارنجنا) أى العالم بكل شيء ، وباسم (دهارماراجا) أى ملك الحق ، ولقب باسماء أخرى كثيرة تصف عادة أخلاقه وفضائله وقدراته الروحية ، إلا أن جمهرة الباحثين الذين يؤرخون حياة بوذا يفضلون تلقيبه باسم اسرته (جوتاما) .

ولا نكاد نعرف شيئا عن طفولة جوتاما بعد وفاة والدته ، إلا حادثة عجيبة ما ذكرت إلا لتبين إحدى المعجزات التى تنسب إلى بوذا . إن من عادة الأهالى على رأسهم الحاكم الاحتفال بعيد الحرت عند بداية موسم الزراعة . واصطحب سودهودانا طفله معه ليحضر هذا الحفل ، وأرقدته على وساده تحت ظل شجرة . ولكن حدث أن انصرف الجميع إلى الحفل فرحين مسرورين ، ونسوا الطفل مدة طويلة ، فلو حظ أن الطفل أجلس نفسه جلسة القرفصاء على الوسادة مما حير الجميع ، وزاد في دهشتهم أن ظل الشجرة لم يتحول عن الطفل ، بل ظلت الشجرة تستظله وتحميه من وهج الشمس مع أن ظل جميع الشجر قد تحول تحوله الطبيعي .

أما عن صبي جوتاما فيكاد الرواة يغفلون هذه الحقبة من حياته على أهميتها القصوى فى فهم شخصيته فهما حقيقيا صادقا ، إذ أن نوع التربية التى

تلقاها في صباه تلعب دورا هاما في تحديد مقومات شخصيته ، وأن نوع الثقافة التي تزود بها تعيننا على إدراك دواعي ميله للعزلة . كما أن دراسة تطورات حياته النفسية في فترة المراهقة تضع أيدينا على العوامل التي أدت إلى نظرتة الخالكة الكثيبة إلى الحياة وإلى رغبته القوية في الكشف عن حقيقة خالدة بعيدا عن غمار المجتمعات . إلا أن هناك أحد (١) الرواة المتأخرين لم ييخل علينا بذكر بعض أحداث صباه ، وإن كانت لا تخلو من غموض ومغالاة ، إلا أنها لم تترك هذه الفترة من حياة بوذا بجهولة لنا تمام الجهل ، وتمدنا بوقائع تفسر لنا بعض المميزات النفسية التي هيأت جوتاما لهجرة أهله ، والإندماج في سلك الزهاد والنسك .

لقد نشأ حوتاما في بيت من أعرق بيوت الكشاثريا ، وكان أبوه عريض الثراء ، ويتولى حكم البلاد ، هذا فضلا عن أنه كان وجيد أبيه ، وليس له منافس في وراثة أبيه ، وتولى الحكم من بعده . فلا نعجب إذا أمعن والده في تدليله ورعايته ، وأحاطه بشئ وسائل الراحة والترفية ، خصوصا وهو يرسخ تحت ثقل أفكار غرسها مفسرى العلامات وقراء الطوابع في عقله ، ولذلك كان يخاف على الدوام من أن وريثه قد تجبره الأحداث إلى أن يهجر قصر أبيه ، مضجيا بالحكم في سبيل أن يصير زاهدا . واذلك حاول الأب ومازال وحيدة في نعومة اظفاره أن يكفل له الحياة الناعمة الهادئة البهجة السارة حتى لا يخطر له في يوم من الأيام أن يخرج من بيته ولا يعود إليه .

1) Teh Life of Buddha : By Asvaghosha Bodhisattva .

ولكن لا تنسى أن أمه ماتت وهو مازال في المهد صبيا ابن سبعة أيام ،
فنشأ يتيم الأم ، وإن حدثنا الرواة عن حنان خالته زوجة أبيه الثانية ، وكيف
أنها اتخذت منه ولدا ، وولته عنايتها ، ومنحته قلبها ، لأنه لم يكن لها من
النسل ما تمنحه العناية والعطف والحنان والحب . إلا أن فقد الأم لا يعنى
عنه بديلا مهما كان هذا البديل ، وأن أثر حرمان جوتاما من أعز مخلوق
عليه لا أحسب أنه مر دون أن يحرك كوا من نفسه الرقيقة الحساسة . ولعل هذا
اليتيم هو الذى غرس أول بذرة تشاؤمية فى نفس جوتاما ، أخذت تنبت
شيئا فشيئا حتى نمت وترعرعت مع الأيام ، وقوت جذورها مآسى الحياة .

ولما بلغ جوتاما الثامنة عهد به والده لأعظم معلى مملكته ليزوده بثقافة
عصره حتى يشب مستنيرا عالما بكل ما يحيط به ، فيحسن الحكم عندما
يتولاه . وبدأ المعلم يلقيه أصول القراءة والكتابة ، وما أن أتقنها حتى
أخذ يقرأ شعر الملاحم ، والأناشيد الدينية ، وحكم النساك إلى أن حفظ كثيرا
منها على ظهر قلب . وبعد ذلك أخذ يدرس أعمال سكان السواحل والجبال
والغابات ، إلا أن الثقافة النظرية لا تكفى لتكون عقلية الحاكم ، فتوفر
جوتاما على دراسة العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك ، ولقد اظهر
على الدوام سرعة فهم لكل ما يلقي عليه من دروس ، وقدرة فائقة على
استيعابها واستظهارها حتى فرح به أبوه فرحا كبيرا . وما أن قوى عوده ،
واشتد ساعده حتى كانت الحدائق الملكية ميدانا للتدريب على ركوب الخيل ،
وقيادة العجلات حتى مهر فيهما مهارة فائقة . وكثيرا ما كان يقضى أوقات
فراغه فى صيد الغزلان ووفى التسابق بالخيل ، ولكنه غالبا ما كان يطلق

سراح ما يصطاده من غزلان ، ويتوقف في منتصف السباق عندما يجد جواده قد فقد أنفاسه ، وأضناه الجرى ، ذلك لأن نفسه المرهقة لا ترضى لأحد أن يتألم ، ولا تترتاح الى التسلي بتعذيب الحيوان ، واللهو بإيذاء الغزلان والحيل .

وعاش جوتاما في صباه عيشة خالية من تلك الآلام التي يقاسيها من يوجد خارج قصور الحكام . وكان قرّة عين أبيه ، يوفر له حياة النعيم والرفاهية على الدوام . فأمضى جوتاما شبابه في مرح طاهر وهو يرى لا يعكر صفو حياته شيئا من الأشياء . ولكن يروى أن حادثا أنزل بنفسه الكآبة مما أحزن أباه ، فخاف أن يؤدي به إلى ذلك المستقبل الذي تنبأ به العرافون والمنجمون ، ويلخص هذا الحادث في أنه حصل ذات يوم من أيام الربيع أن كان سرب من البجع طائرا فوق الحديقة الملكية ، ومسافرا إلى موطنه الأصلي نحو الشمال حيث جبال الهمالايا الشاهقة ، فإذا بأحد رفاقه من الأمراء يصوب سهمه نحو إحداها ، فأصابها في جناحها ، وسقطت ملطخة بالدم بالقرب من جوتاما . وما كاد يراها تن من الجرح حتى أسرع إليها وامسكها ، وأخذ يربت عليها بعد أن نزع السهم من جناحها ، ثم ضمده حراجها . ولما عجز عن تسكين آلام الطائر حزن حزنا عميقا ، بما دعا والده إلى أن يهتم بعلاج هذه البجعة ، ولما شفيت أخلى جوتاما سبيلها وتركها تلحق بنديها . وأراد والده أن يزيل أثر هذا الحادث من نفسه ، ويعيد إليه بهجته ومرحه . وكان قد أتى عيد الحرث عيد الربيع ، فطلب من جوتاما أن يخرج إلى الحقول ، ويشاهد خضرتها ، والثمار الناضرة ، والأزهار

اليانعة ، ويسمع تغريد الطيور ، ويتمتع بمباهج الطبيعة الجميلة الخلابية .
ولكن جوتاما لم يروجه الحياة الباسم في الربيع ، ولم يلحظ ما في الطبيعة
من جمال ، وإنما رأى وجهها العابس وصورها الحزينة ، رأى أن تلك
الحقول لم تنضج ، وأن تلك الثمار لم تنضج ، وأن تلك الأزهار لم تفتح
إلا بكد الفلاح المرهق لبدنه الذي لم يبذله إلا سعي وراء القوت ، وأن
الحقول ولاثمار والأزهار لا تتمتع بما تتمتع به من جمال إلا بعد أن
ترهق الماشية إرهاقا شاقا في وهج الشمس ، ويستغلها الفلاح إستغلالا
بشعا من أجل منفعة ؛ وأن الطيور التي تغرد تعيش على إلتقاط الديدان
التي تعيش بدورها على كائنات حية أخرى ، وأن جميع المخلوقات الحية
من كبيرة إلى صغيرة يعيش على الفتك بغيرها ، ولا يوجد إنسان أو
حيوان أو حشرة يمكن أن يعيش دون أن ترهق حياة كائن ما .

فبدلا من أن تسرى أفراح عيد الربيع عن جوتاما ، وتبعث في نفسه
البهجة والسرور ساقته سوقا الى التأمل في مآسى الحياة ، وبدلا من أن
يشارك الجميع في فرحهم ولهوهم إذا به ينزوى في مكان هادى بعيدا عن
الصخب سارحا في عالم من الأفكار لا يرتبط بصلة بما يدور حوله من
مرح وحبور . ولقد انزعج سودهودانا لحالة ابنه أشد الانزعاج ، وفكر
تفكيرا جديا في الوسائل التي تدخل السرور في قلبه ، وتبعد عنه تلك
الهواجس التي تدفعه إلى الإنعزال ، وتسوقه إلى ذلك للمصير الذي تنبأ به
به المنجمون ، وسودهودانا لا يرضى لوحيده أن يعيش هاتما على وجه
في أحراش الغابات ، وبين شعب الجبال ، فعمد إلى تيسير كل سبل الترفيه

التي كثيرا ما كان يلجأ إليها الحكام عندما يستولى على أحد أبنائهم ضربا من الغم والكرب والكتابة يحثه على قطع صلته بكل ما يتصل بالناس . وكثيرا ما كانت تنجح سبل الترفيه في إزالة كل ما يعكر صفو ابن الحاكم الحزين ، وتحميه في الحياة وفي الإندماج فيها . ولكن هذه السبل لم تنفع مع جوتاما ، بل زادته نفورا من الحياة ، وإمعانا في العزلة والتأمل . لقد شيد سودهودانا ثلاثة قصور ليقضى في كل منها فصل من فصول السنة التي ينقسم إليها مناخ الهند فكان قصر فصل البرودة مصنوعا من قطع الأشجار ، مربعة الشكل ، مغطاة بطبقة من أخشاب الأرز ليكون دافئا ، أما قصر فصل الحرارة فكان مبنيا من الرخام المرمر المعرج ليكون رطبا ، وشيد قصر فصل الأمطار من الآجر الأزرق ليلهوفه وقت الحصاد ، وكانت هذه القصور تحاط بمحاطق فسحة غناء مورقة يانعة على الدوام ، تنساب مجارى الأنهار بين جنباتها الزاهرة . إلا أن الحياة المترفة الحلوة الناعمة لم تنزع الحزن العميق من جوتاما ، فاضطر سودهودانا على عادته إلى أن يطلب العون من العرافين والمنجمين وقراء الطوالع ، وخص جوتاما من جديد لعلمهم يجدون ما يطمئن قلبه ، أو يعثرون على علامات تكذب تنبؤهم القديم ، ولكنهم أكدوا له أن المصير المحتوم لا بد بالغه إذا رأى على التوالي كهلا فريضا فيتا فزاهدا . فوطد سودهودانا العزم على أن لا يرى ابنة أحدا من هؤلاء الأشخاص على الإطلاق ، ويشغله بحياة زوجية ، ويحيطه بمئات الحسان حتى يحب الحياة ، وينجى من تلك النهاية التي لا يرضاها له بحال من الأحوال لأنه يطمع في أن يكون جوتاما خليفته في الحكم .

ولقد بذل سودهودانا كل ما يستطيع من جهد ليدخل السرور في قلب ابنه الخائر ، وأتبع كل طريق يبعد عن ذهنه تلك الأفكار المضطربة

النافرة من الحياة، ولكن ذهبت جهوده أدراج الرياح ، وظل جوتاما على ما هو عليه من ميل للوحدة ، وشغف بالتأمل الزاهل ، لا يشعر بما يحيطه من جمال ، ولا ينشرح صدره لم في الحياة من بهجة . فجمع سودهودانا وزراره ، وطلب منهم المشورة بصدد أطوار ابنه الغريبة ، فنصحوه بأن يتخذ من الحب علاجاً لشفاء الشاب المراهق . فعزم الأب على أن يتبع لجوتاما من المناسبات ما تحيطه بأجمل الفتيات حتى يقع في غرام يلبيه عن كل شيء ، ويفتح قلبه لكل شيء في الوجود من متعة وفتنة ، فأمر الملك بإقامة حفل كبير دعا إليه أقتن العذارى ، ووعدهن بأفخر الهدايا عند حضورهن ، فتوافدت أجمل الفتيات على القصر في أبهى زينتهن ، يلبسن أبداع الثياب ، وأتمن الحلى . ولكن لما مررن أمام جوتاما ليقدمن له التحية ، ويوزع عليهن الهدايا لم تنل واحدة منهن إعجاباه ، ولم يجد بينهن من هزت أوتار قلبه ، حتى بدا عليه السأم والملل . ولكن أقبلت فجأة فتاة رائعة الجمال ، وما أن وقع نظر جوتاما عليها حتى فتن بجمالها الخلاب افتانا ، واشتعلت نيران الهيام في جوارحه ، ووقع في حبها من أول نظرة . ولما تقدمت إليه حيته بابتسامة حلوة رائعة ، وطلبت منه هديتها ، فارتبك جوتاما خجلاً ، ورد عليها أسفاً بأنه قد وزع جميع الهدايا قبل مجيئها ، فقالت هازلة إنها لا تستحق هذا العقاب ، وإنها لم تأت إنما حتى لا تنال الهدية التي وعدت بها ، فزاد إرتباك جوتاما ، ورد عليها متلعثاً بأنه ليس في الأمر لائم

وعقوبة ، وإنما هي أتت متأخرة بعد أن وزعت جميع الهدايا . ثم خلع قلادة من حول رقبته ، وألبسها إياها ، ثم أمر باحضار هدايا ثمينة أخرى وهبها جميعاً لهذه السيدة الرائعة الجمال . لم يغفل رجال الحاشية عن نظرات جوتاما الولهانة إلى يزودهارا ابنة ملك كولى ، وأدركوا أنها لا تخلو من إعجاب وهيام ، وتسمعوا إلى همسات حديثهما . فأدركوا أن اهتمام جوتاما الكبير بيزودهارا أنه ولع بجمالها الفاتن ، واستمرأ حديثها الساحر ، فأسروا بقصة النظرات والحديث إلى سودهودانا فسر سرورا عظيماً ، ووجد في يزودهارا المنقذ الوحيد لابنه من هاوية الزهد ، ورأى أن حياته بجوارها قد تحته على الإقبال على الحياة بما فيها من متع ولذات ، فيشفي من تلك الانفعالات العابسة التي تلون أفكاره بألوان قاتمة . فأرسل أحد رجال الدين إلى والدها ليطلب يدها لابنه ، ولكن لم يكن جوتاما أول من رغب في الزواج منها ، وإن هناك كثيراً من الأمراء رغبوا في الفوز بها . وكان من عادة هؤلاء القوم في ذلك الوقت أن يجرى بين الراغبين في الزواج مباراة يتنافسون فيها في شتى الفنون الحربية والرياضية والثقافية والدينية ، فمن يتفوق على الجميع يفوز بالعروس ، لأنه أثبت أنه جدير بها . وأخبر والد يزودهارا الكاهن بأن جوتاما شاب مترف مدلل يعيش عيشة ناعمة ، وأنه لا يصلح لابنته زوجاً ، وأن التقاليد تحتم على الزوج أن يكون فارساً مقداماً بارعاً في الفنون العسكرية ، مبرزاً في الألعاب الرياضية ، كما أن هناك كثيراً من الأمراء تقدموا لخطبة يزودهارا ، ولا بد أن تقام مباراة بينهم من ينتصر فيها يفوز بها . فعاد الكاهن إلى سودهودانا ، وأخبره بما سمعه

من ملك كولى ، فحزن حزنا عميقا ، وخاف أن يفشل ابنة فى التغلب على أقرانه فى تلك المباراة ولا يحصل على من عشقها فواده فتتوغل الكتابة فى قلب العاشق ، وتعميه عن كل ما فى الدنيا من روثق وبهاء .

ولكن لما وصل أمر هذه المباراة إلى سمع جوتاما ابتسم ابتسامة التحدى ووطد العزم على أن يخوضها ، وينتصر على كل من يتقدم لمنافسته . وأقام حاكم كولى حفلا كبيرا أشبه بذلك الذى وصفته ملحمة المباراتا والذى أقامه والد دروبادى حينما تكاثر الراغبون فى الزواج منها ، وفاز بها أرجونا بعد أن تفوق على كل من تصدى له فى المباراة . ولقد تجمع حشد كبير من الناس فى الحفل الذى أقامه والد يزودهارا من سادة ساكيا وسادة كولى ، وقصده كثير من سكان المدن والقرى المجاورة ، ليشاهدوا تلك المباراة . وذهبت العروس إلى الحفل وسط أهلها يحف بها الموسيقيون يصدحون بأشجى الألحان ، ثم أخذ يقبل الأمراء المتنافسون تباعا ، وأخيرا أتى جوتاما إراكبا جواده المحبوب كانتاكا . ولقد كان الحفل مريبا أرهب جوتاما ، ولكن ما أن رأى يزودهارا حتى ذهبت عن نفسه تلك الرهبة ، واعتلى رجه ابتسامة مشرقة مصمما على الفوز بمن استولت على مجامع قلبه .

وحين بدأت المباراة فاق جوتاما إخوانه ببراعته فى استخدام السيف والقوس والسهم والمراوة . وأبدى قدرة فائقة على كبح جماح أكثر الخيول هياجا ، وترويضها على الركوب ، وأظهر

مهارة فائقة في قيادة العربات الحربية وركوب الفيلة الضخمة ، كما تقدم الصفوف في الألعاب الرياضية التي خاضها ، ففاز في السباحة والجري بقصب السبق ، وقهر كل من وقف أمامه في حلبة المصارعة والملاكمة ، وبذو الجميع في دقة إصابة الهدف بالنهم ، كما كان أبعدهم مرمى وأقدرهم على حمل وشد أثقل الأقواس وأصلبها . ولم يتفوق جوتاما على منافسيه في الفنون العسكرية والألعاب الرياضية فقط ، إنما تفوق عليهم كذلك في فنون الشعر والرسم والموسيقى والرقص ، وفي العلوم الدينية ، وفي السحر وفي تفسير الأحلام ، فحق لجوتاما أن ينال يزودهارا ، لأن براعته العسكرية وتفوقه الرياضي ، وتقدمته العلمي والثقافي تلزم حاكم كولي أن يزوج يزودهارا لجوتاما بعد أن أثبت إمتيازه في كل مضمار ، وأقنع الجميع بأنه يستحق العروس عن جدارة .

بعد ذلك أخذ الجميع يستعدون لحفل الزواج ، فاقبمت الشعائر الدينية الخاصة بالزواج في يرم مختلف الرواة في تحديد تاريخه ولكن جميع مذكروه من تواريخ يبين إما أن الزواج تم قبل أن يتم جوتاما السادسة عشر أو بعد أن تعدى التاسعة عشر من من عمره . وما أن تمت طقوس الزواج ومراسيمه العديدة حتى أقامت يزودهارا مع زوجها في أحد قصوره الثلاثة ، بعد أن سبقتها إليه آلاف الحسان ليقمن برعاية جوتاما تحت إشراف يزودهارا ، وكانت بينهن المغنيات ذات الأصوات الساحرة ، والعازفات البارعات

في عزف أعذب الألحان ، وكان بينهن أيضا من يتوفرن على خدمته يسرعن في تلبية طلباته ، ويحققن رغباته ، وكانت الحسان تملأ جنبات القصر حتى لا يخطو خطوة ولا تقع عينيه على غادة ساحرة فاتنة . وأشيع أنه اتخذ منهن محظيات وزوجات وإن ظلت يزودهارا الزوجة الأولى المترتبة على عرش قلبه . وظل جوتاما يعيش في قصوره عيشة كلها متعة ونعومة يرشف من شهد الحياة مالد وطاب ، ويرتع في أحضان الحسان ما يربو عن عشر سنوات ، وقصد والده من وراء ذلك أن يغرقه في حياة الملذات الحسية حتى تظل عواطفه حبيسة الهيام .

ولكن لما أشبع جوتاما شهواته إشباعا تاما ، وأرضى جميع نزواته ولبى نداء كل رغبة ، جاء وقت لم تعد فيه شهوته تشتهي متعة ، ولم تجد نزواته لذة لم تعب فيها عبا ، فتوقفت رغباته عن طلب المتع ، وأخذ يتضاءل إقباله عليها ، وبدأ يمل حياة القصور ، وعاد إلى حالته قبل الزواج ، وفقد الشعور بالمرح والسرور ولم يعد يحفل بما يحيطه من جمال وفتنة وبهجة ، إذا به لا يطيق عيشته اللاهية الصاخبة ، وإذا بالنزعات القائمة تسيطر على تفكيره من جديد ، وأحس بنفور من الحسان ، واشمأز من الملذات . وكان يتولاه الحزن والغم من حين لآخر ، وينزع للوحدة والتأمل والوجوم ، وكانت هذه النكسة من البوادر التي جعلت سودهودانا يحس بأن ميعاد إنصراف ابنه عن حياة القصور قريب بما دعاه إلى تشديد المراقبة عليه ، وإبعاد كل ما يبعث على الألم والحزن من طريقه ، وأصدر

الأوامر المشددة بإقضاء أى كهل أو مريض أو ميت أو ناسك قبل أن يسير جوتاما فى أى طريق ، وزيادة فى الحرص طلب من الحراس إزالة الحيوانات النافقة ، والطيور الميتة ، والأزهار الذابلة من الحدائق الملكية فى الصباح المبكر قبل أن يستيقظ جوتاما حتى لا تقع عيناه عليها أو يرى المرض والشيخوخة والموت ممثلا فيها ، فيزهد الحياة ، ويعتزل ويطلب حياة النشاك ليتخلص من آلام الحياة ، ويتحرر من أحزانها .

الفصل الثاني

هجرة القصر

يكاد يهتكت الرواة عن مجريات حياة جوتاما بعد زواجه، ولقد اشارت بعض الروايات إشارات عابرة إلى إنصراف جوتاما إلى المتع الجسدية واللذات الحسية، مما دعا إلى تهامس أهل ساكيا بأن جوتاما لم يعد له عمل غير الانغماس في اللذات، وأنه كاد يفقد مهارته الحربية وقدراته الرياضية. ولكن مغالاته في طلب المتع جعله يسأم حياة الترف الخاملة، وبعما زاد من ضيق جوتاما وحزنه أن يزودهارا ظلت ما يقرب من عشر سنوات لم تنجب نسلا يسر به قلبه، ويشغل بعض وقته، فبدأت عليه ظروف من الحيرة والارتباك والحزن والوجوم، وتولته رغبة أكيدة في الخلاص من حياته الرتيبة التافهة، فعاد إلى حياة العزلة غارقا في التأمل الشارد والتفكير الداهل.

فلما علم سودهو دانا بما ألم بوريث ملكه، فكر في أن يطلق سراح جوتاما من سجن القصور، ويسمح له بخوض المجتمع الرحب، وطلب منه أن يخرج إلى شوارع المدينة ليرى كيف يعيش رعايا والده، ويفهم ما يدور بينهم من معاملات، ويمضي بعض الوقت متزها في الحدائق. ولكن قبل أن يخرج جوتاما إلى الطرقات أصدر سودهو دانا أوامرا مشددة

بأن يقصى من سليل جوتاما كل ما يعكر صفوه ، وخصوصا العجزة والمرضى والموتى والنسك حتى لاتقع عيناه إلا على كل ما يبعث على السرور .

وما أن سمع سكان المدن وأهل القرى بأن ولي العهد سيسير فى الطرقات راكبا عربته حتى عم الفرخ بين الجميع ؛ وأقبل الأهالى على تمهيد الشوارع وتزيين الطرقات ، ولبسوا أحسن الملابس . ولما رأى جوتاما البشر يعلو الوجوه إنشرح صدره لحب موطنه له ، وسر لسرورهم ، ولم يتجول طويلا فى أنحاء المدينة حتى إذا به يرى منظرالم يره من قبل ، رأى رجلا محطم الجسم هزيلا ضعيفا لا يقوى على السير ، يتكئ على عصا ، متآكل الأسنان بجعد الجبين ، على رأسه شعيرات بيضاء ، فذهل جوتاما لمنظره المؤلم ، وسأل سائق عربته تشانا ، « من هذا الرجل الذى تقوس ظهره ، وكاد يفقد بصره ، ويستعين بعصاه على السير ؟ هل أذبلت الحرارة قوة جسده أم ولد على هذه الصورة ؟ ، فردد تشانا فى الإجابة ، ولما ألح عليه جوتاما فى السؤال أخبره بأنه لم يولد على هذه الصورة ، وإنما بدل العمر هيئته ، وأصاب الزمان قواه بالضعف والهزال ، وفقد لذة الحياة ، ويعيش على الدوام فى أسى وحزن ، لأنه أصبح كهلا عجوزا وشيخا مسنا بعد أن كان فى يوم من الأيام طفل رضيع تربي على صدر أمه الحنون ، ثم صار شابا قويا جميلا بملاءه الأمل ولكن أصبح بمرور الزمن على ما هو عليه الآن من ذبول وهزال وقبح ، وبعد أن سمع جوتاما هذا الكلام سأل سائقه سؤالا ثانيا ، هل هذا الرجل هو الرجل الوحيد الذى أصابته الشيخوخة أم هناك أشخاص آخرون غيره ؟ ، فأجابه بأن الجميع إذا ما تقدم بهم السن

شاخوا ، وأن جوتاما نفسه معرض للشيخوخة ، وهذه سنة الحياة وطبيعة الإنسان ، ولن يفر أحد من العجز ، ففرع جوتاما من هذه الإجابة فزعا شديدا ، وجزع لأنه سيصبح في يوم كهل ضعيف وأن زوجته يزودها رالن تنجا من ذبول الشيخوخة ، وأنهما سيقاسيان كثيرا من الحزن والشقاء إذا ما طال بهما العمر ، فأستولت الكتابة على قلبه ، وشرد فكره ، وأدرك أن حياة اللذة لاقيمة لها مادامت عرضة للزوال ، وما دام الإنسان يبلغ الشيخوخة التي لا يمكنه من الاستمرار في طلب اللذة ؛ وإنه إذا كان الآن شابا قويا فإن قوة شبابه تنضب بعد حين ، فأغتم وأمر تشانا بأن يعود إلى القصر ليهرب من منظر ذلك الكهل البشع ، ولأنه لم يشعر بمتعة التنزه ما دام شباع الشيخوخة يطارده ، وأن سنين الحياة تنقضى بسرعة تفوق سرعة الريح . ولما عاد إلى القصر ، كان حزينا هلعا ، يحس أنه يكاد يدفن في هذا القصر ، وأن الحياة لا نطاق فيه .

وعندما سمع الملك بسرعة عودة جوتاما إلى القصر ، لحزنه من رؤية الكهل ، وجزعه من حياة الشيخوخة ، حث إخواته من الأمراء على أن يسروا عنه ، ولا يتركوه منفردا ، وأن يلحوا عليه في الخروج من القصر من حين لآخر ، حتى لا يظل قابعا فيه تستولى عليه الأفكار السود . فنخضع لإخوانه آخر الأمر ، وخرج من القصر للنزاهة بمد أن قويت الرقابة على الطرقات لإبعاد أى شخص يتقذى جوتاما من منظره ، وبعد أن زينت الشوارع والحدائق لتبدو جميلة خالابة تبعث في نفس جوتاما السرور . ولكن سرعان ما ملح رجلا مريضا على قارعة الطريق ، متورع الجسم ، مشوه

الخلقة ، يتنفس بصعوبة يئن أننا متواصلا ، ويبكى بكاءً مرأ . فسأل جوتاما سائقه تشانا « من هذا الرجل ؟ » فأجابه بأنه مريض أنهكته العلة ، وأضناه السقم يطلب معونة مواطنيه . ثم عاد وسأله وهو حزين إذا ما كان هذا الرجل هو الشخص الوحيد الذى ألم به المرض أم هناك غيره كثيرون . فرد تشانا عليه بأنه لا يوجد شخص لا يتعرض للمرض ، وأنه يتلى الجميع ، فاغتم جوتاما ، وأخذت الأفكار تدور فى رأسه متسائلا ، عن الأسباب التى تدفع الإنسان إلى التمسك بحجم الحياة يصلى بعذاب المرض . وعاد الى قصر أبيه مفجوع القلب كسير الفؤاد .

ولما استفهم سودهودانا عن سبب عودة ابنه حزينا ، قيل له أنه رأى مريضا ، فلام الملك الحراس ، وأنهم تأنيبا قاسيا على غفلتهم ، وطلب منهم المزيد من اليقظة والانتباه حتى لا يصادف الأمير ما يثير أشجانه ، بل أخذ يشرف بنفسه على بهاء الطرقات وروثها ، وزود الحدائق بالمغنيات والعازفات ، وبأجمل الفاتنات اللاتي برعن فى اصطياد قلوب الرجال ، وادخال السرور فى نفوسهم . وبالرغم من كل هذه الاحتياطات رأى جوتاما فى المرة الثالثة نعشا يحمله أربعة رجال ، وتولول النساء من حوله يشددن شعورهن ، ويضربن صدورهن ويلطمن خدودهن . فى حين يندق بعض الرجال على الطبول ، ويعزف غيرهم على المزمار ، بينما ينشد الكهنة الترانيم الدينية . فتعجب جوتاما من هذا المنظر الغريب ، وطلب من أن يخبره عن أمر هؤلاء القوم ، فأنبأه بأن ما يراه ما هو الا جنازة ميت ،

قد فقد حيوية الحياة ، ولم يعد يقوى على الحركة ؛ وأنطلقت روحه الى مكان مجهول ، وأن أهله وأصحابه يكون على فقده ، ثم تسامل جوتاما اذا ما كان هذا الميت هو الشخص الوحيد الذى توفى ، فكانت الإجابة بالطبع أن الموت مصير كل فرد ، ولا مهرب منه على الإطلاق ، فأدرك جوتاما أن المنية توافي كل انسان ، وينزل الردى بالجميع فى وقت معلوم ، وأن شبح الموت مسلط على الرقاب فى كل خطوة نخطوها . فإذا كانت الحياة تشقينا بضعف الشيخوخة ، وتعذبنا بآلام المرض ، وتقضى علينا بموت لن ينقذنا من ويلاتها ، وإنما يعقبه حياة جديدة تقامى فيها من جديد الشيخوخة والمرض والموت ، كأن الإنسان يعيش فى حلقة لانهاية لها ، تنتقل من الحياة الى الموت ، ومن الموت الى الحياة ، ولا تدور الا حول الشيخوخة والمرض والموت . فكيف يمكن أن يطبق الإنسان هذه الحياة ؟ وكيف لا يفكر فى الهرب من تكرار الحياة ، وتوالى الموت ، وفى الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت ؟

ولما لاحظ تشانا ما طرأ على جوتاما من اضطراب لم يعد هذه المرة الى القصر انما استمر فى السير الى الحدائق حيث أخذت العازفات تصدح بأعذب الألحان ، وتغنى المنشدات أبدع الأغاني ، وترقص الراقصات أفن الرقصات ، لكى يبش السروور فى نفس الأمير الحزين . ولكن ظل جوتاما على ما هو عليه من كآبة ووجوم غارقا فى أفكاره الحائرة ، ولم تستطع فتنة النساء أن تغريه وتبدل من نفسه شيئا ، وأن حلو حديثهن وعدوبة مسامرتهن لم تستطع

أن تبعده عن ما يجول في خاطره . فعاد الى القصر ، وتدرج في رأسه أفكار تقلقه ، وتضنيه ، وما أن وصل حتى التف حوله رفعاؤه ، وأخذوا يناقشونه فيما يحزنه ويقلقه ، ثم أخبره أحد الأصدقاء بأن حياة القصور الهادئة الوديمة المريحة بما فيها متعة ولذة لا تدعو الى الحزن والقلق . ولكن من الذى يضمن لى بقاء هذه الراحة وتلك اللذة الى ما لانهاية ؟ ومن الذى يقدر أن يبعد عنى ضعف الشيخوخة وآلام المرض وقضاء الموت ، والعودة الى الحياة مرة ثانية أقامى فيها من جديد ويلات الشيخوخة والمرض والموت الى ما لانهاية ؟ كان رد جوتاما على هذا الصديق . ولقد اضطرب سودهودانا عند سماع هذا الرد ، وألم به الحزن ، وخاف أن يصبح وحيدة زاهدا ولكنه لم يستسلم وأخذ يطارد جوتاما بالمغريات ، ويحيطه بالرفاهية ليل نهار ، وقرب إليه أجمل الغانيات ليأسرن قلبه ، وأرسل إليه وزراءه ليخلصوه من الأفكار السوداء ، ولكن ظل قلبه متعلقا بالشيخوخة والمرض والموت ، وظل عقله يبحث عن كيفية الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت ، وما استطاعت فتنة النساء أن تلبيه عن هذه المصائب الثلاث ، ولا استطاع منطق الوزراء أن يزيل شبحها من ذهنه ، وإن استطاع افنائه بالخروج مرة رابعة الى الحدائق . فاستعد سودهودانا لهذا الخروج استعدادا كبيرا ، فامتد الحراس فى الطرقات عشرات الأميال لابعاد كل ما يقلق مزاج جوتاما . وزينت الطرقات بأهبي زينة ، ولكنه فوجيء برؤية رجل رزين هادى يلبس رداءاً برتقالى اللون ، فسأل تشانا عن كنه هذا الرجل ، فأجابه بأنه ناسك هجر الحياة ، يريد الخلاص ، ويبحث عن طريق النجاة بعيدا عن المجتمعات ، ولذلك قطع صلته بكل ما يربطه بالأرض ، ولا يهتم بشيء من أمور الدنيا

إنما يعيش على ما يتفضل به الناس عليه من صدقات ، فتولى جوتاما نوعاً من الفرح ، إذ وجد فيه المنقذ الذي يخلصه من وطأة الأحزان التي تشقيه ، وعاد إلى القصر عازماً على أن يسلك مسلك هذا الناسك ، لعله يجد حياة خالية من الشيخوخة والمرض والموت .

ولما أحس سودهودانا بميل ابنه لحياة الناسك ، أغراه بالملك ، وعرض عليه أن يتنازل له عن العرش ، إذا كان ذلك يثنيه عن حياة الزهد ، ولكن جوتاما لا ينشد ملكاً أو أى شيء من الحياة وقال لأبيه إنه على استعداد لأن يعيش على الدوام بجواررة إذا ضمن له أن الشيخوخة لن تهد حيويته ويظل أبد الدهر شاباً قتيماً ، وأن المرض لن يبتليه بالسقم والألم ، وأن الموت لن يعرف السليل إليه . ولكن من الذى يستطيع أن يؤمن أحداً ضد الشيخوخة والمرض والموت ، فحزن سودهودانا وأدرك أن ابنه أفلت من بين يديه وأن جميع محاولاته لم تجد معه شيئاً ، وأن إغراه بتولى الملك لم يبدل من تصميمه .

وظل جوتاما فى حيرته غير راغب فى حياته التى يحياها ، وينشد حياة خالية من الألم ، ويريد أن يدخل فى زمرة الزهاد ، إلى أن سمع أن زوجته يزودها را على وشك أن تضع له مولوداً بعد أن انتظره عشر سنوات . وكان هذا الخير جديراً بأن يبعث فى نفسه السرور ، ولكن أحس بأن هذا المولود قد يقيد به بأغلال الحياة ، فلا يستطيع منها فكاً وهو غير راغب فيها ، فعزم

على أن يهجر الحياة في الحال ، حتى لا يتعلق قلبه بحب طفله ، ويرغمه على البقاء في قصور أبيه ، ويعيش شقيا لا يعرف كيف يتخلص من حياة مليئة بالآلام والأحزان . وأدرك أن أى تردد أو تأخير في مغادرته قصر أبيه قد يفسد عليه حياته ، فيفشل في فهم أسرار الحياة ، ولذلك عزم على أن يهرب في هذه الليلة بالذات .

ولما رجع إلى القصر ، كانت يزودهارا قد وضعت طفلا ذكرا سمى راهولا ، وكان الجميع يحتفلون بمولد حفيد الملك ، وما أن دخل جوتاما القصر حتى التفت حوله نساء القصر مهتئات براهولا واذا بأميرة من قريباته تقبل عليه قائلة « بالسعادة ذلك الأب وبالسعادة تلك الأم وبالسعادة تلك الزوجة بابنها وزوجها ، وما أن سمع لفظ « السعادة » حتى خلع قلادته ، ومنحها اياها هدية منه ، فظننت أن جوتاما أعجب بها ، ووقع في حبها ، ويريد لها زوجة له ، ولم تفهم أن لفظ « السعادة » التي نطقت به نبهت جوتاما الى أن ما يطلبه هو السعادة ، وأن السعادة الحقيقية في النجاة من الشيخوخة والمرض والموت ، وأن الفرار من الحياة هو سبيل هذه السعادة ، وأنه ما أعطى قلادته لهذه الأميرة الا لأنها لقتته هذا الدرس الذي حثه على أن يبحث عن السعادة بعيدا عن الحياة . ثم تابع السير الى قاعات القصر الداخلية ، فوجد المغنيات والمازفات والراقصات ينشدن ويعزفن ويرقصن فرحات ، فنفر منهم ، وأسرع إلى حجرة يزودهارا ، فوجدها نائمة وفي أحضانها راهولا ، وكان يود أن يأخذ ابنه بين ذراعيه ، ويقبله ولجسته خاف أن يوقظ زوجته ، فتحول بينه وبين الفرار ، أو يخفق

قلبه بحب ابنه ، ويتعلق به ، ولذلك ظل بعيدا عنهما إلى أن انتصف الليل ، وقام بهدوء وألقى نظرة الوداع على زوجته وابنه الذي لم يبلغ من العمر إلا يوما واحدا ، ومشى في ردهات القصر ، ووجد الراقصات والمغنيات والعازقات نائمات على الأرض من طول السهر ، بعد أن أعيهن الرقص والغناء والعزف ، وكن في أوضاع فاضحة أثارت اشمزاز جوتاما ، واحتقاره لأجسادهن ، وذهب توأ إلى تشانا المخلص ، وأخبره بعزمه على الفرار هذه الليلة ، وطلب منه أن يعد العربة وحصانه المفضل كاتاك ، فاضطرب تشانا ، واحتار لأنه كان خائفا من غضب سوهر دانا ، ولكنه رضخ آخر الأمر وأعد لجوتاما العربة والحصان كاتاك .

ولكن ما الذي دعا جوتاما إلى هجرة قصر أبيه في سن لا يتجاوز التاسعة والعشرين ، ويفر من حياة مترفة ناعمة ليطلب حياة جافة خشنة قاسية... هل خوفه من الشيخوخة والمرض والموت هو حقا السبب الوحيد لفراره...؟ أحسب أن هناك كثيرا من الدواعي ساقته إلى هذا المصير ..

لقد نشأ جوتاما يتيم الأم ، ولعل هذا اليتيم قد قوى فيه نزعة الهنود الميالة للتشاؤم من الحياة فشب من صغره ميالا للوحدة والعزلة ، شغوقا بالتأمل الشارد والتفكير الذاهل ينظر إلى الحياة خلال منظار أسود ، فلم ير فيها غير الآلام والأحزان والشقاء بالرغم من تدليل والده ومن حياته

الخاصة المليئة بالمتعة والملذات، وهي لا تثير الخوف أو تبعث على كراهية الدنيا. لاشك في أن رؤياه للكهل المتهدم والمريض المتوجع والميت الذى ينوح أهله على فقده أشعره بأن حياة القصور تختلف اختلافاً بينا عن الحياة الواقعية، وأن ما يبدو على أهل ساكيا من فرح فهو زائف مصطنع أجبرهم والده على تكلفه حينما يمر بينهم، وأنهم فى الحقيقة أشقياء تكثر بينهم المجاعات وتفتك بهم الأوبئة وتخصدهم حصداً. وكان الأولى بجوتاما أن يفكر فى إسعاد رعايا أبيه عن طريق توفير الطعام للجميع ووقايتهم من الأوبئة وعلاج المرضى ورعاية العجزة. ولكن ما الفائدة من كل ذلك طالما هناك حياة أخرى بعد كل موت يتعرض فيها الإنسان لنفس الآلام التى قاساها فى حياة سابقة. فإن الخدمات الطبية والاجتماعية لا يمكن أن تجول بخاطر جوتاما لأنه كان يريد الخلاص وليس الخلاص من هذه الحياة فقط إنما من كل حياة أخرى تأتى بعد الموت. ولقد كان فى إمكانه أن يتخلص من حياته بالانتحار ولكن الانتحار لا يوقف عودته إلى الحياة من جديد. فضلاً عن أن جوتاما يؤمن بعقيدة التناسخ التى تزعم أن الإنسان يولد من جديد بعد كل موت ويتقمص جسم حيوان أو جسم إنسان حسب أفعاله الخيرة أو الشريرة وأن على الإنسان فى حياته الجديدة أن يتطهر من الأوزار والآثام تطهيراً تاماً حتى يمكن أن تندمج روحه فى الروح الكبرى التى تشمل كل شئ فى الوجود ولكن سرعان ما تعود ثانية إلى الدنيا يتعاقب عليها الحياة الموت إلى أن تتحد بالروح الكبرى ثم تعود إلى الدنيا وهكذا إلى مالا نهاية

فلا تعجب إذا اعتقد جوتاما بأن عذاب الحياة يطارد الإنسان في كل حياة سواء أفعّل خيراً أم شراً. ولكن جوتاما صمم على أن يعثر على ما يخلصه من هذه الآلام، فعمل رؤيته للناسك قد أوحى إليه بأن قطع صلته بالحياة والانقطاع للتأمل قدينين السبل أمامه، ويصل في النهاية إلى ما يبحث عنه، علماً بأن حياة الناسك كانت المثل الأعلى للحياة في ذلك العصر، بل إن مكانة الناسك كانت تفوق مكانة البراهمة الذين كانوا في قمة الطبقات الهندية، وإن احترام الهنود للناسك كان يزيد عن احترامهم للبرهمن الذي يحترف الدين، مع أن كثيراً من الناسك كانوا من طبقة السودرا أحط الطبقات الهندية إلا أن ثورتهم الروحية على الحياة الدنيا، وعزمهم الأكيد على أداء المجاهدات الجسدية والرياضية النفسية، ورضاهم التام بحياء خشنة جافة قاسية، كان يكتسبهم حب الجميع وتعظيمهم مهما كانت مرتبة الطبقة التي ينتمون إليها. ولذلك لم يرق حائل بين جوتاما وورغبته في حياة الزهد والتفكير وأن انتسابه إلى طبقة الكشارتريالم يعق مستقبله كرجل محب للتأمل الديني والبحث الفلسفي، والكشف عن الحقيقة التي كان يحنكر البراهمة الإشتغال بها.

الفصل الثالث

البحث عن السعادة

لما أحضر تشانا العربية التي يجرها الحصان كانتا كما ، ركب جوتاما العربية ، وظلت تجرى به في ظلمات الليل وهو شارد الذهن يفكر فيما هو مقدم عليه من حياة جديدة عليه كل الجدة ، وكانت تراوده مشاعر من الحيرة على ما سيفقده من عز وأبهة وسلطان ومنتعة ولذة ورفاهية ، ولكنه قاوم هذه الخواطر بحزم ، وعزم على أن يستمر في طريقه ويهجر الدنيا نهائياً . وعندما وصل عند نهر أنوما بعيدا عن مملكة كولي ، خلع جواهره وأعطاهم لتشانا ثم جز شعر رأسه بالسيف وأعطاه كذلك لتشانا ، واستبدل ملابسه الملكية بملابس أحد الفقراء المارين ، ثم طلب من تشانا أن يعود إلى أبيه ، ويخبره بأمر هجرته للدنيا . ولكن تشانا ناشد جوتاما أن يعود معه ، ولا يتمسك بحياة الزهاد ، ولما رفض جوتاما ألح تشانا في أن يبقى معه ليقوم بخدمته ويسهر على راحته ، فلم يقبل جوتاما ولذلك اضطر تشانا إلى أن يعود حزينا ، منكسر القلب ، خائفا من غضب سودهودانا .

بينما توجه جوتاما إلى مملكة ماجادها ليبدأ حياته الجديدة التي ارتضاها لنفسه . وفي أثناء توغله في الغابات المؤدية إلى هذه المملكة ، صادفه جماعة من

الزهاد يقطنون في جنبات هذه الغابات بعيداً عن صخب المجتمعات ، فتقدم جوتاما إليهم ، ثم يحياهم ، ولما ردوا التحية أبلغهم بأنه زاهد حديث العهد بهجرة الدنيا ، وأنه عزم على أن يسير في طريق الزهد ، فطلبوا منه أن ينضم إليهم ، ويلتحق بجماعتهم ، ويقوم بما يقومون به من واجبات روحية ، ويشاركهم الحياة في الغابة . إلا أن جوتاما ليس عنده دراية بهذه الواجبات الروحية ، إذ لم يمارسها من قبل ، فطلب من كبيرهم أن يخبره عن مختلف طرق المجاهدات التي يمارسونها ، ويبين له الباعث الذي يدفعهم إلى أدائها ، ويوضح له الغاية التي يهدفون إليها من ورائها . فأخبره كبير الزهاد بأنهم هجروا الدنيا طمعا في حياة روحية حقة بعيدا عن تضارب الأهواء والرغبات والمطامع ، وأن حياتهم في الغابة حياة دينية خالصة تقوم على تعذيب الجسد ، وإقامة الشعائر للنار ؛ وتلاوة الصلوات والدعوات . وهم أحيانا يحرمون على أنفسهم الطعام والشراب ، وأحيانا لا يأكلون إلا أبسط المأكولات وأقلها ، ومنهم لا يأكل إلا ما يلتقط من حب كالطيور ، ومنهم من يعيش على ما يجمعه من ثمار الأزهار والفاكهة ، ومنهم من يتغذى على الأعشاب كالغزلان ، ومنهم من يسد أودة بما يستجديه من طعام وشراب من أهالي القرى المجاورة . وهذا فضلا عن أنهم يقومون بمجاهدات مضية لتطهير الروح من أوزار البدن ، فيعذبون أجسادهم بالنار أو يلزمون أنفسهم بالتنفس في الماء كالأسماك ، أو يجرون أذرعهم على أن تظل مرفوعة إلى أعلى ، أو يضعونها على فوق رؤسهم لمدة طويلة بصفة مستمرة . وهم كذلك يقربون القرابين للنار المقدسة يوميا حتى يظل لها يتصاعد منه الشرر على الدوام .

وفي أوقات محدودة يؤدون الصلوات ويتلون الدعوات وأن غايتهم من كل ذلك هو تخليص الروح من أدران الجسد التي تسبب عودتها الى الحياة بعد كل موت وما أن تم طهارة الروح ، لا يرجع الإنسان للحياة الأرضية من جديد وإنما يذهب الى السماء حيث السعادة الحقة والتعيم المقيم .

بعد أن أنصت جوتاما الى هذه التعاليم ، لم يجد فيها بغيته ، لأن المجاهدات الجسمية والشعائر الدينية لا توصل إلى السعادة ، فاذا كان اللهو والمجون والخلاعة لا تجلب الطهارة الروحية ، فإن القاب الطاهر لا يمكن أن يعيش سعيدا في جسد معذب ، ومعرض للشيخوخة والمرض والموت . وإذا كان التعذيب ينقى الروح من أشرار الجسد ويمنع الإنسان من أن يولد في حياة أرضية مرة أخرى ، إلا أنه يولد في السماء ، ولكن جوتاما ينشد الخلاص من الحياة نهائيا ، بذلك فقط يستطيع أن يتغلب على الشيخوخة والمرض والموت ، ويقطع صلته بالولادة والموت كلية ، سواء أكانت هذه الولادة في الأرض أو في السماء . ولما أحس كبير الزهاد بأن جوتاما لم يتقبل تعاليمهم ، وأنه مازال في حاجة إلى معرفة أعمق وأن إمامه بالمجاهدات والشعائر ضعيف ، نصحه بأن يقصد أرا داراما وأدراراما ، وهما ناسكان ثقافتها الدينية واسعة ، ولها باع طويل في المجاهدات ، وبلغا درجة ممتازة من الطهارة والصفاء . ولم يتردد جوتاما في الذهاب إليهما ، لأنه ينشد العلم الصحيح الذي يحقق له سبيل الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت .

ولكن بينما هو في طريقه إليهما قابل وزير أبيه وكبير كهنة القصر

الذين أرسلهما إليه سوده وانا ليقنعاه بالعودة . بعد تبادل التحية أخذ الوزير
سادهارما والكاهن بوروهينا يجادلانه في أمر رجوعه إلى أبيه .
بدأ الوزير سادهارما الحديث بأن أخبره عن عظم ألم أبيه وفجيعة زوجته، وعن
الأسى الذى عم أهل ساكيا عندما شاع نبأ هجرته للبلاد ، واختياره حياة
الزهد فى الغابات، ثم أعلن الوزير عن حزنه لرؤية جوتاما مرتديا ملابس بالية
خشنة وهو أمير عاش طوال عمره حياة ناعمة وتعود الراحة والاستقرار ،
والجدير به أن يخضع هذه الملابس، ويطيع أمر والده ويعود إليه، إذ عليه واجبات
جسام نحو مهام الحكم وأهل ساكيا . فرد جوتاما على الوزير بأنه لم يعص والده
إلا خوفا من الشيخوخة والمرض والموت ، ورغبة فى التخلص من توالى الموت
والولادة ، وأن حزن أبيه لفراقه لا داعى له ، لأننا نتقابل فى الحياة لفترة
معينة ثم يفرق بيننا الموت ، فلا يجب أن نجهل الأوهام تتسلط علينا ،
ونترك الحزن يستولى على مشاعرنا . أما طلب العودة لى ينتظر اليوم الذى
سيهد إليه فيه بمهام الحكم فكيف يقوم بهذه المهام بينما يجمل حقيقة الحياة
ويعيش نهبة للشيخوخة والمرض والموت ، وكيف ينصرف عن البحث عن
طريق الخلاص ، وينغمس فى ملاذ الحياة التى تزيد من شقائه . فما كان من
الكاهن بوروهينا إلا أن أخبره بأنه إذا كان يقصد أن يحيا حياة دينية
ظاهرة بعيدة عن الملذات فما الذى يمنعه من أن يجمع بين هذه الحياة وبين
الحياة بالقرب من أهله وفى وطنه فإنه يستطيع أن يتزود بشتى التعاليم الدينية
ويؤدى الشعائر دون أن يهجر الدنيا ويعيش هاتما فى الغابات يرتدى ملابس
خشنة ويستجدى قوته ؛ وقد يظن أن فى عودته إلى ذويه نوعا من الهزيمة

والتراجع ، إلا أن هناك كثيرا من الأمراء قد سبقوه في هجرة الملذات ،
ورغبوا في حياة طاهرة ، وعاشوا حياة دينية نقية دون أن يهجروا أهاليهم .
ولكن جوتاما أجاب بأن طلب الثقافة الدينية في القصر ليس بالطريق
السوي الذي يوصل إلى الخلاص ، لأن الخلاص لا يتحقق بالحياة في القصور
الناعمة المترفة ، وإنما في الغابات والجبال ، وإذا عاد إلى القصر فإنه سيعود
إلى حياة الترف التي تغري بطلب الملذات ، كما أنه لم يرغب في أن يكون
من بين هؤلاء الذين يطلبون الثقافة الدينية وهم في مكاتبهم دون أن يسوها
بممارسة عملية أولا يسعون في الكشف عن الحق ، ويدرسونه دراسة وافية .
ولما رأى بوروهينا تصميم جوتاما على عدم العودة ، رجاء أن يعود إلى أهله
بعد أن يحقق غايته ، ويصل إلى طريق النجاة فإن الأمير راما بطل ملحمة الرمايانا
عاش ردها من الزمن في الغابات والكهوف ، وتنسك حتى وصل إلى أرقى
مرتبة روحية ، ولكن حينما علم بما يعانيه وطنه من اضطرابات ومحن عاد
مسرعاً إليه ، وتولى زمام الحكم ، وأعاد الأمن إلى نصابه ، وأنقذ البلاد من
الفوضى ، كما أن هناك أمراء كثيرين سلكوا في أول الأمر طريق الزهد ثم
بعد أن حققوا أهدافهم الدينية عادوا آخر الأمر وتولوا الحكم تلبية لنداء
الواجب فرد عليه جوتاما بأنه ليس من هؤلاء الذين يهجرون الدنيا ليقضوا
حقبة من الزمن زاهدين متقشفين ، ثم يعودون إلى ملذات الحياة مرة ثانية
ولا يجب أن تؤخذ حياة راما ومن سار سيره مثلاً أعلى للزاهد الحق
الذي يريد أن يكشف عن الحقيقة وأن الحكيم لا يسلك سلوكهم ، أو يتخذهم

قدوة له ، اذ ما الذي يدعو الزاهد إلى أن يفسد حياته الملائمات بعد أن صار
ظاهرا نقيًا ، وأكد له جوتاما بأنه لن يعير من مسدكه شيئًا ، ولن يعود إلى
حياة القصور حتى ولو سقطت الشمس من السماء ، واصطدم القمر بالأرض ،
وأنقلبت جبال الهمالايا رأسا على عقب . وبعد رفض جوتاما العودة رجع
الوزير سادهارما والكاهن بوروهينا بعد أن فشلوا في مهمتهما .

٣. انطلق جوتاما نحو نهر الجنجيز ، وبعد أن عبره اتجه نحو مدينة راجاجريها
عاصمة ملكه ماجادها ، والتي يتخذ منها الملك بمبسارا مقر حكومته ، وهي
مدينة هادئة آمنة ، يحيط بها تلال خمسة ، في سفوحها عدد من الكهوف ،
كثيرا ما يلجأ إليها الزهاد والنسك . وما أن دخل جوتاما مدينة راجاجريها
بطلعته البهية ، وقوامه المعتدل ، وشبابه الفتان حتى أثار اهتمام الأهالي ،
وتعجبوا من قتي في شرح الشباب يرتدى ملابس الزهاد البالية ، بينما تبدو
عليه ملامح النبيل والعز والجاه ، فالتف حوله الرجال والنساء عارضين
عليه الضيافة ، ومشفقين عليه من قسوة التقشف ، وأخذوا يسرون خلفه
حتى كونوا موكبا كبيرا مما لفت أنظار الملك بمبسارا ، وهو في برجه المرتفع
يراقب أحوال رعيته ، وطلب من رجال حاشيته أن يأتوه بأخبار ذلك
القادم الغريب ، وسبب التفاف الجماهير حوله . فعلم أن جوتاما ابن الملك
سودهدانا قد هجر الحياة مفضلا عليها الزهد والتقشف ، وقد أثار
مظهره التقى الورع أفراد الشعب ، واسكنهم أشفقوا على شبابه ، وبهرم حسن

طلعته ونبل محياه ، فتنافسوا في الفوز بشرف ضيافته ، ولكنه لم يقبل من أحد ضيافة وإنما أخذ يطرُق الأبواب مستجدياً قوته ، ثم عاد إلى الغابة المجاورة ، وأكل مما جمعه من صدقات ، وشرب من مياه النهر ، وسكن غارا في سفح أحد التلال القريبة بالمدينة .

ولقد أثارت تصرفات جوتاما عناية الملك بمبسارا ، وأسف أشد الأسف للبصير الذي آل إليه الأمير جوتاما ، فقرر أن يزوره في مغارته ، لعله يستطيع أن يقنعه بأن يقلع عن حياة الزهد ، ويعود إلى سيرته الأولى في قصر أبيه . فسار إليه في ركب يحف به آلاف الأهل . ولما وصل بادره بالتحية ، فرد عليه جوتاما تحيته ، ثم أخذ يتبادلان الحديث . ولما تأكد من أنه جوتاما ابن الملك سودهودانا حقا ، أخذ يلومه على ارتدائه ملابس خشنة بالية بينما هو جميل الخلقة . حسن القوام جدير بالثياب الفاخرة والجواهر الثمينة ؛ وأنه على استجداء الطعام ، لأن الاستجداء لا يليق بنسل الملوك الذين يجب أن يقيموا في القصور وليس في الكهوف ؛ فرجاه أن يعود إلى أهله أو يقاسمه ملك دولته مع عنايته بالدين والتقشف . لأن أصالة النسب والحسب . وعظم الجاه والسلطان مدعاة للقوة ، وأن جمال الخلقة وحسن الطلعة واعتدال القوام وبهاء المظهر يتكسب المرء هيبته ونبلا ، وإن القوة والهيبة والنبل والشرف تعين على إخضاع الآخرين أو التفوق عليهم ، وتحت على نيل ثناء الجميع وجذب إعجابهم ؛ وتجلب شهرة سرعان ما تنتشر في شتى الأرجاء .

وما الذى يعيب الرجل الفاضل التقى الورع اذا احتفى بالنسب والحسب ،
وعمل على قهر الممالك التى تخرج عن سيادته ، واجتهد فى تنمية الثروة ،
وأخذ نصيبه من متع الأرض . . . ؟ فان الحكيم هو الذى يجمع بين
معرفة الدين واتباع الفضيلة ، وبين طلب القوة وتنمية المال والتمتع
بالذات . فان الرجل الفاضل المتدين الذى يهمل المال ، ويحتقر اللذة محروم
من متع الأرض وان الرجل الذى يقضى حياته فى جمع المال محروم من نعيم
المتع الروحية : أما الرجل الفقير الجاهل بأمر الدين المنصرف عن هدى
هدى المضائل فمحروم من متع الأرض ومتع السماء على حد سواء ، والحكيم
الحق هو الذى يجمع بين مطالب الأرض ومطالب السماء ولا يغفل أحدهما ،
أويفضل الآخر على الآخر ، ويمكن الإنسان اذا ما تقدم به السن ،
ونال كفايته من متع الأرض أن ينصرف كلية لى الحياة الروحية الخالصة .

فرد جوتاما على بمساراً بأن الفضيلة والشهوة لا يجتمعان اذ كيف يهتدى
سلوك الانسان بالفضائل ، بينما تتحكم فيه الأهواء ؟ ان الشهوة تجرى وراء
اللذة ، وتضحى فى مسيلها بكل القيم والفضائل بل انها تسوق الإنسان سوقاً
للإثم وهى لا تقف عند حد ، وتطلب على الدوام مزيداً من اللذة ، فتودى
بالإنسان فى النهاية الى هاوية سحيقة . فان هناك كثيراً من الملوك والحكام
دفعهم الجشع والرغبة فى السيطرة على ما يجاورهم من ممالك الى اقتراف كثير
من الأوزار البشعة . بل ان دأبهم فى البحث عن المال ،
وطموحهم فى الاستيلاء على البلاد المجاورة أدى بكثير منهم الى الهلاك .
وان رجال الدين والزهاد الذين حادوا عن طريقهم ، واستهوتهم مغريات

الحياة ، وأسرتهم فتنه النساء ، وحاولوا أن يجمعوا بين الدين والدنيا ، لا شك في أنهم تعثروا في الطريق ، لأن الزاهد الحق لا يشتهي ، ولا يطمع في شيء ، ويفضل التقيف ليحطم كل ما يفتعل في داخله من رغبات وشهوات ، حتى تصبح عاجزة على أن تغريه كل يوم بلدة جديدة ، فلا يشعر بتلك الآلام المريرة عندما يفشل في تحقيق رغبة . والحكيم الحق هو الذي يتجنب هذه الآلام بأن يعطل نشاط شهواته شيئا فشيئا الى أن يقضى عليها قضاء تاما في آخر الأمر . ان الشهوة خطر وييل يهدد كيان الحياة ، فانها تدفع الصديق إلى كراهية صديقه ، وترغم الأخ على قتل أخيه .

أما الرجل الذي يبذل قسطا من حياته في جميع الثروات ، ويحسن استغلالها ، ويجيد انفاقها . فقد يكون رجلا فاضلا ولكن الثروة متاع زائل ، وأن من يكثر من المال ليحتفظ به ولا يتمتع به فوجود المال عندئذ مثل عدمه ، والرجل الفاضل حقا هو من يبذل ماله - اذا كان غنيا - في العطاء لأن في الإحسان كسبا وثراء يفوق غنم المال ؛ وقد يكون الملك بمبسارا كريما ومحسنا كبيرا بارا بشعبه ، ولكن جوتاما لا يريد أن يبقى مالا حتى ليتفضل به على الغير ؛ لأنه ينشد الخلاص من توالى الولادات ويريد أن يبعد عن غوائل الشيخوخة والمرض والموت . فالمال لا يهم جوتاما من بعيد أو قريب لأنه لا يحقق هذه الغاية وينقذه من مآسى الحياة وويلاتها ويبلغه السعادة المنشودة .

تم انتقال جوتاما إلى موضوع الحسب والنسب فقال إن شرف
المنبت ، وء افة الأصل ، وبهاء الخلقه وحسن الهندام لا تدعو للتفاخر
لأنه ليس للبره فيها فضل ، إنما هي موروثه منذ أجيال ، ولا تمنح إلا نبلا
زائفا . واذلك هجر جوتاما القصور ، واستغنى عن شرف الحسب ونبيل النسب
وفضل الحياة في الغايات ، ولم يهتم بالطعام إلا بالقدر الذى يبعد عنه غوائل
الجوع والعطش ، وخلع الملابس الفاخرة وارتدى الملابس التى تحمى
جسده من البرد والحر ، وأقام فى الكهوف لأنها تكفل له الراحة والنوم
المهادى . حياة الزهد والتقشف حياة آمنة لا تغرى بالانغماس فى اللهو ، ولا تحف
بها الآلام والأحزان . لذلك هجر جوتاما الدنيا بما فيها ، وفضل الزهد
على سطوة الحسب ، وجاه السلطان ، وثروة الحكام . ولقد وطد العزم
على ألا يرجع إلى حياته الأولى ، وأنه لافائدة من الإلحاح عليه فى العودة
إلى أبيه ، أو مشاركة بمساراً فى ملكه ، فإن الثرى لا يتمنى أن يكون فقيراً ،
وإن المتعلم لا يرضى أن يصبح جاهلاً ، وكذلك لا يقبل الزاهد التقى الورع
المتقشف أن يعيش فى المجتمعات الصاخبة اللاهية الفاتنة . ثم عرض جوتاما
على بمساراً أن يقاسمه حياة الزهد ، ويشاركه فى التقشف ، فان هذا العرض
أفضل من مشاركته فى الحكم ، وأجل من الانغماس فى الحياة الدنيا ،
ولا يجب أن يتأخر فى هجرة الحياة مدعياً أنه مازال فى سن مبكر ، وينتظر
إلى أن يتقدم به السن ثم يهجر الحياة ، اذ من يضمن له أنه سيعيش إلى
أن يتقدم به السن ، فإن الموت واقف لنا بالمرصاد ، وليس له ميعاد ،

يقتحمنا في أية لحظة ويسلب حياتنا في سرعة البرق ، فيجب أن نهجر الحياة من الآن لا الغد ، لأن الحياة عرضة للزوال . وقد يظن البعض أن تقريب الثعابين إلى الآلهة ، وذبح الذبائح لها قد يطيل من العمر . ولكن هذا العمل كره في ذاته ، إذ كيف تهلك حياة لتبقى حياة ؟ وكيف نلجأ إلى القتل لتطيل العمر ؟ فليس للزهد موعد ، وأن من ينشد الخلاص من توالى الولادات لا ينتظر للغد ، وإنما يبدأ بهجرة الحياة في الحال .

بعد أن انتهت هذه المناقشة ، استأذن جوتاما من بمبسارا ليستأنف السير باحثا عن الزاهدين الذين سمع أن عندهما المعرفة الحققة التي تهديه إلى السعادة وطريق الخلاص . فلم يحل بمبسارا دون ذهابه ، ولم يستعن بسلطته لحجزه وإرغامه على الاندماج في الحياة ، وذلك لإعجابه بحكمته ، وعمق روحيته ، وإن كان يود أن يبقى جوتاما في رحاب قصوره اشفاقا على شبابه من قسوة الزهد وخشونة التعسف .

وما أن وصل جوتاما مغارة الزاهد أراداراما حتى أحسن الناسك إستقباله ، وحياه أجمل تحية . ثم جلسا ، والتف حولهما مريدو أراداراما وأتباعه . ولما عرفوا أنه حديث العهد بالتنسك وطلبوا من عزمه ، وحثوه على التمسك بحياته الجديدة . إلا أن جوتاما بادرهم بسؤاله الذي حير الجميع ، وهو كيفية الخلاص من توالى الولادات حتى لا يعاني مرارات الشيخوخة والمرض والموت . فرد أرادا بأن طريق الخلاص يقوم في طلب المعرفة الحققة ، والتمسك بحياة روحية طاهرة ، إذ

أن المعرفة والطهارة تهيء للفرد حياة هادئة آمنة سعيدة في براهما كبير الآلهة. فما كان من جوتاما إلا أن طلب من أراد أن يزوده بالمعرفة الحققة ، وأن يخبره عن سبل الحياة الطاهرة ، وأن يوضح له حقيقة الحياة في براهما . فقال أرادا إن المعرفة الحققة هي أن تعرف أن هناك وجودا واحدا هو براهما ، وأن كل ما يبدو في الوجود من تنوع وكثرة ليس الا مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة هي حقيقة براهما السرمدية التي تكن في جميع محتويات الكون من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، وأن ما نراه من اختلاف في الكون ، وتغير في الطبيعة يرجع الى جهلنا بحقيقة براهما ، الذي يجعلنا نرى التعدد في الوجود لأنه ليس هناك الا حقيقة واحدة . إلا أن مجرد معرفة هذه الحقيقة لا يكفي لكي يخلص الإنسان من دائرة الولادات . وإنما يجب الإيمان بها كذلك . ولا نستطيع أن نؤمن بها عن صدق الا إذا تأصلت في أغوار النفس ، وسيطرت سيطرة تامة على كل ما يرد على الذهن من أفكار ، وتحكمت تحكما مطلقا في كل ما يصدر عن المرء من أقوال وأفعال . أما اذا كان للشهوة أثر في الفكر ، فقد يضعف الإيمان بحقيقة براهما الفردية ، فينحرف السلوك عن جادة الطهارة ، وقد يساق الإنسان الى الإثم . فلكى يأمن طالب الحقيقة شر غواية الشهوة ، يجب أن يقطع صلته بكل ما يربطه بالأرض من علاقات ، حتى لا تستهويه مفاتن الدنيا وملاذ الحياة ، ويعتزل المجتمعات في ركن هادئ غير بعيد عن القرى التي قد يلجأ اليها ليسأل أهلها الطعام . ثم بأخذ في دراسة التعاليم الفيديية في سكينه وعمق ، وفي

أداة الشعائر الفيديّة باتقان في مواعيد رتيبة ، كما يقوم بممارسة أضراب قاسية من المجاهدة والتعذيب الجسدى ، الغرض منها القضاء على قوة الشهوة ، والسيطرة على الحواس ، وإتاحة الفرص ليتغلب العقل على الأهواء ، فيصفو الذهن ، ولا ينشغل بمطالب الدنيا ، وينصرف بكلية الى تأمل الواحد حتى لا يحس بأن هناك انفصالا بينه وبين براهما ؛ وأنها حقيقة واحدة ، فيولد بعد الموت في سماوات براهما . وإذا ما واصل التنسك يعيش بعد كل ولادة عيشة أفضل وأسعد من التي سبقتها ، ويصعد بعد كل موت إلى أن يبلغ ذروة الكمال المطلق ، وتتخلص روحه نهائيا من كل ما يتعلق بالمادة فلا تعود إلى الحياة مرة أخرى ، وتتحد ببراهما .

لم يعترض جوتاما على كل ما زوده به أرادا من تعاليم الديانة البرهمانية ، وما علمه آياه من الشعائر الفيديّة ، وما عرفه به من عقائد اليوبانيشاد ، وإنما اعترض على كيفية تحرر الروح من الجسد تحررا تاما يكفل لها الاندماج في براهما ، أى اعترض على هدف الديانة البرهمانية التي تؤمن بوحداية الوجود وترى أن سلوك الانسان يجب أن يهدف الى تحقيق اتحاد الخالق بالمخلوقات . وتساءل جوتاما عن ماهية تلك الروح التي تبقى بعد أن تتحرر من الجسد . إذ كيف تخرج الروح من الجسد ، ثم تبقى شخصية الانسان كما هي دون أن تتغير ؟ فإن النار عندما تفقد حرارتها لا يمكن أن تسمى نارا وكذلك إذا خرجت روح الانسان من جسده لا يمكن أن يسمى انسانا . وإذا زعم بأن العازف لبراهما يمكن لروحه بعد أن تتحرر من البدن أن تبقى في براهما ،

ولكن كيف تبقى شخصية العارف في براهما في الوقت الذي تحطمت فيه ذاتيته؟ وإذا ادعى بأنه عندما يندمج العارف في براهما لا يكون هناك حقيقتان منفصلتان: حقيقة معروفة، وحقيقة عارفة، وإنما حقيقة واحدة هي براهما، ولكن كيف يكون براهما حقيقة معروفة في الوقت الذي تذوب فيه شخصيات عارفة؟

ولذلك لم يجد جوتاما في دروس أراदा ما يؤكد أن الروح يمكن أن تتخلص من الجسد نهائياً دون أن يقضى ذلك على ذاتية الإنسان، أو ما يؤكد أن شخصية الإنسان تتلاشى نهائياً في براهما. وأحس بأنه مازال هناك شك يدعو إلى الاعتقاد بأن الشخصية الذاتية تبقى في النهاية، ومادام هناك شخصية، فهناك ترجيح للولادة، وإمكان العودة إلى الحياة من جديد، ومقاساة الشيخوخة والمرض والموت، فلا نعجب إذ لم يقتنع جوتاما بأراदा. ولقد نصح أراदा جوتاما بأن يتوجه إلى الناسك أ درا راما لعله ينجح في زيادة الإيضاح، وتقريب حقيقة فناء الروح في براهما إلى ذهنه. فأخبره أ درا بأن هدف الزاهد هو تخليص إنبيته من المادة حتى تقتصر على فكرياً ولا فكري، ثم لا يبقى لها وجود، فلا تعود إلى الحياة من جديد، وتظل على الدوام متحدة ببراهما. ولكن جوتاما لم يستطع أن يدرك أن شخصيه الفرد أو إنبيته الذاتية يمكن أن تزول زوالاً تاماً في براهما، وأعتقد بأن لها على الدوام وجوداً مستقلاً يدعو إلى عودتها إلى الحياة من جديد.

وبعد أن ألم جوتاما بثقافة عصره الدينية، وأخذ العلم على كبار النساك

وجد نفسه مازال لا يعرف شيئا عن طريق الخلاص وسبيل السعادة الذي هجر الدنيا من أجله ، ولم يبق أمامه إلا أن يسلك سبيل المجاهدة التي تنتشر بين عامة الناس وأن يأخذ في تعذيب جسده تعذيبا مضنيا لعله يقضي على ما يكن فيه من نزوات وأهواء ، فيكتسب قوى خلقية خارقة ، وتشف بصيرته حتى يتكشف له سبل النجاة . فتوجه جوتاما إلى غابة أورفيلا ، وسكن في غار هادى . يتدفق أمامه مجرى من الماء العذب يتجه نحو قرية كثيرا ما كان يلجأ إليها جوتاما حين يعوزه القوت ، ويستجدى من أهلها ما يلزمه من طعام . وكان هذا الغار في سفح مرتفع تحيط به أشجار باسقة ، يلذ للطيور أن تنتقل على أفنانها ، وتغرد على أغصانها ، كما كان يتخلل هذه الأشجار شجيرات ناضرة يفوح أريج أزهارها بأطيب الروائح الزكية . وعزم جوتاما أن يعذب جسده في هذا الكهف الهادى الذى سخرت عليه الطبيعة بمناظر خلابة ، وصمم على أن يميت أى انفعال ، ويزهق كل عاطفة . ويقضى على جميع نزواته حتى يتطهر تطهيرا كاملا ، وتصفو طويته من شوائب الشهوة ولم يترك سبلا معروفة لتعذيب الجسد إلا سلكها . فعذب جسده بالجوع والعطش ، وأحيانا ما كان يمتنع عن التنفس ، أو يلزم أطرافه مواضع معينة لا يغيرها أباما كثيرة ، فتقرب إليه خمسة مردين ، وأخذوه لهم رائدا ، وقاموا بخدمته ، وذلك بعد أن أعجبوا بقدرته الفائقة على تحمل مشاق المجاهدة المؤلمة ولقد ذاعت شهرته في جميع الآفاق ، وشهد له الجميع بالتفوق على كل من سلك طرق التعذيب . واستمر في معاناة آلام التعذيب فترة

طويلة دامت ست سنوات متتالية حتى ضم جسمه ، وهزل قوايمه ، وبرزت عظامه ، ولكنه بعد طول هذا العناء والنصب لم يصل إلى شوه ، ولم يحقق غايته ، فلم يجد العلم في تنوير ذهنه إلى طريق السعادة ، ولم ينفع تعذيب الجسد في تبصيره بالوسيلة التي تنجيه من توالي الولادات ، ألا يدعو ذلك إلى اليأس ، ويشعره بأن هربه من الحياة كان عملا خاطئا ، وأنه يبحث عن المستحيل ؟ وما جدوى استمراره في تحمل آلام الجوع والعطش وتعذيب البدن ؟ إنه كثيرا ما كان يغيب عن وعيه من شدة الجوع ، ومن قسوة المجاهدات التي تهلك قوى البدن دون طائل حتى إذا فقد وعيه ذات مرة وظل في غيبوبة دامت وقتا طويلا حتى ظن مريدوه أنه فارق الحياة ، ولكن كانت دهشتهم عظيمة عندما أكل وشرب على غير عادة بعد أن أفاق . لقد صمم جوتاما أن يتخلى عن تعذيب الجسد ، إذ أدرك أن الجسد الهزيل والفكر المذبذب ، والقوى المحطمة لا يمكن أن تعرف الطريق الذي يحررها من سلسلة الولادات ، بل إن قسوة المجاهدة تشل التفكير ، وتميت الحيوية ، وتعطل أي نشاط . وشاء في هذا اليوم أن امرأة كانت تسكن القرية المجاورة وكان قد سبق لها أن نذرت أن تهب الزاهد جوتاما قدرا مليئا بالأرز والحليب إذا أنجبت طفلا ذكرا ، وقد رزقت بالطفل الذكر ، فأرادت أن تفي بالنذر ، وجلبت ذلك القدر المليء بالأرز والحليب لجوتاما ، فأكل منه حتى استعاد حيويته ، وعاد إليه نشاطه ، وما أن شاهد المريدون تصرفات جوتاما حتى خاب أملهم فيه ، وتبدل تعظيمهم له إلى احتقار ، وأدركوا

أنه فشل في تحقيق هدفه فتخاذلت ارادته ، وعجز عن مواصلة التعذيب
والمجاهدة ، فتنكروا له ، وهجروه غير آسفين .

ولقد اضطرب جوتاما أشد الاضطراب عندما نبذه مريدوه ، وانتابته
نوبات من الحيرة والشك والارتباب حتى فكر في العودة الى أهله ، انهم
يبتظرونه ، وعلى استعداد تام لاستقباله بالبشر والسرور ، ولكن هل يقبل
الفشل . . ؟ لقد هجر الحياة ليحقق غايته ، فيجب أن يواصل البحث عن
هذه الغاية . فجلس جلسة القرفصاء تحت شجرة تين مصمبا على ألا يغادر هذا
المكان حتى ينكشف له طريق النجاة أو يموت . إلا أن جلسته لم تكن
هادئة مريحة إذ أخذ يتتابه حنين لأهله وزوجته وابنه ؛ واستبدت به رغبة
ملحة في العودة الى حياة القصور بما فيها من لذة ومتعة . وأخذت تصور له
الأهواء استحالته التخلص من الشيخوخة والمرض والموت ، وأنه يجرى
وزاء وهم خادع . ولكنه قاوم هذه الأهواء وتلك الرغبات وحاربها
بلا هوادة ولقد تعاونت الطبيعة الهائجة مع شهواته على بذر بذور
اليأس في داخله لتقلعه عن تحقيق حياة لا تعرف الشيخوخة
والمرض والموت ، فإذا بالعواصف تهب ، فتھطل عليه الأمطار الغزيرة ،
ولكنه لم يتزعزع من مكانه ، وتقذف الريح الغبار في عينيه ، وتحدث أصواتا
رهيبة مرعبة ، ولكنه كما قاوم أهواءه الشريرة ، صمد في وجه الطبيعة
الثائرة سبعة أيام بلياليها ؛ وكانت ارادته أقوى من شهواته وأقوى من تقلبات
الطبيعة فلم يأت مساء الليلة السابعة إلا وقد اتضح لجوتاما حقيقة الحياة ،

وعرف سبيل النجاة، وأدرك أين توجد السعادة الحقة . فأستنار ذهنه لكل ما كان غائبا عنه، ولم يعد بجوتاما شخصا عاديا، أو زاهدا بسيطا، وإنما أصبح « بوذا »، أى المستنير الذى تبين له سر الألم فى الحياة، وذهتدى إلى كيفية التخلص منه، وتحقيق حياة لا تعرف الآلام والمسرات لأنها غوق الآلام والمسرات .

الفصل الرابع

طريق الخلاص

أخيراً اطمأن جوتاما على مصيره ، وحق له أن يهدأ ويستقر بعد أن عرف الطريق الذي يحول دون عودته للحياة من جديد . إلا أنه لم يعرف طريق الخلاص إلا بعد جهاد شاق طويل مضمّن : جهاد مع أهله ، وجهاد مع شهواته ورغباته ، وجهاد في طلب المعرفة ، وجهاد في تمحيص هذه المعرفة ، وجهاد في مناضلة ما دب فيه من يأس وقنوط ، وجهاد في مقاومة ما اعتراه من شك وريبة ، ثم تصميم أخيراً إلى بلوغ الحق ومعرفة طريق الخلاص أو يستشهد دونه . ولقد وفق في جلسته الأخيرة تحت شجرة التين إلى الإهتمام إلى طريق الخلاص ، بينما كيانه كله كان يدور في دوامة من الرغبات والشكوك ، ولقد وفق في التغلب على هذه الشكوك بينما تحيطه طبيعة هوجاء تبعث فيه الفزع والتلق ف عرف طريق الاستقرار وهو في خضم متقلب من الأهواء ، و عرف طريق النجاة وكل ما حوله يوم بالهلاك .

وقد يظن أن طريق الخلاص قد طرأ على خاطر جوتاما فجأة دون مقدمات سابقة ، وأن جلسته الأخيرة هي التي هيأت له وضع أسس الخلاص دفعة واحدة ، ولكن لا شك أن فلسفة جوتاما الدينية ما هي إلا تعبير

صادق عن خلاصة تجاربه الروحية والدينية واتصالاته الاجتماعية . لقد أحس جوتاما منذ الصغر بما يشوب الحياة من نكد وكد ونصب وتعيب ، وشعر بما يصاب به الإنسان من مصائب تبليه بالشيخوخة والمرض والموت فأوحت اليه مشاهداته ، وأهدته خبرته إلى أن الحياة أساسها الألم ، ولا تبعث إلا على الحزن ، وهي سلسلة لا تنهى من المخاوف والعذاب لا يستطيع أن يتخلص منها أحد ما لم يبحث عن علة هذا الألم ويدرك أسبابه الحقيقية . فعرف جوتاما أن علة ما يعاينه من الألم يرجع إلى الجهل أولا وقبل كل شيء ؛ ثم إلى الشهوة خصوصا شهوة الحياة التي تسبب الولادة بعد كل موت . فإن الجهل يدفعنا إلى حب الحياة والتعلق بمفاتها ، وتمعن الشهوة في طلب المزيد من اللذة والمتعة . وذلك يسوق إلى اقتراف الخطايا والآثام ، ويشجع على الاعتداء على الآخرين طمعا في ارضاء نزوات وأهواء لا تعرف الرضا . بينما الأفعال الآثمة هي التي تحدد الحياة المقبلة أي هي التي تربط الإنسان بالأرض وتسبب عودته إلى الحياة بعد كل موت ، يعاني فيها الشقاء والحزن والخوف والشك والقلق .

أما من يعرف أن الجهل هو سبب شقائه ، وعلة عودته إلى الحياة ، فيجب أن يبحث عن المعرفة الحققة التي تمحو جهله ، ليتخلص من الآلام ، لأن القضاء على الآلام فيه قضاء على النتائج . فالقضاء على الجهل فيه قضاء على شتى صور الألم ، وإن المعرفة الحققة هي التي ترحمنا من قسوة الآلام . وتتكون المعرفة الحققة من حقائق أربع هي :

- ١ - إن الحياة تقوم على الألم .
- ٢ - إن علة هذا الألم هو تعلق الشهوة بالحياة .
- ٣ - إن استئصال رغبة حب الحياة فيه استئصال للألم .
- ٤ - إن اتباع الطريق المثمن كفيل بالقضاء على حب الحياة .

ويجب أن يعرف الفرد هذه الحقائق الأربع بمطلق حريته دون أن تعرض عليه من قوة أرضية أو من تعاليم سماوية ، ويؤمن بها طواعية دون إلزام ، لأن المعرفة أساس طريق الخلاص ، فمن يجبر على الإيمان بمعرفة قد يشك فيها ، والشك يعوق النجاة من الآلام . كما أن مجرد معرفة الحقائق الأربع ، والاعتقاد في صدقها لا يكفي للتحرر من توالي الولادات ، لأن معرفتها هو بداية طريق الخلاص ، وأن إلزام هدى الطريق المثمن هو الذي ينجي من الآلام ؛ وينقسم هذا الطريق إلى ثماني شعب وهي :

- ١ - العقيدة الصادقة .
- ٢ - النية الصادقة .
- ٣ - القول الطيب .
- ٤ - الفعل الحسن .
- ٥ - العيش السوي .
- ٦ - الجهد القيم .

٧ - الوعي السليم .

٨ - التأمل الصالح .

ولم يجد جوتاما أن هناك أفضل من عقيدته التي تقوم على الإيمان بالحقائق الأربع ، وعدم الارتباط بوجود الروح الفردية أو الروح الكبرى ؛ وأن ما يتناسخ ليست الأرواح المزعومة . فإذا آمن أحد بهذه العقيدة لا يكفى طالما كان سلوك الفرد غير فاضل ، ولذلك يجب أن يكون صافي النية ، طاهر الطوية ، لا يكن للغير أى شر أو حقد أو حسد ، يحب خير الجميع ويعمل لخير الغير على الدوام . وذلك لا يتحقق ما لم يكن حلو الحديث . يتجنب الكذب والنفاق والرياء والنميمة والغيبة ، يتوخى الصدق في القول ، ويبعد عن لغو الحديث ، فلا يسب أحدا سباً يشين سمعته ويخدش كرامته ، ولا يعنف في القول . كما يجب أن يكون سلوكه فاضلاً ، لا يأتي منكر الأفعال ؛ ولا يعتدى على حقوق الغير ، لا يقتل أى كائن حي ، ولا يسرق ، ولا يفش ، ولا يتعاطى الخمر والمخدرات ، ولا يزنى . لأن اجتناب مثل هذه الأفعال المشينة يقوم سلوك الفرد ، ويكسبه فضائل خلقية ، ونخضال حميدة تهيب له عيشة صالحة سوية . تعينه على اتباع طريق وسط لا يتهاوى فيه في طلب الملذات الخسبة أو المغالاة في تعذيب الجسد . ويقوم بجهد قيم فلا يقوم بصلوات أو يتلو عبادات ، ولا يهتم بأداء أى نوع من الطقوس والشعائر ، ولا يضيع وقته في طلب رحمة إله أو معونة رب ، ولا يعتمد على تحقيق مآربه الا على أفعاله فقط لا غير ويوجه كل جهده

نحو تطهير فكرة وتصفية ذهنه فلا يدع للشر سبيلا الى عقله ويعمل على تنقيته من كل شر يكون قد تسرب اليه ولا يألو جهدا في اشاعة الخير في طيات الفكر حتى يشمله من كل جانب . واذا ما طهر الإنسان لسانه وأفعاله وفكره يكون قد وصل الى مرتبة من الوعي السليم الصالح ، فيستطيع أن يتحكم في الانفعالات الجامحة والمشاعر المضطربة والرغبات الملحة والأفكار الشريرة . بفضل ما اكتسب من خصال خلقية عديدة ، ومن قوى ذهنية تليدة . بذلك يسيطر على نزعاته ونوازعه ، ويتغلب على ميوله وأهوائه ، ويصل الى درجة من الطهارة يكون فيها الذهن صافيا صفاء تاما ، فيقدر على تنقية عقيدته من الشكوك والريب ، وإذا تبدد الشك يقوى الإيمان بالحقائق الأربع وقوة الإيمان تدفع للتخلص من النواقص والعيوب ، فيتاح للذهن الصافي فرصة للتأمل الهادى . فى الحقيقة المطلقة تأملا خاليا من كل مؤثر خارجى ؛ لا تعرفه رغبة ، أو تعرفه شهوة فيسير على الدوام فى الطريق المثمن غير متخاذل حتى يقطع صلته بالوجود ، ولا يولد على الإطلاق ، لا فى الأرض أو فى السماء ، ويصل الى الرفانا حيث الهدوء المطلق والسكينة التامة والراحة الكاملة ، حيث لا يوجد آلام وأفراح ؛ حيث تبلى الشهوات وتنعدم الرغبات وتلاشى الحواس ؛ حيث تصفى المشاعر وتستقر الأفكار . حيث السلام الدائم والرضاء المتواصل الذى لا يشوبه الشقاء والحزن والخوف والشك والقلق .

ولا يبلغ الإنسان الرفانا الا اذا سار فى الطريق المثمن الى آخر مداه ولا يمكن لإنسان أن يقطع هذا الطريق فى حياة واحدة ، ويحتاج الى آلاف

السنين يتردد خلالها على مختلف الكائنات الحية ، وينتقل فيها ما بين الأرض والسماء ، ويعمل في كل منها على أن يتخلص شيئاً فشيئاً من النواقص العشر وهي :

- ١ - الوهم .
- ٢ - الشك .
- ٣ - العمل لكسب القوت
- ٤ - الشهوة الجنسية .
- ٥ - الكراهية والحقد .
- ٦ - حب الحياة الأرضية .
- ٧ - الرغبة في الحياة السماوية .
- ٨ - الكبرياء .
- ٩ - الغرور .
- ١٠ - الجهل .

ويمكن أن يتخلص الإنسان من هذه النواقص بعد أن يمر بمراحل أربع . في أول الأمر يجب أن يهجر الإنسان الحياة ، ويقطع صلته بالمجتمعات يستجدي طعامه . ولا يلجأ لعمل ليربح ما لا يفتات منه أو يقوم بعمل يعود عليه بالفائدة بينما يضر الآخرين ثم يتخلص من كل الأوهام التي غرستها شتى الديانات في العقول حتى لا يشك في تعاليم بوذا أو يثق في أثر الشعائر الدينية وتقريب القرابين للآلهة في تحرير الإنسان من الآلام أما

إذا أضعف قوى شهواته ورغباته وأحقادها علاوة على الإيمان بالحقائق الأربع والسير في الطريق المثمن فلن يعود إلى الأرض إلا مرة واحدة . وعندما يفضى إلى الشهوة الجنسية والزعات الشريرة والأناثية فلن يرجع إلى الأرض وقد يعيش في السماء بينما الإنسان الذي تحرر بمجهوده الخاص من كل الرغبات سواء أتانت مادية مثل الرغبات الأرضية والحسية أو غير مادية كالرغبة في التمتع بنعيم الجنة في السماء والحياة بقرب الآلهة ، وتحرر من الغرور والكبرياء والجهل فإنه لن يرجع لا إلى الأرض أو إلى السماء ولن يولد في أجسام أرضية أو في صور إلهية . وإنما يبلغ النرفانا فيخرج من نطاق الألم والسرور ، ويصبح فوق الأحزان والأفراح ، ولا يأتي من الأفعال ما يربطه بالحياة فيعيش في هدوء تام في الخير المطلق وفي الحكمة السرمدية .

لقد عرف بوذا طريق الخلاص الذي يزيل سبة الجهل ، ويخمد نيران الشهوات ، ويؤدي إلى المعرفة الحقة التي تحميه من شقاء الحياة ؛ فرسم البرنامج الذي يقضى على أسباب الشقاء ولكن معرفة الحقائق الأربع واتباع هدى الطريق المثمن ، والتخلص من النواقص العشر والسير في مراحل طريق الخلاص الأربع حتى يبلغ منتهاها ، ويصل إلى حالة تخلو من الآلام والأحزان . . . هل كل هذه الوسائل تحول دون عودة الإنسان من جديد إلى الحياة سواء أكانت هذه الحياة في الأرض أو في السماء على صورة إنسان أو على هيئة إله ؟ أن طريق بوذا في تحرير الإنسان من الشقاء لا يختلف كثيرا عن طريق الديانات الأخرى المعاصرة له في تحقيق السعادة الحقة . إلا أنه يختلف مع هذه الأديان في أنه لم يقم وزنا للشعائر الدينية ، وانكر

قيمة الصلوات والعبادات والدعوات وتقريب القرابين في تحرير الإنسان من الإثم والآلام : ولم ينخدع بفائدة المجاهدات العنيفة القاسية التي تكيل العذاب للإنسان في تحقيق السعادة . بينما يتفق طريق بوذا مع البيانات الأخرى في سعيها الدائب لتطهير البدن من الشر بقهر الرغبات والأهواء والتخلي بالفضائل الخلقية عن طريق الابتعاد عن الحياة ، وعدم الانغماس في متعها والإكتفاء باستجداء لقمة العيش يوما بيوم ؛ حتى تتحقق درجة من الطهارات الفكرية تمنح الذهن صفاءً يتيح له قدرة على التأمل الهادئ الرزين الذي لا يعكره شوائب المادة ونزوات الشهوة .

ولكن حينما ناقش بوذا أستاذه أراداً ، وأدرا علم منهما أن تقع الرغبات وتطهير النفس قد يدعو إلى التحرر من كل ما يتعلق بالأرض ؛ فلا يعود بعد الموت إليها ، إنما يصعد ويعيش اما في سماوات براهما أو يتحد ببراهما ويصبحان حقيقة واحدة . ولقد اعترض بوذا بأن الحياة في السماء لا تختلف عن الحياة في الأرض ، لأن الحياة تقوم على الألم والشقاء ، وأن اشتها الحياة في السماوات يدل على حيوية الشهوة وقدرتها على الإغراء وبعث الرغبات . فالحياة في السماء لا تختلف عن الحياة في الأرض ويجب أن تتخلص منهما جميعاً . أما عن القول باتحاد الروح الفردية بروح براهما الكبرى أمر لا يقبله العقل ؛ إذ كيف يفقد الفرد شخصيته الذاتية ؛ وتندم انيته في رحاب روح كبرى ؟ لأنه لا بد أن توجد الروح الفردية في الروح الكبرى على وجه من الوجوه ؛ وهذا الوجود يدعو إلى العودة إلى الحياة من جديد ؛

وهذا ما ينبغي تحرر منه. فالاعتقاد بوجود الروح الفردية ، والإيمان بإمكان اندماجها في روح براهما فيها ترجيح للعودة إلى الحياة ؛ وبذلك لا تقف سلسلة الولادات عند نهاية . ولذلك ضحى بوذا بالروح لأنه أدرك أن الإيمان بها قد يقف حائلا بينه وبين الرفانا وضحى كذلك بالروح الكبرى لأن عقته لم يفهم كنه هذه الروح وطبيعتها ، ولم يدرك كيف يمكن أن تتحد بها الأرواح الفردية . فأنكر أن الإنسان مكون من جسد وروح لأنه أخذ ينتقب عن الأجزاء التي يتكون منها الإنسان ؛ فوجد أنه مكون من مجموعة من الكيفيات المختلفة لا يوجد بينها الروح ؛ فلم يعترف بوجود الروح ، وأصر على أن الإنسان لا يخرج عن الكيفيات الآتية :-

أولا : الصفات المادية .

ومنها العناصر الأربعة من تراب وماء ونار وهواء ،
ومنها أعضاء الحس الخمسة ، ومنها كيفيات المادة الأربع
من شكل وصوت ورائحة وذوق ، وغيرها من العوارض
المادية المختلفة كالمكان والحركة والتآكل والتغير والتبدل .

ثانيا : الحواس :

وهي ست حواس : منها الحواس الخمس المعروفة من
بصر وسمع وشم وذوق ولمس أما الحاسة السادسة فهي
التذكر .

ثالثا : الأفكار المجردة :

وهي الصور الذهنية للأشياء المحسوسة التي ترد للذهن
عن طريق الحواس .

رابعاً : الميول والإتجاهات النظرية :

وهي ما يتصف به الفرد من ذكاء وغيباء ومن غيرية
وأفانية ، ومن استقامة وقوة شكينة وفسق وضعف
في العزيمة .

خامساً : الفكر :

وهو القوة العاقلة الواهية .

وهذه الكيفيات الخمس تشمل الجسم وأعضائه وقواه الحسية
والشعورية والعقلية ، وليس بينها ما هو ثابت لا يتغير ، ولا تخفى
وراءها مبدأ يقومها يسمى الروح . فإن الصفات المادية عرضة للتغير
والتبدل ، وإن الحواس والذهن كثيراً ما تختلف إدراكاتها بالنسبة
لل فرد من حين لآخر ، لذلك كانت الإحساسات والمشاعر والأفكار
متغيرة على الدوام لا تثبت على حال ، لأن الجسم متغير وتغير
جميع أعضائه ووظائفه وقواه تبعاً لتغيره . والأفكار متغيرة لأنها
لا ترد إلى الذهن إلا عن طريق اتصال الحواس المتغيرة بالأشياء الخارجية
المتغيرة أيضاً ، بل إن الذهن لا يبقى على حالة واحدة في لحظتين
متتاليتين ، وهو في تدفق مستمر كتدفق تيار النهر الذي لا تستقر
قطرة من مياهه في مكان واحد لحظتين متتاليتين . فالذهن في تغير

دائم ، ولا يظل على حالة واحدة ، وليس الذهن إلا مجموع تلك التغيرات المتواصلة التي ليس بينها حقيقة ثابتة مطلقة كالنفس أو الروح . فعند تحليل الإنسان إلى مكوناته الأولى لم يجد بوذا الروح فلم يجد ما يدعو إلى الاعتقاد بوجودها ، ورأى أن الروح ليست إلا اسماً لا مسمى له ، وأنها وهم باطل لا سند له من الواقع ، والإيمان بها يعوق تحرير الإنسان من الحياه . ولذلك لا يجب على أحد أن يتكلف بمشقة أداء الشعائر والمراسيم والطلاسم الدينية أو تقريب القرابين لتطهير الروح من الآثام لأنه ليس هناك روح على الإطلاق حتى نطلب لها الكفارة من أجل الطهارة . وإذا عجز بوذا عن العثور عن الروح الفردية في الإنسان ، لا شك أنه عاجز أيضاً عن العثور على روح براهما الكبرى في رحاب الكون ، وزعم أن الجدل في سبيل التدليل على وجودها ضرب من العبث لا يثير إلا مشكلات لفظية ، ونوعاً من الحوار لا يؤدي إلى حقائق حاسمة ، ولذلك يجب أن نتجنب الحديث عن الروح الفردية ، وأن نمتنع عن ادخول في مناقشات حول الروح الكبرى حتى لا نتعب عقولنا بأمور عقيمة الجدوى .

ولكن كيف يتفق انكار وجود الروح مع الإيمان بالتناسخ ، لأن العرف المتداول بين الهندوس هو أن الروح هي التي تناسخ ، وتنتقل من بدن لبدن ، فان شق على بوذا أن يعثر على الروح في الإنسان، فكان الأولى به أن ينكر التناسخ كذلك ، اذا ما الذي يولد بعد كل موت ؟ وكيف ينتقل

الإنسان من حياة الى حياة أخرى؟ وما الذى يربط حياة بحياة اذا كان جميع كيان الإنسان عرضة للتغير وليس فيه مبدأ ثابت..؟!

إن بوذا الذى ضحى بالروح لا يستطيع أن يضحى بالتناسخ، لأن عقيدة التناسخ، فضلا عن أنها عقيدة شمية سيطرت على تفكيره سيطرة تامة منذ الصغر، فهي التي أخافته من الحياة، وهي التي أوهمته بأن آلام الحياة لا تنتهى بالموت، فإن تنكر للتناسخ لكان عليه يتذكر لنضاله التقشفى كذلك منذ أن بدأه بهجرة أهله إلى أن انتهى بالاستنارة تحت شجرة التين. فلا تعجب اذا اعتقد بوذا أن التناسخ حقيقة بديهية لا تحتاج لبرهان أو دليل، ولم ير فيها حقيقة خارجة عن نطاق ادراك العقل البشرى، وآمن بها لأنه أحس في داخله بأنه عاش قبل ذلك مرارا. وكثيرا ما كان يتذكر قصصا حدثت له في حياة سابقة، وتذكر أنه ظهر في كثير من الحيوانات من غزلان وقرود وأفيال، وخيل وكلاب وفيران، ومن زواحف وثعابين ومن طيور جارحة وبرية ومستأنسة، كما تذكر أنه ظهر في صور بشرية متنوعة، فظهر عشرات المرات في صور العبيد والزراع والتجار والأمراء والملوك والزهاد والملائكة. وبذلك تشهد حياة الفرد الذهنية على أنه سبق أن وجد في الحياة قبل حياته الحالية. فلم ينكر بوذا التناسخ كما أنكر الروح تمثيا مع مطلق إنكار كل ما لم يجد له العقل أصلا واقعا في الخارج، لأنه لا يستطيع أن ينكر عقيدة شعبية لها آثار عميقة في نظم المجتمع، ورسخت في أذهان الجميع مع مرور الزمن؛ كما أنه لا يستطيع أن ينكر جهاده في التنسك الذى

اتخذ من التناسخ موجها ورائدا ، والا كان كل ما بذله من جهد وجهاد ونضال في طلب المعرفة والسعادة لا مسوغ له ، وتكبد كل ما قاساه من تعذيب ومجاهدة من غير طائل ، وكان سعيه في طلب النجاة نجاة نهائية من آلام الحياة غير مفهوم . إن رغبته القوية في التخلص من توالي الشبخوخة والمرض والموت هي التي فرضت عليه أن يؤمن بالتناسخ دون أن يبحث عن المبررات العقلية التي تسند حقيقة التناسخ .

فإن كان بوذا يؤمن بالتناسخ ؛ إلا أنه ينكر أن الروح هي التي تتناسخ ؛ أو هي التي تربط حياة بحياة ، وإنما الذي يوصل حياة بحياة هي الكارما التي ليست إلا مجموعة النتائج المترتبة عن سلوك الفرد في ولاداته السابقة ، وهي التي تنتقل إلى كل حياة جديدة . وإن الحيوان والإنسان والملائكة جميعا يموتون ويولدون في صور تحددتها الكارما أي أفعال الفرد الماضية وسلوكه السابق في الولادات السالفة ؛ فقد يولد الإنسان في صور أفضل أو أخط حسب الكارما . فالإحساسات الآثمة والأفكار الفاسقة والأفعال الشريرة تحط من نوع الحياة الآتية بعكس تجنب الآثام والفسوق والشر سواء في القول أو في العمل والسير حسب هدى الطريق المثمن يجعل الحياة القادمة خيرا من حياته الحالية . ولذلك يجب على كل فرد أن يركز فكره ، ويتأمل تأملا هادئا عميقا حتى يتذكر كل حياة عاشها قبل حياته الحالية ، ويبنى شتى تفاصيل أفعاله وظروفها حتى يلم بجميع أوزاره في ولاداته السابقة ، ليعمل على إزالة آثارها ويظهر من شرورها . إن حياة الإنسان نتيجة حتمية لخطاياها السابقة

فهو لذلك مسئول عن حياته الحالية مسئولية تامة . فإنه يمكنه أن يرفع من قيمتها أو يحط من شأنها بأفعاله وسلوكه . فليس للقدر أو للخط دخل ما فيها يتمتع به من جاه أو سلطان وفضل ، وليس للصدقة أو للبخت أثر ما فيها يشقى منه من فقر وجهل وضعف ، وليس للعناية السماوية سلطة ما فإن السماء لا تحاسب الإنسان فتعاقبه إذا أذنب وتحسن إليه إذا عمل خيرا . إنما سلوكه وسلوكه فقط هو الذى يعاقبه ويثيبه ، وأن نتائج أفعاله هى التى تحدد نوع حياته القادمة . أى أن الكارما هى التى تبعث صورته الجديدة . بل هى الصانع الأول لشتى صور الكائنات الحية . فإن نجح الإنسان فى القضاء على الكارما التى ليست إلا تبعة الأفعال أمتنع عن الظهور فى صورة من الصور الحية . ولا يمكن القضاء على الكارما الا بالامتناع عن الأفعال ذاتها سبب وجود الكارما . حتى لا يترتب على هذه الأفعال نتائج تكون كارما جديدة تنتقل من جسم لآخر . وإن السبيل الوحيد الذى يقضى على الكارما هو أولا : معرفة الحقائق الأربع ، وعدم الاعتراف بوجود الله ، والإيمان بأن الكارما هى التى تتناسخ وليست الروح . ثم اتباع خطى الطريق المثمن ثانيا حتى تتحقق النرفانا بعد أن تتناسخ الكارما على أجسام كثيرة متنوعة ، وتردد ما بين الأرض والسماء ، خلال أحقاب طويلة من الزمن . إن من يصل إلى النرفانا لا يأتى من الأفعال ما يسبب عودته الى الحياة ، فهو لا يأتى خيراً حتى يتاب عليه ؛ أو يقترف شراً حتى يعاقب عليه ويظهر فى صور من صور الحياة ؛ فلا يوجد هناك داع لولادة جديدة ، ويمتنع السبب الذى يبعث الحياة ؛ فيفلك من دائرة الولادات لأنه حطم قوى الشهوة التى ترغب فى متع الأرض ونعيم السماء ، فهلكت الكارما ، وزالت قوة بعثها للحياة

ولا يولد أبدا بعد ذلك . وهكذا وصل بوذا للاستنارة بعد أن عرف طريق التخلص من الشهوة بالقضاء على الكارما الذى أدى القضاء عليها الى الامتناع عن الأفعال الخيرة والشرير جميعا . وبفناء الكارما يبلغ الإنسان النرفانا حيث لا آلام ولا أفراح حيث الهدوء التام والسكينة المطلقة وهى نهاية الرحلة الإنسانية ونهاية مطاف كل طالب للخلاص من الآلام لأنه لن يولد بعد هذه الحياة ، ولأنه بلغ آخر مراحل الحياة . لا شيء على الإطلاق ، وحيث العدم الذى ليس بعده وجود .

الفصل الخامس

بوذا ينشر دعوته

وما أن اطمأن جو تاما على بلوغ هدفه ، وأصبح بوذا المستنير ، وتخلص من آلام الحياة ، وأدرك أن حياته الحالية هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الولادات التي مر بها ، وتأكد من أنه لن يولد بعد هذه المرة ، لأنه بلغ مرتبة النرفانا التي ليس بعدها موت أو حياة وليس فيها آلام أو أفراح ؛ حتى راود عقله أفكارا متضاربة بخصوص الاحتفاظ بسر الخلاص من آلام الحياة أو إعلانه على الملأ ، إذ خشى أن لا يفهم طريق الخلاص عامة الناس . لأن بينهم الذكي والغبي ، والخير والشرير ، المنغمس في لذا الدنيا والمنصرف عنها ، المرتبط بالأرض بروابط قوية والمتحرر منها . ولا يمكن أن يفهم النظرية البوذية إلا الحكيم الذكي الخير المسيطر على الشهوات المتحرر من الأهواء والرغبات . ولذلك تردد بوذا في أول الأمر في نشر تعاليمه خوفا من ألا يفهمها أغلبية الناس ، وتضيع جهوده سدى بدون فائدة ، وفضل أن يحتفظ بأسرار تعاليمه لنفسه . ولكن ما يغمر الإنسانية من شقاء وبؤس ، وما يعانیه الناس من الآلام والأحزان دفعة لأن يسعى لإنقاذ البشرية مما تعيش فيه من عذاب مرير ، فعزم على أن يعلن ما وصل إليه من معرفة رحمة بالبشرية وحبها لإخوانه في الإنسانية ، ولم يكثر

لاى نوع من الصعوبات مستعدا أن يتحمل فى سبيل نشر تعاليمه مختلف المتاعب وأن يواجه شتى العقبات ، وعقد النية على أن يحرر الإنسان من شهواته وأهوائه ، ويبين له الطريق السوى الذى يقوده إلى النجاة من عذاب الأرض ، ويهدى الجميع إلى الحق الذى ينقذهم من نكد الحياة .

ثم أخذ بوذا يفكر فىمن يستطيع أن يفهم كنه تعاليمه فهما صحيحا ليبدأ بإعلان هذه التعاليم إليه ، فخطر على باله أن يبدأ بإعلان دعوته إلى أستاذه أرااما الحكيم الذكى الخير الذى بلغ درجة رفيعة من الطهارة والصفاء الذهنى . ولكن حينما ذهب إليه وجد أن المنية قد وافته قبل ذهابه بسبعة أيام . فتوجه إلى أستاذه الثانى أدراراما وهو لا يقل عن أستاذه الأول ذكاء وطهارة إلا أنه توفى كذلك فى مساء اليوم السابق على ذهابه إليه . ثم فكر فى أمر المريدين الخمسة الذين قاموا برعايته مدة ست سنوات المجاهدة الشاقة وانفصلوا عنه لرجوعه عن المجاهدات والتعذيب الجسدى . وحيث أنهم يقيمون ببلدة إيسباتانا القريبة من بنارس فى غابة الغزال استراح بوذا فترة من الزمن فى غابة أورفيلا ثم سار اليهم . ولما اقترب منهم وشاهدوه عن بعد قالوا لبعضهم بعضا إن جوتاما قد تنكب عن الطريق الحق وانصرف إلى متع الحياة ، وتوقف عن المجاهدة والتعذيب الجسدى ورجع إلى الحياة العادية ، وقد امتلأ جسمه ، وتيقظت حواسه ، وجلت تقاطيع وجهه ، وهو لا يستحق منهم الاحترام أو التبجيل ، ولا يجب أن يظروا له شيئا من الترحيب ، ولكن حيث أنه من طائفة الكشاثريا ومن

أصل طيب ومن نسل الحكام فلا مانع من أن يعرضوا عليه الجلوس معهم فقط لا غير . الا أنه عندما قدم نحوهم لم يقدرُوا أن ينفذوا ما قد صمموا عليه واذا هم يقفون احتراماً له وانحنوا تعظيماً لمقامه ، وأظهروا له كثيراً من الترحيب فأخذ أحدهم يعد وسادة الجلوس ، وأحضر آخر الماء ليغسل قدميه وبالغوا في اكرامه ، إلا أنهم كانوا يخاطبونه باسم عائلته العادى ، فنبههما الى أنه لا يجوز مخاطبته باسمه لأنه وصل الى مرتبة الاستنارة وأصبح بوذا أى المستنير الذى يحيط بالحقائق الأولى وبلغ نهاية طريق الخلاص ولذلك يجب عليهم أن ينادوه باسم بوذا ، فتعجب المريديون الخمسة من بلوغ جوتاما مرتبة الاستنارة إذ كيف يصبح بوذا بعد أن أقبل على متع الحياة ، وأدبر عن المجاهدة والتعذيب الجسدى ؟ فأخذ بوذا يعرفهم بأفكاره الجديدة فى الطريق الوسط الذى لا يغالى فى الزهد والتقشف والمجاهدة والرياضة ولا يبالغ كذلك فى طلب المتع الأرضية ولا يطلب من الطعام والشراب الا ما هو ضرورى لحياته ويكفل للذهن اليقظة والحوية والصفاء . ونظرا لقدوم فصل الصيف الممطر اضطر بوذا أن يقيم معهم فى غابة الغزال . وكان يتناوب هؤلاء الذسك يوماً فى استجداء الطعام الذى يأكلونه جميعاً . فكان يبقى يوماً ثلاثة منهم مع بوذا ويذهب الآخرون للقريبة المجاورة لاستجداء الطعام وفى اليوم التالى يبقى مع بوذا إثنان ويذهب الثلاثة الآخرون لإحضار الطعام . فتمكن بوذا من أن يلقن لمن يبقى معه تعاليمه . وبعد خمسة أيام عرف الكل شتى نواحي مذهبه ، وآمنوا بصدقها ولقد كانوا عرضة للولادة من جديد فلما أقبلوا على تعاليمه بلغوا مرتبة الترقانا

وتحرروا من سلسلة الولادات ونجوا من عذاب الحياة .

وكان يعيش في ذلك الوقت تاجر ثرى له ابن وحيد شاب يدعى ياسا .
وقد أتاح له والده جميع وسائل المتعة . فأنغمس في الملهذات ، ونعم بسكنى
ثلاث قصور ينتقل بينها كلما تغير فصل من فصول السنة . وكان يسكن
قصر فصل الصيف الممطر ، يحيط به الراقصات والمغنيات . وحدث أن
ضاق ياسا ذرعا بحياة اللهو ، فقام من نومه في ذات يوم مبكرا بعد ليلة
صاخبة فشاهد محظياته وهن نائمات فوجد منهن من يغطن في نومهن غطا
مزعجاً ؛ ومنهن من يسيل اللعاب من فيهن بشكل تشمئز منه النفوس ومنهن
من تبثر شعرهن ، واختلطت زيتتهن فبدأ قبحهن ، ولاحظ ياسا ما هن عليه
من دمامة وتقزز من منظرهن ، فغمرت الكآبة نفسه . فخرج من قصره
من غير هدف هائما على وجهه حتى ذهب بعيدا خارج المدينة واقترب من
بلدة إيسباتانا التي بها بوذا والذسك الخمسة . وبينما كان يسير في غابة الغزال
كان يتأوه حزنا وحسرة وألما ، وصدر عنه أنين مكتوم ينم عما يعاينيه من
عذاب ورغبة في الخلاص منه ، فسمع بوذا تأوهه وأنينه وشاهد مشيته
المضطربة القلقة ، ولاحظ هيئته الحزينة . فتقدم إليه ودعاة الجوس ورحب
بمقدمه ، ثم أخبره بأن عنده ما يريحه مما يعاينيه من عذاب وحزن . وأخذ
يلقى عليه تعاليمه التي أعادت إليه الإطمئنان .

أثناء تلك الفترة كانت أم ياسا ذهبت إلى حجرة نومه . فلما لم تجده
انشغل بالها ، وأيقظت والده ، وطلبت منه أن يبحث عنه . فأرسل بعض

الرجال الى أركان مدينة بنارس الأربعة . وذهب هو بنفسه إلى بلدة
ايسباتانا ، فشهد بوذا والد ياسا عن بعد ، ولما اقترب منه رحب به .
وفرح التاجر الكبير برؤية ابنه ثم دعاه بوذا للجلوس ، وأخذ يلقي عليه
كذلك تعاليمه فاقنع بها التاجر وآمن بها . ولما عاود ياسا الاستماع إلى تعاليم
بوذا استنار فكره ، ونظرا لأن أعماله في حياته السابقة كانت فاضلة تحرر
من الشهوات بسرعة وبلغ مرتبة النرقانا ، وخرج من دائرة الولادات ، وأبلغ
أباه بأنه لا يستطيع أن يعود إلى حياته السابقة بعد أن وصل إلى الاستنارة .
ولكن والده ألح عليه ليعود لأن والدته تكاد تموت من شدة البكاء والحزن
فأخبره بوذا بأن ياسا لا يستطيع أن يعود إلى حياة الشهوات والرغبات بعد
أن تحرر منها . فما كان من التاجر الثرى إلا أن دعا بوذا وياسا إلى قصره
ليقنع بوذا والدة ياسا بذلك . فلما ذهب بوذا وياسا إلى قصر التاجر جلست
بجوارهما أم ياسا وزوجته اللتان أخذتا تنصتان إلى أحاديث بوذا التي قصد
بها تطهير الذمير وإزالة ما به من أوهام واعداده لقبول تعاليم بوذا . بعد أن
أخذت الأم والزوجة في إعداد الطعام وانتهى بوذا من تناوله ألقى عليهما
دروسا في الحقائق الأربع وبقية تعاليمه حتى آمنا بها فكانت أم ياسا
وزوجته من أوائل النساء اللاتي اعتنقن تعاليم بوذا .

ولما سمع أقرباء ياسا وأصدقائه بأنه هجر الحياة وحلق شعر رأسه ولحيته ،
وارتدى اللباس الأصفر وأصبح زاهدا يشهد طعامه ذهبوا لمعرفة تعاليم
الدين الجديد ، فقدم إلى بوذا ، ولما عرفوا منه تعاليمه آمنوا بها ، وبلغوا

كذلك مرتبة الرفانا . ولما انتشر خبر ايمان ياسا وأقاربه وأصدقائه بدين بوذا أقبل على بوذا عشرات الأهالي ليخلصهم من عذاب الحياة حتى بلغ عدد من اعتنق تعاليمه ووصل الى مرتبة الاستنارة حوالي واحد وستين فردا . وما أن تأكد بوذا من أنهم عرفوا تعاليمه معرفة تامة واضحة طلب منهم أن يتفرقوا جميعا - ماعدا ياسا الذى ظل بجوار والدته - فى جميع أنحاء البلاد ، وينشروا التعاليم البوذية بين الأهالي ، ويهدوهم الى طريق النجاة من عذاب الحياة .

أما بوذا فذهب بمفرده الى بلدة سيتا التى تقع عند سفوح جبال كياكا بالقرب من غابه أورفيلا حيث يسكن مشاهير الزهاد ، وتوجه إلى الناسك كاشيابا الذى كان يعيش هو وجماعته فى هذه الغابة . وكان كاشيابا وجماعته يعبدون الإله كرشنا ، ويسجدون للنار . لما طلب منه بوذا أن يقضى الليل عنده لم يكن هناك مكان خال غير غرفة للنار المقدسة ، وخاف كاشيابا أن يعرضها على بوذا حتى لا تؤذيه الحية القائمة على حراسة النار . الا أن بوذا قبل أن ينام فى هذه الغرفة بالرغم من أنه يسكنها حية شريرة . وما أن دخل بوذا الغرفة حتى هاجمته الحية ، ولمكن بوذا ظل هادئا ساكنا لم يتحرك فلذغته الحية عدة مرات ، فأحى بوذا رأسه فظن كاشيابا أن الحية قد قتلت بوذا . ولما بزغ نور الصباح ذهب كاشيابا وأتباعه إلى بوذا ، فدهشوا لأنهم وجدوا بوذا مازال حيا . وأن الحية ميتة فى طاسة بوذا ، فاحترموا بوذا أشد الاحترام وعظموه تعظيما كبيرا . فأخذ بوذا يبيء كاشيابا الذى يعبد

النار ليقبل تعاليمه بأن يبين له العلاقة بين النار المشتعلة ونار الشهوة ، وكيف أن لهيب الرغبات يملأ الإنسان حزنا وغما وقلقا واضطرابا وخوفا مما يجعل الحياة قاسية مضمّنة ، وبعد ذلك استطاع أن يشرح له الحقائق الأربع والطريق المثمن الذي يقود الى الرفانا . فآمن كاشيابا بتعاليم بوذا ولقد استطاع كاشيابا بنفوذه على أتباعه أن يحولهم جميعا الى البوذية ، فآلقوا في النهر المشاعل والأواني التي تستخدم في إشعال النار ، فلما جرف التيار هذه الأواني بعيدا شاهداها أخان لكاشيابا وهما جادا ونادا ملقاة في عرض النهر ، فظن الأخوان وأتباعهما أن حدثا خطيرا نزل بأخييهما ، فقاما لتوهما الى كاشيابا لاستطلاع الخبر . فإذا بهما يريان مر تديا الملابس الصفراء هو وأتباعه . وأخذ بوذا يطلعهما على تعاليمه فأمننا بهما وأتباعهما . وبذلك آمن الزهاد الثلاثة وأتباعهم بتعاليم بوذا ، وانصرفوا عن عبادة النار التي لا ترمز إلا الى الشهوة الجارحة والأهواء المتقلبة الفتاكة . هكذا استطاع بوذا بمهارته في الجدل والماقشة وبقوة حجته أن يحول ثلاثة من مشاهير الزهاد الى دينه الجديد فضلا عن أكثر من ألف شخص من أتباعهم . ولقد كانت سياسة بوذا في نشر تعاليمه تسير على هذا المنوال على الدوام . وإذا كان يعتمد على الجدل الهادئ والماقشة الرزينة التي تنتهي بالإقناع دون أن يفرض دينه بالقوة أو يعتمد الى سب الأديان الأخرى وتسفيه تعاليمها لكي يكسب عضواً جديداً . كما كان بوذا يهتم بإقناع كبار الزهاد بصدق

تعاليمه لم لهم من سلطان على عدد كبير من الأتباع . فجرد أن يفتنع الزاهد الأكبر حتى يقبل جميع أتباعه على دينه .

وبعد أن أمضى بوذا ثلاثة أشهر في غابة أورفيلا توجه هو والزهاد الثلاثة وأتباعهم الى مملكة ماجادها التي تقع في شرق وادي الجنجر ، وتمتد حوالي مائة ميل جنوب نهر الجنجر ومائة ميل شرق نهر سوما الذي يخرج من نهر الجنجر ويتجه شمالا بين جبال الهالايا . ولقد قصد من زيارته مملكة ماجادها أن يني بوعدة ويزور الملك بميسارا بعد أن وصل الى طريق الخلاص . فلما اقترب من مدينة راجاجريها أقام في غابة استاف . وعندما سمع بميسارا بقدوم بوذا خرج إليه في وفد كبير من رجال الحاشية وكبار رجال الدولة وحشد كبير من أفراد الشعب . وحينما رأى بميسارا بوذا عن بعد نزل من مركبته وسار إليه ، ثم ركع تحت قدميه . بعد ذلك سأله عن صحته وأحواله ورحب به بوذا ودعاه للجلوس .

وما أن شاهد الأهالي الزهاد الثلاثة حتى اختلط عليهم الأمر ، ولم يتعرفوا على بوذا ، أما بميسارا فقد استغرب لوجود هؤلاء الزهاد مع بوذا ، ثم أدرك أنهم أصبحوا من أتباع بوذا ، فكبر قدرته على اقناع زهاد من مشاهير رجال الدين بدينه الجديد . ولقد استطاع بوذا أن يقرأ ما يدور بخلد بميسارا ، فسأل كاشيابا عما دفعه لترك عبادة النار ، فأخبره بأن عبادة النار لا تنقذ أحدا من الآلام والأحزان ، ولا تقطع صلة الإنسان بالحياة أو تحرره من دائرة الولادات ، وأن النار رمز للشهوة التي تزودها الحواس بالوقود الذي يزيد من سعيها . ولقد أثار حديث كاشيابا اهتمام بميسارا ، وشوقه لمعرفة المزيد من تعاليم بوذا فلما أخذ بوذا

يوضح له هذه التعاليم أنصت اليه بشغف زائد فأخبره بوذا بأن تعاليمه تبدأ بهجرة الحياة ثم معرفة الحقائق الأربع واتباع هدى الطريق المثمن الذي يؤدي في النهاية الى النرفانا التي ليس بعدها موت أو حياة ؛ وليس فيها ألم أو لذة . وما أنت انتهى بوذا من حديثه حتى آمن بمبسارا بتعاليم بوذا واعتنق عقيدته .

وفي اليوم التالي كان قد انتشر خبر اعتناق الزهاد الثلاثة وبمبسارا عقيدة بوذا ، فتجمع الأهالي حول الكهف الذي يعيش فيه بوذا في غابة استاف ليروة ، ويستمعوا إلى تعاليمه . ولقد آمن حشد كبير منهم بالعقيدة الجديدة وتعبوا بوذا تعلقا شديداً حتى إذا سار في طرقات المدينة التفوا حوله . وعندما كان يسير بوذا وقت الظهيرة نحو قصر بمبسارا لتناول وجبته اليومية كانت تحيط به جماهير الشعب . وعندما يصل إلى القصر يستقبله بمبسارا بكل ترحيب وتبجيل . ونظرا لأن غابة استاف كانت تبعد عن راجاجريها حوالي ستة أميال وكان قطع هذه المسافة سيرا على الأقدام يتعب بوذا وأتباعه ، شيد بمبسارا استراحة في غابة قريبة عرفت باسم غابة بمبسارا أو غابة ثلوثانا . وهي تقع على أحد التلال التي في شمال راجاجريها ويجري في وسطها مجرى من الماء يتجه نحو الشمال . ولقد أهدى بمبسارا هذه الغابة بما فيها من استراحة لبوذا وجماعته ، فقبلها بوذا شاكرا ، وأقام فيها ما يقرب من شهرين ، كان يخرج أتباعه في أثنائها الى المدينة لاستجداء الطعام . وكان الأهالي يرحبون بهم ، ويتسابقون على اعطائهم كثيرا من المأكولات . وكل ذلك ساعد على ذبوع

صيت بوذا في كثير من البلاد المجاورة ، إذ شاع بين سكانها وقبائلها بأن هناك زاهدا جديدا بلغ مرتبة الاستنارة قد ظهر في الكون . فأخذت تفد اليه الوفود لتتعرف على تعاليم بوذا ، وما أن سمعتها حتى آمنت بها واعتنقتها .

ولما سمع أعظم زاهدين في ذلك الوقت بخبر ظهور بوذا المستنير توجه موجالانا وساريبوترا وأتباعهما الى غابة فلوفانا حيث يقيم بوذا واستطاع بوذا بما وهب من قدرة على الجدل ومهارة في الإقناع أن يحولهاهما وأتباعهما الى دينه . ولقد بلغ تعظيم بوذا لهذين الزاهدين الكبيرين حدا كبيرا اذ جعل لهما مكانة ممتازة بين أفراد الجماعة . ولقد أثار ذلك شعورا بالحنق بين أفراد الجماعة بما دعا بوذا لأن يهتم بوضع النظم التي تحدد علاقة أعضاء الجماعة ببعضهم بعضا ، وتعين الأحوال والظروف التي يمكن أن يصل فيها العضو الى مركز رفيع بين أعضائها . وبذلك وضع بوذا البند الأول لقانون الجماعة . وكان من بين التشاريع الأولى التي حث بوذا على اتباعها هو عقد اجتماعات دورية يلقى فيها دروسا في البوذية . اذ اعتاد زهاد رچاجريها ونساكها في ذلك الوقت أن يعقدوا اجتماعات دورية في أول الشهر القمري وفي منتصفه يحضرها الأهالي . ويستمعوا الى تعاليمهم ، فطلب بمسارا من بوذا أن يعقد مثل هذه الاجتماعات حتى تتضح التعاليم البوذية في أذهان الأهالي . فأخذ بوذا يعقد هذه الاجتماعات ويلقى فيها دروسا في المبادئ البوذية ، ثم وضع تشريعا ينظم عقد مثل هذه الاجتماعات بعد أن صار عقدها تقليدا بوذيا .

بالرغم من جهود بوذا في توضيح تعاليمه للأهالي ، فإن حماسهم للبوذية أخذت تفتت ، واقبالهم عليها أخذ يقل ، كما تعرض أتباعه لاضطهاد الأهالي . فعندما كانوا يخرجون يوميا لاستجداء الطعام كان الأهالي يستقبلونهم بالسخرية والسب . لأن الدين الجديد يفرض على من يعتنقه أن يهجر الحياة الاجتماعية في جميع صورها ، وأن يهجر أهله وأولاده ، فسل البيوت ممن يعولها من الرجال مما يؤدي الى خراب البلد . فأخذ أتباع بوذا يشكون اليه سوء معاملة الأهالي لهم ، وكيف أنهم يتهمون بوذا بأنه يعمل على تحطيم أسس الحياة العائلية مما يهدد البلد بالدمار والخراب . الا أن بوذا أجاب بأن ما يسميه الأهالي بالخراب هو السعادة الحقة وأنه لا يسعى الا اطلب الحق ، ويسير في نفس الطريق الذي سار فيه كل المستنيرين الذين سبقوه . وأنه لا يجبر أحد للانضمام الى جماعته ، وأنه لا يستخدم من الأسلحة الا الجدل والإقناع . وهؤلاء الذين كسبهم الى جماعته كسبهم بالصدق والحق الذي أعلنه لصالح الجميع .

ومن حسن حظ بوذا أنه بينما كان يجد في وضع أسس نظم جماعته ، ويجهد في توطيد أساليب مزاولة عقيدته ، ويهتم بالرد على انتقادات الشعب لتعاليمه لم تكن الديانة الهندوكية قد تبلورت تعاليمها واستقرت في النفوس . ولم يكن لها كهانة منظمة يمكن أن تقف في وجه تعاليم بوذا ، وتناقشها مناقشة عنيدة وتحاربها محاربة جديدة تزيد من عداة الشعب لها . ولذلك لانعجب اذا لم تؤثر انتقادات الشعب للبوذية في انتشار دعوة بوذا ، خصوصا بعد أن احتضنتها

الأسرة المالكة ، وآمن بها الأمراء ، وأخذ يحميها الحاكم ويحث على ذبوعها
في أرجاء بلاده .

وفي تلك المدة علم سودهودانا والده جوتاما بأن ابنه أصبح بوذا المستنير
الذي يرشد الناس الى طريق الخلاص ، وأنه بلغ مناه . فتاق سودهودانا
لرؤية ابنه فأرسل له رسولا من رجال حاشيته يصحبه عدد كبير من
الاهالي لكي يقنعوه بالعودة الى كايلافتى . الا أن بوذا تمكن من أن
يقنعهم جميعا باعتناق البوذية ، ولم يرجع أحد منهم لسودهودانا الذي اضطر
أن يختار شخصا شديد الولاء له فأرسل كالوداين رفيق بوذا في صباحه .
وقبل أن يرحل أخبره سودهودانا أنه لا يهمه اذا ما اعتنق البوذية أو لم
يرض عنها انما يهمله أن يعود اليه ويخبره بأحوال بوذا فوعده كالوداين
بأنه سيعود وسيطلب من بوذا أن يزور أهله . ولما وصل كالوداين الى بوذا
استطاع بوذا أن يدخله في عقيدته الا أن كالوداين استطاع أن يقنع
بوذا بزيارة أبيه وبر بوعده وعاد الى سودهودانا وبلغه نبأ زيارة
ابنه لكايلافتى .

وكان بوذا يود أن يرحل في الحال لأنه كان يرى أنه يجب أن ينتقل
من بلدة الى بلدة ينشر دعوته طوال السنة وفي جميع الفصول سواء في فصل
الشتاء أو في فصل الصيف أو في فصل الأمطار الا ان اتباعه أخبروه بأن
جميع المعلمين السابقين لم يرتحلوا في فصل المطر اذ ان مطر الهند غزير شديد
يصعب فيه التنقل ويعوق السير . فسار بوذا على منوال الزهاد المعلمين

القداى وأمتع عن السفر فى فصل المطر ، وظل فى غابة فلوقانا إلى أن انتهى فصل المطر ثم خرج من مدينة راجاجريها . ومعه عشرات الألوف من المرادين وتوجهوا إلى كايلافتى التى تبعد عن راجاجريها بحوالى ستين فرسخا ، وكانوا يمشون فرسخا كل يوم ، فوصلوا إلى كايلافتى بعد شهرين سيرا على الأقدام ، ولما علم الأهالى بقدوم بوذا أعدوا له غابة نيجرودها القريبة من كايلافتى ليقيم بوذا وجماعته فى استراحتها . ولما قرب بوذا من المدينة خرج الأهالى جميعا من أطفال ونساء ورجال لاستقباله والترحيب بقدومه . ولما نزل بوذا وجماعته فى استراحة غابة نيجرودها التى أعدها الأهالى لهم ذهب إليه أبوه وأعمامه وأخواله وجميع أقاربه للترحيب به لزيارته لبلدتهم ، وللمتعة برؤيته بعد طول غياب . ولقد كان سودهودانا سعيدا كل السعادة برؤية بوذا ، حتى أنه فى غمرة الفرح نسى أن يدعو ابنه وجماعته لتناول الطعام فى قصره أثناء اقامتهم فى ولايته ، وعاد سودهودانا وأسرتة إلى قصورهم دون أن ينتبهوا إلى خطأهم .

وفى اليوم التالى خرج بوذا مع بعض مريديه من غابة نيجرودها وقصدوا إلى مدينة كايلافتى لاستجداء الطعام من الأهالى كعادته فأخذوا ينتقلون من باب إلى باب يطلبون ما تجود به الأهالى من طعام . وسرعان ما انتشر الخبر فى المدينة ، وسمع سودهودانا بأن ابنه يسير فى الطرقات يشحذ طعامه ، ففزع من هذا الخبر ، وأسرع فى الذهاب إلى بوذا فى غابة نيجرودها وأخبره عن تألمه وحزنه لأنه يشحذ طعامه بينما هو ابن ملك ، وأنه

باستجدائه يجلب له الخزى والعار ، وما كان عليه أن يشهد فإن أباه في استطاعته أن يضيف جميع أفراد جماعته . فرد عليه بوذا بأن استجداء الصدقات من تقاليد جماعته ، ويشرفهم أن يشهدوا طعامهم ، وأنه ليس من نسل الملوك وإنما هو من نسل المستنيرين وهم جميعا يشهدون طعامهم .

فتدارك سودهودانا ما وقع فيه فيه من سهو ، ودعا بوذا لزيارته في القصر وتزويد جماعته بما يلزمهم من مأكولات . ولما وصل بوذا الى قصر أبيه أحسن أهله استقباله ، ورحبوا به ترحيبا عظيما ، إلا أنه لاحظ تغيب زوجته يزودهارا ، اذ لم يشاهدا بين المستقبلين ، فظن أنها تريد أن يذهب هو اليها ليشرعها بأنها مازالت عزيزة عليه فضلا عن أنها لا تستطيع أن تقوم بواجب الترحيب به على الوجه الأكمل إلا في حجرتها الخاصة . ولم يتردد بوذا في الذهاب اليها ، واصطحب معه ناسكين من مريديه ، وحذرهما من ألا يمنعاها من احتضانه إذا ما حاولت ذلك بالرغم من أن القانون البوذي يحرم أن يلبس البوذي امرأة أو تلمسه امرأة . ولكن لما شاهدت يزودهارا زوجها مرتديا ملابس النسائك الصفراء وبرأس مخلوقة - وبالرغم من أنها كانت تعلم أنه سيكون على هذه الحالة - لم تستطع أن تسيطر على مشاعرها ، وسقطت على الأرض ، وأمسكت قدميه ثم انفجرت في البكاء . ثم تذكرت الهوة الشاسعة التي بينها وبينه فوقفت بعيدة عنه . ولما شاهد سودهودانا هذا المنظر المؤثر أخبر بوذا بأن زوجته ظلت وفيه له مخلصه لحبه ، ورفضت أن تعيش حياتها المترفة ، ولم تقبل الا حياة الزهاد ، فكانت تكثف بتناول

وجبة واحدة في اليوم كالبوديين ، ولم تم إلا على حصير على الأرض ، ورفضت أن تعود إلى أهلها عندما طلبوا منها ذلك بعد أن هجرها زوجها . فأخبرها بوذا بأنها تعيش فعلا حياة طاهرة عفيفة . ويرجع ذلك إلى أفعالها الفاضلة السابقة ، فطلبت منه يزودها را أن تنضم إلى جماعته وتصير ناسكة ولكن بوذا رفض لأنه لم يكن يرغب في أن تلتحق النساء بجماعته .

وكان اليوم الثالث يوم زفاف أخيه الأصغر ناندا إلى أجمل فتاة في المدينة ، فذهب إليه بوذا وأهداه طاسة الشحاذة فلم يستطع أن يردّها واضطر أن يقبلها منه بالرغم من حبه الشديد لفتاته مع أن قبول الطاسة معناه أنه رضى أن يهجر الحياة ، ويمتنع عن العلاقات الجنسية ، فخرت فتاته لأن ناندا هجرها في يوم زفافها . وبعد أسبوع ألبست يزودها را إبنا راهولا من بوذا أحسن ثيابه ، وأخبرته أن يذهب إلى أبيه ، ويطلب إرثه الشرعى . فقال راهولا إنه لا يعرف أبا غير سودهودانا ، وتساءل عما يكون أبوه الحقيقى . فأخذته أمه إلى النافذة ، وأشارت إلى بوذا قائلة : إن هذا الناسك هو أبوك ، وعنده ثروة عظيمة لم ترها منذ اليوم الذى هجرنا . لذلك يجب أن تذهب إليه ، وتطلب حقلك فى هذه الثروة ، وقل له إنك ابنه ، وستصبح زعيم قبيلة ساكيا ، وفى حاجة إلى نصيبك فى الثروة التى يملكها ، فذهب راهولا الى بوذا ، وقال له دون خوف أو تردد ، وإنما بشوق زائد د أبى كم أنا سعيد أن أكون بجوارك وأريد نصيبى فى ثروتك ، فلم يرد عليه بوذا وكان قد انتهى من وجبته اليومية فقام لىذهب الى غابة نيجرودها ، فسار

راهولا خلفه . وبينما هو في الطريق أخذ يفكر في أمر الثروة التي يطلبها منه ابنه راهولا ، بينما هو لا يملك إلا دينه الجديد ، فعزم أن يعلمه هذا الدين ولعل والدته كانت تهدف الى ذلك . فطلب بوذا من ساريبوترا أن يلحق لابنه راهولا بالجماعة . ولما سمع سودهودانا بذلك حزن حزنا شديدا ، لأن ابنه ناندا الأخ غير الشقيق لبوذا قد أصبح مريدا له ، وانضم لجماعته وبذلك فقد ابنه ، والآن يفقد حفيده هو الآخر ولا يجد من يرث عرشه من بعده . فذهب الى بوذا ، وطلب منه أن يسن قانونا لجماعته بأن لا يقبل عضوا جديدا في المستقبل في جماعته من الشبان الصغار دون السادسة عشر إلا بعد موافقه والديه فرحب بوذا بهذا الطلب وجعله بندا في قانون جماعته .

بعد ذلك غادر بوذا كابيلافتي ، وتوجه الى راجاجريها ، إلا أنه توقف وهو في الطريق عند بلدة آمنيويا التي تقع على ضفاف نهر آنوما ، واستراح في غابة مانجو قريبة من ذلك المكان الذي سبق أن طلب فيه من تشانا السائق أن يتركه يوم أن قرر هجرة قصر أبيه . وبينما هو في هذه الغابة زاره حشد كبير من أفراد قبيلة ساكيا وقبيله زوجته كولي على رأسهم أناندا الذي أصبح صديق بوذا الحميم وديفاداتا الذي أراد أن ينافس بوذا في زعامة البوذيين ويوبالي الذي صار من أكبر قادة الجماعة ، وزاره كذلك أنورودها الذي أصبح فيلسوف البوذية ، ولقد دخل عدد كبير من قبيلتي ساكيا وكولي في جماعة بوذا .

ولما انتهت هذه الزيارات واصل بوذا السير نحو راجاجريها . وأقام في غابة استاف البعيدة عن راجاجريها ، وأمضى فيها فصل المطر الذي يمتد من شهر يونية الى شهر أكتوبر موجها عنايته إلى تثقيف أفراد جماعته . وحدث أن زار راجاجريها في هذه الفترة تاجر ثرى ومحسن كبير يدعى اناتها بنديكا ، أتى من مملكة كوشالا لمباشرة أعماله التجارية . وسمع من صديق أضافه أن هناك بوذا جديدا ظهر في الوجود ، فذهب لتوه حيث يقيم بوذا ، وطلب منه أن يطلعه على تعاليمه ويعرفه بدينه ، فرحب به بوذا وأبدى إعجابا له لحيته للاحسان على الفقراء واليتامى ، ثم أخذ يعلمه أصول دينه الجديد . بعد أن آمن بهذا الدين أخذ يلح على بوذا لزيارة بلدته شرافاستى عاصمة مملكة كوشالا لينشر تعاليمه بين أهلها ، وأبدى استعدادا لأن يشيد استراحة خاصة في شرافاستى على نفقته الخاصة ليقوم فيها بوذا وجماعته عند ذهابهم ، فقبل بوذا دعوته .

وحينما عاد التاجر اناتها بنديكا الى شرافاستى وقع اختياره على غابة تطل على نهر رابتي يملكها الأمير جيتا فعرض عليه شراءها فعالى الأمير في طلب الثمن ولكن لما عرف أن التاجر يريد أن يقيم فيها استراحة لبوذا لم يتعنت في تقدير الثمن . وبعد أن اشتراها شرع في إقامة بناء فخم مزخرف في وسطه حجرة كبيرة أعدت خصيصا لبوذا وحولها حجرات منفصلة لإقامة المرشدين وحجرات أخرى عديدة للريدين . وكان حول هذا البناء حديقة أشجارها ذات أزهار يانعة وثمار وفاكهة متنوعة وبها برك مائية

تحوم حولها طيور مغردة . وبعد أن أتم التاجر بناء الاستراحة التي سماها
استراحة غابة جيتا ، أخذ يقيم استراحات عديدة على طول الطريق بين
راجاجريها وشرفاشتي ليسترخ فيها بوذا أثناء سيره نحو مملكة كوشالا ، ثم
طلب من بوذا الحضور . ولما انتهى فصل الأمطار قام بوذا وجماعته وتوجهوا
إلى شرفاشتي حيث استقبلهم الأهالي أحسن استقبال إذ هبت المدينة كلها
للاحتفال بقدوم بوذا . واستقر بوذا وجماعته في غابة جيتا التي وهبها
التاجر له . ولقد أقام فيها بوذا طوال تسعة أشهر واتخذ منها مركزا لتنقلاته
في مملكة كوشالا . ولما قرب فصل المطر توجه الى راجاجريها وأمضى
فصل المطر الرابع بعد الاستنارة في غابة فلو فانا .

ولما انتهى فصل المطر عبر بوذا وجماعته نهر الجنجز ذهبوا الى فيشالي
عاصمة ليكشافيس التي تقع في شمال نهر الجنجز وفي مواجهة مملكة ماجادها .
وأقام في استراحة بهو كوتاجارا التي كثيرا ما كان يأوي اليها الزهاد
والذسك أثناء تنقلاتهم ، وكان يدور في بهوها الكبير مناقشات بين
رجال مختلف العقائد . وبينما هو يقيم في هذه الاستراحة سمع بوذا عن
وقوع خلاف بين قبيلته ساكيا وقبيلة زوجته كولي حول مياه نهر روهيني
الذي يفصل بين بلديهما ، فذهب الى أبيه ووفق بين القبيلتين ، وأزال
ما بينهما من شقاق ثم عاد الى بهو كوتاجارا ليقضى فصل المطر الخامس .
ولكن بلغه في هذا الفصل نبأ مرض والده ، فذهب للمرة الثانية الى
كابيلافستي وحضر وفاة أبيه ، وتقبل التعازي ، واشترك في المراسم
الجنائزية ولما عزم على العودة طلبت منه نساء ساكيا أن يدخلن جماعته

وكان من بين أولاد النساء باجاباتي زوجة أبيه ، ويزودهارا زوجته الا أنه لم يرد عليهن . وتوجه منفردا إلى فيشالي . ومع ذلك سارت جميع النساء إلى هوكوتا جارا بعد أن حلقت شعورهن وأرتدين الأردية الصفراء . فرآهن أنا ندا وهن في حالة يرثى لها من التعب إذ كانت أقدامهن منتفخة وأرجلهن متربة ، فسأل أنا ندا باجاباتي عن سبب مجيئهن ، فأخبرته بأن بوذا لا يسمح بدخول النساء إلى جماعته ، ولا يتيح للمرأة أن تهجر حياة البيوت إلى حياة النسك ، بينما هن يرغبن في الإنخراط في سلك جماعة بوذا فذهب أنا ندا إلى بوذا وأخبره برغبة باجاباتي وبقية نساء ساكيا في دخول جماعته ، فرفض بوذا ذلك في الحال . وعندئذ سأله أنا ندا إذا ما كانت المرأة تستطيع أن تصل إلى الزفانا كالرجل ، وعندما رد بوذا بالإيجاب تساءل أنا ندا عن سبب منع باجاباتي من تحقيق الزفانا وهي أخت والدته التي ربته وتولت رعايته بعد أن ماتت أمه وهو مازال في المهد ابن أسبوع ، فرضى بوذا بقبول باجاباتي في جماعته ، وبعدها سمح لجميع النساء بدخول جماعته إلا أنه اشترط في المرأة التي ترغب في أن تنضم إلى جماعة بوذا أن تسير حسب سلوك معين حدده بالشروط الثمانية الآتية : -

١ - أن تحترم المرأة كل رجل في الجماعة حتى ولو كان أحدث منها التحاقا بالجماعة .

٢ - أن تبدأ الرجل بالتحية وتقف عند حضوره .

٣ — لا تمضى فصل المطر في استراحة لا يوجد فيها رجال من أعضاء جماعة بوذا .

٤ — أن تواظب على حضور مختلف الاجتماعات .

٥ — أن تذكر في الاجتماع كل ما شاهدته ، وتروي كل ما سمعته ، وتستفسر عما تشك فيه .

٦ — إذا ارتكبت إثما أو مخالفة لنظم الجماعة يجب عليها أن تنفذ عقوبات الجماعة .

٧ — أن تقر في اجتماع الإعراف بكل ما أتته من آثام ومخالفات .

٨ — أن تقوم العلاقات بين الرجل والمرأة في الجماعة على أساس من المودة والوداعة ، ولا تحاول إمراة أن تشهر بسمعة رجل أو تنسب إليه كذبا أو إثما لم يقترفه أى لاتسبى لأحد من قريب أو بعيد سواء بالفعل أو القول .

بعد أن انتهى فصل المطر توجه بوذا الى تل مانكولا الذى يوجد بالقرب من مدينة كوشامبي عاصمة مملكة فامشى وهى تقع بقرب مدينة الله آباد شمال نهر جو ما رافد الجنجز . وأمضى فى كهوف تل مانكولا فصل المطر السادس ، ثم سار نحو راجاجريها وسمح لزوجته الملك بيسارا بدخول جماعته لأنها سبق أن طلبت منه أن تلتحق بجماعته إلا أنه رفض هذا الطلب .

وحدث في هذا العام أن ربط أحد تجار واجاجريها الأثرياء طاسة ثمينة فوق
عود من الغاب الهندي أمام جمع من النساك وأغراهم بنزع هذه الطاسة
الثمينة بالقوى الخارقة . ومن يستطيع أن ينزعها يحق له أن يمتلكها .
فاستطاع أحد مريدي بوذا نزع هذه الطاسة بالقوى الخارقة ، وأخذ الطاسة .
ولما سمع بوذا بهذه القصة عقد اجتماعا عاجلا حرم فيه ممارسة الخوارق ،
واعتبر كل من يأتيها آثم ، ولكن الملك بمبلسارا أخبره بأن هذا التحريم قد
يفسره معارضوه بأنه عجز عن إتيان مثل هذه الخوارق فسمح بوذا
لمريديه بممارستها .

وأمضى بوذا فصل المطر السابع في إقليم تافاتيمنشا ، ثم سار إلى شرافستي
ويحكى أنه بينما كان سائرا طار في السماء . وذهب إلى أمه ولقنها تعاليم
الاستنارة ، ونزل من السماء عند بلدة شانكيسا ، وسار نحو ثلاثين فرسخا
حتى وصل إلى شرافستي . وبينما كان في استراحة جيتا رمت امرأة عابثة
تدعى شنشا بأنه هتك عرضها وأعدت عن شرفها وأزال بكارتها . إلا أنه
استطاع أن يكذب ادعاءها ويبين للجميع أن أعداءه حرضوها على أن تلقى
عليه هذه التهمة لتحط من سمعته وتنزل من مكانته بين الناس . ثم
توجه إلى بلدة بهاجا القريبة من كايلاستي ، وتخف بها تلال شومشومارا
التي أمضى في كهوفها فصل المطر الثامن . وبعد ذلك ذهب إلى كوشامبي
واستقر في غابة جهوشيتا حتى أمضى فصل المطر التاسع .

واقعد حدث أثناء إقامته في هذه الغابة أول نزاع وقع بين بوذا وأعضاء

جماعته ، إذا رأى بوذا في بعض أفعال العضو ماجاندييا ما يخالف ما تواضعت عليه الجماعة ، ولكنه رفض أن يقر بغلطه أو يعترف بأن ما أتاه يعتبر اثما فانقسمت الجماعة إلى حزبين : حزب يرى أن بوذا على حق وحزب لم يرى في سلوك ماجاندييا ما يستوجب معاقبته بالمجاهدات التعزيبية ، بما أدى إلى أن يدخل الجميع في مناقشات حادة تبودلت فيها الألفاظ الجارحة وال عبارات العنيفة ، مما ساعد على اشتداد النزاع بين أعضاء الجماعة حتى توسعت هوة الخلاف بينهم فأضطر أناندا أن يطلب من ماجاندييا أن يبتعد حيناً من الوقت حتى تهدأ الحالة وتخف حدة الجدل وتستقر الأمور ، كما نبه بوذا جميع أفراد جماعته إلى أن الخلافات مها كانت لا يجب أن تفرق شملهم وتغرس البغضاء والكراهية في صفوفهم ، ويجب على الدرام وفي جميع الأحوال أن تضمهم المحبة والود في وحدة لا انفصام لها . إلا أن محاولات أناندا ذهبت أدراج الرياح وفشلت جهوده في تهدئة عنف هذه المناقشات ولم يستمع الأعضاء لنصائح بوذا واستمروا في لغوهم . بذلك حصل أول تصدع يصيب الجماعة إذ ترك بوذا الأعضاء في نقاشهم وخلافاتهم واعتزلهم جميعا ، وعاش وحيدا في غابة باريليا كما في كوخ صغير بناه له المزارعون ، وأمضى فيه فصل المطر العاشر . ولقد أحزن فراق بوذا جميع الأعضاء واعترف كل من انشق عنه بغلطه ، وتوجهوا جميعا إليه تائبين ناديين مقرين بأن ما أتاه ماجاندييا مخالف حقا لنظم بوذا . ولقد رحب بوذا بقدمهم وغفر لهم خطأهم ، إلا أنه وجه اليهم كلمات موجعة بين فيها أن الخلافات

مها عظمت لا يجب أن تخرج أحداً منهم عن الهدوء والتسكينه والرزانة ،
ويجب أن يشوب الجدال والصدقة والمحبة والحكمة حتى يمكن أن يعيش أفراد
الجماعة في انسجام دائم وتعاون مستمر .

بعد ذلك إتجه بوذا مع هؤلاء الأعضاء إلى شرافستي ومنها إلى ولاية
ماجادها وأمضى فصل المطر الحادى عشر فى إحدى قراها وهى قرية نالا البرهمية .
فراه أحد الأثرياء البراهمة يوم عيد الحصاد فرحب به أتباع هذا البرهمى
وأعطوا بوذا صدقات من الطعام . فغضب البرهمى من أتباعه وأخبرهم بأن
الذى يزرع هو الذى يأكل فقط ، أما الذى لا يزرع فلا يجب أن يأكل ،
وأن بوذا لا يستحق ما يعطى له من طعام لأنه لا يزرع . فرد عليه بوذا
بأنه يزرع كذلك . فتساءل البرهمى عن كيفية الزراعة بلا محراث أو بذور
فأخبره بوذا بأن الإيمان هو البذرة التى يفرسها فى القلوب . وأن السلوك
السوى هو المطر التى ينميه ، وأن الحكمة والتواضع هما أجزاء المحراث ،
وأن العقل هو العنان وأن المجاهدة هى الثور ، وأن الحرث هو الجهد الذى
يزيل طفيليات الضلال ، وأن الحصاد هو النرفانا . وبعد أن كان البرهمى
يحتقر بوذا فعندما سمع حديثه عظم قدره فى نظره وأمن بصدق
تعاليمه واعتنق مذهبه .

وبعد أن انتهى فصل المطر سار إلى مملكة كوشالا حيث مدينة شاتيايا
ومنها اتجه إلى مدينة فرانجا التى تقع بين نهر الجنجز ورافده جوما ، وأمضى
فيها فصل المطر الثانى عشر .

وقام بعد ذلك بأطول رحلة من رحلاته العديدة، إذ ذهب الى بلدة مانتالا جنوب الجنجز، ثم عاد الى بنارس، وانتقل الى فيشالى ومنها الى شرافستي وظل يدعو أثناء تنقلاته كماداته الى تعاليمه، ويحث أهل كل بلد يحل فيها على الانضمام الى جماعته، ويناقش الزهاد ويجادل البراهمة في أصول مذهبه ونظم جماعته. كما حرص في هذه الرحلة على أن يلقن ابنه راهولا الذى بلغ سن الثمانية عشر كيف يتخلص من روابط الحياة وقيودها، ويعده لحياة التأمل الخالص المتحرر من الشهوة والرغبة ليمهد له طريق الرفانا.

وأمنى فصل المطر الثالث عشر فى تل كاليا وهو قسم من جبال هملايا التى تقع شمال نهر الجنجز، ثم سار نحو شرافستي، ومكث فى استراحة جيتا أثناء موسم المطر الرابع عشر. ويحكى أنه استطاع أثناء اقامته فى آلافى أن يستأنس شخصا وحش الطباع غريب الأطوار يدعى آلافاكى يميل للفتك بالأطفال وحدث أن تصدى هذا الإنسان الغريب لبوذا، وقطع عليه الطريق يريد أن يفتك به، إلا أن بوذا تمكن من أن يهذب خشونة طبعه الوحشى ويحوّله الى انسان هادىء، ثم أخذ يعلمه مبادئ الاستنارة حتى آمن بها ايمانا قويا حثه على أن يقوم بدوره على نشرها واذاعتها بين الناس بدلا من من الفتك بالأطفال.

وأقام بوذا وجماعته فى راجاجريها أثناء موسم المطر السابع عشر. ولما اعتدل الطقس ونف المطر عاد الى آلافى مارا بمدينة شرافستي. وكان

يلقى في الأماكن التي يمر بها دروسا في الاستنارة إلا أنه رفض أن يعلم رجلا جائعا في آلافي قبل أن يأكل .

ولما جاء فصل المطر الثامن عشر ذهب بوذا إلى تل كالييا القريب من شراششي وأقام في كهوفه إلى أن توقف المطر ، ثم عاد إلى راجاجريها .
وبعد أن أمضى موسم المطر التاسع عشر في استراحة فلوفانا أخذ يتجول خلال مملكة ماجادها ناشرا تعاليمه في القرى . وفي إحدى تنقلاته شاهد غزالا وقع في الشراك فأطلق سراحه ، وجلس تحت شجرة قريبة من الشراك . فلما عاد الصياد ولم يجد صيده غضب غضبا شديدا ، وكاد أن يفتك ببوذا إلا أن بوذا بوداعته استطاع أن يزيل منه الغضب ويعده لتلقى تعاليمه .
فما أي سمع مبادئ الاستنارة حتى قبلها مؤمنا بها ، وحث جميع أفراد عائلته على الإيمان بتعاليم بوذا .

ولما قرب موسم المطر العشرون توجه إلى شرافستي حتى أمضى فيها هذا الفصل ، واتخذ من أنا ندا مریده الخاص ورفيقه الدائم بعد أن لاحظ من مریده السابق إهبالا في خدمته .

وبعد ذلك قام بآخر رحلة له إذ توجه إلى غابة قريبة من تل كالييا لما سمع بأن هناك مجرما يدعى آنجوليمالا يأوى في هذه الغابة ، ويسطو على أهالي مملكة كوشالا ، ويسفك دماءهم ويسلب ممتلكاتهم ويسرق أموالهم وبلغ جرمه حدا كبيرا إلى درجة أنه كان يرتدى قلادة مكونة من أصابع قتلاه . ولقد نشر هذا المجرم الرعب في كل مكان ، وتمنى ياشنادي حاكم كوشالا أن يقبض على هذا المجرم حتى يتخلص من أشراره ويوقف جرائمه عند حد ، فأمر رجال الشرطة بالبحث عنه والقبض عليه . ولكن بوذا

ذهب بمفرده إلى حيث يقيم هذا المجرم بالرغم من تحذير الأهالي له من الخطر الذي يتعرض إليه فلما رأى المجرم بوذا قادما نحوه ظن أنه قادم للقبض عليه ، فأمسك سيفه ودرعه وأعد قوسه وسهمه ، وتسرب من خلف بوذا راغبا في قتله . إلا أن آنجوليمالا لم يستطع أن يقترب من بوذا بالرغم من أنه سريع الخطى بينما كان يسير بوذا سيراً وثيداً فأحس المجرم بأن هناك قوى تمنعه من الإقتراب من بوذا ، وتحول دون قتله فخشى بوذا وهابه وكف عن محاولة الفتك به . بل إن بوذا استطاع أن يحول هذا المجرم الكاسر إلى إنسان وديع ، وأخذ يلقنه تعاليمه فما أن استمع إلى هذه التعاليم حتى آمن بها وسار وديعاً مع بوذا إلى شرافستي ، وأقام مع الجماعة في استراحة جيتا .

وحيثما ذهب الحاكم ياشنادى ليرحب ببوذا ، أخبره عن المجرم آنجوليمالا وما يرتكبه من جرائم ، وكيف أنه يخرّب المدن والقرى ويسلب أهلها ويذبحهم ولا يعرف كيف يقبض عليه ويعاقبه ، فسأله بوذا إذا ما رأى آنجوليمالا مخلوق الرأس واللحية ، يرتدى الثوب الأصفر ، وترك الحياة الدنيا ، وفضل حياة العزلة ، وكف عن القتل والنهب ، ولا يتناول إلا وجبة واحدة في اليوم ويسلك حياة فاضنة فهل يفكر في القبض عليه ومعاقبته ، فأجاب ياشنادى بأنه لاسك سوف يحله ويحترمه بل ويقدم له الأثواب ، ويهبه الطعام والسكن والدواء ، ويحميه من كل من يعتدى عليه . ولكنه عندما شاهد آنجوليمالا بين الناسك انزعج في أول الأمر ، ولكن لما تأكد

من أنه أصبح عضواً في الجماعة ذهب عنه الخوف ، واطمأن الى أن بلاده قد بجمت من شره ، وأوفى بوعدده وعفى عنه ومنع جنده من البحث عنه والقبض عليه .

وهكذا ظل بوذا طوال العشرين سنة بعد الاستنارة متنقلاً من بلدة الى أخرى ومتجولاً بين القرى ، ولم يستقر في مكان ، يقضى فصل المطر في استراحة في غابة أو في مغارات التلال وكهوف الجبال ، ويسافر سيراً على الأقدام حوالي تسعة أشهر سنوياً يمر بالقرى والمدن معلناً تعاليمه وداعياً الأهالي للانضمام الى جماعته التي أخذت في النمو والازدياد بفضل جهاده الدائب . ولقد صادفه كثير من المشاكل داخل الجماعة استطاع بحبه للسلام أن يتغلب عليها . وتمكن أن يدخل في جماعته لا الأمراء والأثرياء فقط بل أدخل كذلك المجرمين والآثمين بعد التوبة .

ولا شك في أن بوذا بعد هذا الجهاد الطويل يحق له أن يستريح من مشاق السفر ومتاعب التنقل خصوصاً بعد أن كبر سنه وضعف جسمه ، لذلك لم يستطع بعد الرحلة العشرين أن يستمر في ترحاله ، واضطر الى أن يستقر في استراحة جيتا ؛ وأصبح يقيم فيها بصفة دائمة . وبالرغم من أنه اتخذ من مدينة شرافستي مركزاً له ولكنه مع ذلك قام بما يقرب من أربع وعشرين رحلة أخرى إلا أنه لا يكاد يبعد عن شرافستي حتى يعود اليها بعد فترة قصيرة .

ولقد كانت هناك سيدة ثرية محسنة كريمة تدعى فيشا كها من بلدة بهاديا
تعودت أن تهب الفسك ما يحتاجون اليه من ما كل وملبس وأغطية . وحدث
أن رأت بعض المريدات من جماعة بوذا يسبحن عاريات في النهر فزارت
بوذا في استراحة جيتا لتناقشه في أمرهن . وكانت تزين بأثمن الجواهر إلا
أنها خلعت هذه الجواهر قبل أن تدخل الاستراحة ولفتها في قطعة قماش
وأعطتها لجاريتها ، ثم توجهت إلى حيث يوجد بوذا . بعد أن حيته ورحب
بها دخلا في نقاش حول بعض نظم الجماعة وطلبت منه أن يقبل منها ما يأتي :

١ - أن تقدم للأعضاء أردية في فصل المطر لأنها سمعت أنهم لا يملكون
إلا رداء واحدا فإذا ابتل يخلعونه حتى يجف ويظلون يرتجفون من البرد
إلى أن يلبسونه بعد أن يجف .

٢ - أن تقدم الطعام لأعضاء الجماعة دون حاجة إلى التجول
في الطرقات لاستجداء الطعام خصوصا في فصل المطر .

٣ - أن يمنع بوذا الأعضاء من الجلوس في الطرقات شبه عراة
يستجدون المارة .

٤ - أن يعالج المرضى من الأعضاء ، وينصحهم بقبول استخدام
الدواء الذي يشير به الطبيب .

٥ - أن يمنع استحمام الأعضاء عراة في الأنهار وخصوصا السيدات .

وبعد أن انتهى حديثها مع بوذا استأذنت وخرجت هي وجاريتها .

ولكن قبل أن تذهب بعيدا تذكرت الجارية أنها نسيت الجواهر في الاستراحة . وكان أحد الأعضاء قد عثر عليها وطلب منه بوذا أن يحتفظ بها لحين عودة صاحبها ، ولما عادت الجارية أعطتها الجواهر . إلا أن فيشا كها قد عزم أن تهيبها للجماعة بوذا ولا تتزين بها بعد الآن . فأرسلت في طلب صانع الجواهر ليحدد ثمنها ، ثم باعها ، ووهبت ثمنها لبوذا وخبرته بين المال أن بناء استراحة في الجهة الشرقية من مدينة شرافستي ففضل بوذا الاستراحة . ولما تم بناء هذه الاستراحة احتفلت فيشا كها بأفتاحها لمدة أربعة أشهر كانت تقدم فيها الطعام للجماعة بوذا وسمتها استراحة بوب آراما ، وأتخذ بوذا منها مركزا ثانيا في مدينة شرافستي فأحيانا كان يستقر في استراحة جيتا وأحيانا في استراحة بوب آراما .

ولم تكن فيشا كها هي السيدة الوحيدة التي أقامت استراحة للجماعة بوذا . فلقد كانت هناك أيضا سيدة أخرى تدعى آمبابالم من مدينة فيشالي قد أشادت له استراحة . ولقد كانت هذه السيدة على قسط وافر من الجمال وغانية من الغواني التي تجيد الرقص والغناء ولا ترفض ما يطلبه منها العشاق واستطاع بوذا أن يغير مجرى حياتها ويجعلها تترك حياة الفجر والمجون وتؤمن بتعاليمه ، فأنفقت كثيرا من أموالها في بناء استراحة في غابة آمبابالي خلاف ما كانت تغدق به على الجماعة من الهبات من ملابس ومأكل وأدوية .

وقد يبدو أن بوذا كان موفقا كل التوفيق في نشر دعوته ، يكسب كل يوم أعضاء جدد ، لم تصادفه عراقيل تعوق التفاف هؤلاء الأعضاء حوله في وحدة متناسقة متماصة متحابية متعاونة . إلا أن ديشاداتا ابن عم بوذا هو الذي أصاب الجماعة بالتصدع ، وأثار بين أعضائها حركة عصيان ضد بوذا أحدثت إنشقاقا كاد يقضى على الجماعة .

في إحدى تنقلات بوذا أخذ أهالي كوشامبي على ديشاداتا بعض الهنات لم كان يصدر عنه من مخالقات لنظم بوذا ، وشاع أن ديشاداتا يخالف نظم الجماعة ، فلما بلغ أمر هذه المخالقات سمع بوذا أسرع ديشاداتا وسبق بوذا إلى راجاجريها . وكان لديشاداتا مقدرة عظيمة على اتيان الخوارق ، وكان طموحا يأمل في أن يتولى رئاسة الجماعة بعد بوذا : ولكن بوذا طالت حياته ، وهو لا يطيق صبرا إلى أن يموت بوذا ، وينشده أن يكون مستنير الجماعة في أسرع وقت وبأى ثمن . فتوجه إلى الأمير الشاب الطموح آجاتا شانو ابن الملك بمبارا العجوز حاكم ماجادها ، واستطاع أن يكسب ثقته بما أظهره له من مهارة فائقة في اتيان الخوارق . ولما أحس ديشاداتا بأن آجاتا شانو يطمئن إليه ولا يرتاب في نواياه أخذ يثير طموح الأمير الشاب ويحثه على التخلص من أيه الكهل ليتولى الحكم ، وأبدى استعدادا على أن يساعده في هذه المهمة على شرط أن يساعده في التخلص من بوذا ليصبح مستنير الجماعة .

وأعد آجاتا شانو خنجرا ، وتسلل إلى جناح أيه الخاص ليذبحه ، إلا

أن وزير أبيه الخاص رآه فأمسكه ، وسأله عن قصده ، فأخبره بأنه يريد أن يذبح أباه حتى تتاح له فرصة تولى الحكم وأن أباه أصبح شيخا كبيرا ضعيفا لا يصلح للحكم وأن الذى أغراه على ذلك هو الزاهد ديشاداتا . بعد ذلك اجتمع الوزراء لبحث هذه المشكلة الخطيرة ، فرأى بعضهم قتل آجاتا شاتو وديشاداتا وجميع أعضاء جماعة بوذا ، ورأى البعض الآخر قتل آجاتا شاتو وديشاداتا فقط لأن أعضاء جماعة بوذا لا ذنب لهم ولم يأتوا جرما يستحقون عليه القتل ، ورأى غيرهم من الوزراء أنه يجب عرض الأمر على بمبسارا قبل أن يتخذ أى قرار بصد هذه الجريمة . فلما عرضت هذه الآراء على بمبسارا عزل الوزراء الذين رأوا قتل آجاتا شاتو وديشاداتا وأعضاء جماعة بوذا ؛ وعين الوزراء الذين اقترحوا قتل آجاتا شاتو وديشاداتا فقط فى مناصب أقل من مناصب الوزارة ، بينما رضى عن الوزراء الذين عارضوا قتل أى فرد قبل عرض الأمر عايه . وبعد ذلك طلب أن يحضر ابنه ، وسأله عن سبب إقدامه على قتله ، فرد عليه بأنه يريد أن يتولى الحكم فولاه بمبسارا الحكم . وإن لم يصبح ملك البلاد إلا أن جميع السلطات الفعلية كانت فى يده .

وعندئذ قوى نفوذ ديشاداتا الذى احتضنه آجاتا شاتو ، وأعد له استراحة خاصة ، ويهبه كل يوم كميات كبيرة من الطعام . ولما سمع بوذا من مرديه بأمر هذه الهبات أخبرهم بأنه لا يجب أن يحسدوا ديشاداتا على ما يعطى من طعام ، وإنما يجب أن يشفقوا عليه لأن كثرة الطعام تفسد حياة الناس إذ

تعرقل الطهارة ، وتعوق صفاء الذهن وتحول دون اكتساب الصفات العقلية التي تعد الناسك للاستنارة . ولما ذهب بوذا إلى راجا جريها استقر في استراحة فلوفانا ، فتوجه إليه ديشاداتا وطلب منه أن يتنازل عن رئاسة الجماعة لأنه أصبح شيخا ضعيفا انهكه السفر ، ولا يقوى على تولى مهام الجماعة . إلا أن بوذا رفض رفضا باتا أن يتنازل عن رئاسة الجماعة لديشاداتا أو لمن هو أعلى منه فدرا مثل الناسك مونجالانا والناسك ساريبوتا ، فضلا عن أن الإنسان لا يمكن أن يصبح مستنيرا بالقوة والانزام ، ولا يطلب من أحد أن يجعله مستنيرا ، وإنما سبيل الاستنارة هو جهاد الشخص في طريق النرفانا وأن الذي يجعله مستنيرا هو عمله من أجل الاستنارة . فغضب ديشاداتا غضبا شديدا ؛ وترك بوذا ساءخطا حزينا مصمما على أن يشير الفتن في ربوع الجماعة حتى تتفكك أو اصرها فيستطيع أن يكون جماعة أخرى يكون هو رئيسها ومستنيرها .

فعمد ديشاداتا إلى أن يشير بعض الأعضاء المتمسكين بحرفية التعاليم الأولى ضد بوذا صاحب هذه التعاليم ، واستطاع أن يقنعهم بأنه وصل إلى الاستنارة في حين أن بوذا حاد عن طريق الاستنارة ولا يسير حسب القانون الذي سنه الجماعة ، فلا يجب ان بطيعة أحد ، بينما يحق لديشاداتا أن يكون رئيس الجماعة ، ويضع لها النظم واللوائح ، وأن كل ما يصدر عنه فهو صحيح يجب أن يطاع لأنه مستمد من استنارته . واستطاع ديشاداتا بهذه الطريقة أن يغري عددا كبيرا من الأعضاء ، التفوا حوله وكون بهم جماعة وضع نفسه على رأسها .

وبينما كان بوذا مجتمعا بالأعضاء في أحد الاجتماعات الدورية توجه ديفاداتا على رأس جماعته الى هذا الاجتماع وأعلن فيه أن سلوك بوذا يتعارض مع تعاليمه ، وأنه خرج على النظم التي وضعها ، وانحرف في خمس نقاط رئيسية عن السبل التي تواضعت عليها الجماعة وتنهصر هذه المخالفات الخمس فيما يأتي :

- ١ - طالب بوذا الأعضاء باعتزال الحياة البيئية والاجتماعية ، وحرم عليهم السكنى بالقرب من المدن والقرى ، ولكنه يقيم هو وجماعته في استراحات قريبة من المدن والقرى .
- ٢ - حدد إقامة الأعضاء في المغارات والكهوف ولكنه يسكن في استراحات فاخرة ومباني جميلة .
- ٣ - فرض على كل عضو أن يشهد طعنه إلا أنه يلي الدعوات الى الولائم .
- ٤ - حرم أكل اللحوم والأسماك ومع ذلك يأكلها في الولائم .
- ٥ - قرر أن تكون ملابس الأعضاء من الخرق البالية التي يعثر عليها في المزابل ويتك الأعضاء يرتدون ملابس جديدة يأخذونها كمهدايا من الأثرياء والتجار .

ويبدو أن هذه الاعتراضات لم تتناول صلب عقيدة بوذا من قريب أو بعيد وإنما تنصب على نظم الجماعة وتقاليدها ، وأن ديفاداتا قصد من

وراء هذه الاعتراضات أن يشغل الجماعة بنقاش لا يجدى حول نظم الجماعة ويظهر أمامهم بظنهم المتمسك بأصول الاستنارة وأنه أحق من بوذا في رئاسة الجماعة ، مع أن هذه الاعتراضات لا تشير إلى الوسائل الجوهرية التي توصل إلى الاستنارة أو تحقق النرقانا ، ومع ذلك لم يترك بوذا اعتراضا دون أن يرد عليه وقال :

١ - للعضو مطلق التصرف في أن يقيم في معارة في سفح جبل أو في استراحة أقامها أحد الأثرياء خصيصا لأعضاء الجماعة بالقرب من المدن والقرى

٣ - ليس من الضروري ألا يأكل العضو إلا بما يستجديه وله أن يلي الدعوات إلى الولاثم إذ ليس عليه أن يرفض مثل هذه الدعوات .

٤ - إنه يحرم ففقد تناول لحم الحيوانات التي ذبحت خصيصا للعضو ، وإنه يجب أن يمتنع عن تناول اللحم إذا ما شك في أن هناك حيوانا ذبح خصيصا له .

٥ - والعضو حر في أن يرتدى ثوبا مصنوعا من الخشرق البالية إذا شاء ، ولكنه لا يمنع من ارتداء ثوب مصنوع من قماش جديد أهده له أحد المحسنين بشرط أن يقطعه إلى قطع صغيرة ثم يخيط منها لباسا له .

الا أن ديفاداتا لم يقتنع بهذه الإجابات وتمسك بأن بوذا يخالف نظم الجماعة وبذلك لا يحق له أن يتولى رئاستها ، وطلب تحكيم أعضاء الجماعة على أفوال كل منها ويفصلوا بينها . فلما أخذت الأصوات أيد ديفاداتا أكثر من خمسمائة عضوا ، ولكن بوذا تمسك برأيه ولم يجحد في سلوكه

نعارضنا مع نظم الجماعة . فانسحب ديقاداتنا من الاجتماع وسار معه جميع الأعضاء الذين أيده . وخرج وراءهم ساريوتا ومونجالانا متظاهرين بأنها من المؤيدين لديقاداتنا ، ولقد ظن بقية الأعضاء أنها إنشقا كذلك عن بوذا ولكنها في الحقيقة كان يهدفان الى إرجاع جميع الأعضاء الخارجين الى خطيرة بوذا . فلما رأها ديقاداتنا أحسن استمبالها لأنه ظن أنها آمنة بما يقول . وما أن جاء الليل ونام ديقاداتنا حتى استطاع مونجالانا وساريوتا من إظهار ضلال ديقاداتنا ، وإقناع جميع المنشقين بضرورة العودة الى بوذا المستنير الحق . وما أن استيقظ ديقاداتنا حتى وجد معظم مؤيديه قد عادوا الى بوذا ولم يعترض بوذا على عودتهم ما داموا قد أدركوا خطأهم وتابوا . ولكن كل هذه الأحداث أثارت غضب أتباع بوذا على ديقاداتنا بسبب ما جلبه للجماعة من اضطراب وإنشاق ، وأحسوا بأن ديقاداتنا لا يصلح لأن يكون رئيس الجماعة لأنه يحاول أن يصل الى هذه الرئاسة عن طريق إثارة الفتن والمنازعات بين أفراد الجماعة ، وأنه لا يمكن أن يكون قد وصل الى الاستنارة لأنه يسلك طرقا تخالف سبل جميع المستنيرين ، فقررنا فصله من الجماعة .

ولقد أثار هذا الفصل حقد ديقاداتنا على بوذا ، ولم يستسلم لهذه الهزيمة وقرر الإنتقام . فتوجه الى آجاتاشاتو ابن بمسارا ، وطلب منه أن يخلع بوذا من رئاسة الجماعة ، أو يساعده على التخلص منه . فخرض بعض رجاله على قتل بوذا ، إلا أن كل شخص يذهب لقتله لا يعود ، إذ بمجرد أن يشاهد

بوذا بهياته الوقورة الوادعة الحلوة حتى يحجم عن قتله ، ويطلب منه المغفرة والعفو وسرعان ما ينضم الى الجماعة . ولما سمع أعضاء الجماعة بمحاولات ديشاداتا لقتل بوذا طلبوا منه ألا يسير منفردا وأن يصحبه في غدواته وروحاته لحراسته وحمايته من غدر ديشاداتا . ولكن بوذا رفض هذه الحراسة وأخبرهم بأن المستنير لا يحتاج لحراسة لأنه لا يأتي شرأ ، وأن ديشاداتا لا يمكن أن يصير مستنيرا لأن الاستنارة لا تتحقق بالشر والتحريض على القتل ، اذ لا يتصور أحد أن الإعتداء والجريمة والعنف هي طرق الاستنارة ، ولذلك لا يجب أن تخافوا على بوذا المستنير وانما اشفقوا على ديشاداتا الشرير الذي سول له طموحه وحبه للشهرة أنه يستطيع أن يصبح مستنيراً بالعنف والقتل .

إن فشل ديشاداتا في قتل بوذا لم يثنه عن الاستمرار في التفكير في محاولات أخرى لقتله . فاستطاع أن يغري أحد الأهالي عنده فيل متوحش على أن يطلق سراح هذا الفيل في طريق بوذا حين قدومه الى المدينة طلبا للطعام . فلما لمح بوذا عن بعد فك قيد الفيل المتوحش الثائر ، وما أن شاهده أهل المدينة حتى ولوا هاربين فزعين صاعدين فوق اسطح البيوت ، ومنهم من أخذ يصيح محذرا بوذا من خطر الفيل الهائج . فطلب منه المرشدون الذين يصحبونه أن يبتعد عن هذا الطريق ويسلك طريقا آخر فأخبرهم بأن من يطلب الحقيقة ويوصل الى الاستنارة لا يخاف العنف وأن الإعتداء لا يقضى عليه لأنه حقق النرقانا . وما أن اقترب الفيل تالاجيرى

مهم حتى ابتعد المريدين ما عدا أناندا وظل بوذا على ما هو عليه من هدوء ووداعة ، وما أن رآه الفيصل المنذفع الرافع خرطومه ومهددا به كل من يعترض طريقه حتى وقف وأنزل خرطومه ، فربت بوذا عليه فهدأ واستكان ووقف ساكنا وديعا ، ثم عاد الفيصل تالا جيري الى حظيرته مستأنسا ولما عرف الأهل أن المحرض على قتل بوذا هو ديشاداتا غضبوا منه لنزعتة الشريرة الماكرة . وهكذا خسر ديشاداتا جميع الأعوان ، وأصبح أعضاء الجماعة والأهل يكرهونه جميعا لنواياه الآثمة .

الا أن لهيب حقد ديشاداتا على بوذا ازداد اشتعالا وصمم على قتله بنفسه . فبينما كان بوذا يهبط تل فلشر بيك انقريب من راجا جريها ويقام على أحد سفوحه استراحة فلوفانا التي يقيم بها بوذا وجماعته ، أسرع ديشاداتا الى قمة هذا الجبل ودحرج صخرة كبيرة لكي تقع على بوذا وتصدمه صدمة قاتلة ، الا أن الصخرة في تدحرجها تفتت الى قطع صغيرة جرت على جانبي بوذا دون أن تؤذيه ، ولم تصدمه الا قطع صغيرة أرمت احدى قدميه .

ولقد أسامت محاولات ديشاداتا لقتل بوذا الى سمعته ، وأن فشله في قتل بوذا ونجاته في كل محاولة أفقد ديشاداتا كثيرا من الاحترام ، خصوصا وانه قد اشتهر بقدرة عظيمة على اتيان الخوارق . ومع أن أتباعه أخذ يزيد عددهم مع الأيام الا أنه لم يعمر طويلا ، وما أن مات ديشاداتا حتى زال تأثيره الشرير على آجاتاشاتو ، واضطر تحت ضغط الأهل الى أن يكفر عن آثامه الماضية بأن يطلب المغفرة من بوذا . ولما عرف تعاليم بوذا آمن بها ، وأخذ يرعى جماعته ، ويكثر لها من الهبات والعطايا .

الفصل السادس

نظم جماعة بوذا

إن طبيعة دعوة بوذا التشفية وحياة أتباعه في جماعات تقيم في استراحات خارج المدن قريبة من القرى، حثت إلى وضع تنظيمات توضح شروط إنضمام الأفراد إلى الجماعة، وإلى سن لوائح تحدد علاقات أعضاء الجماعة ببعضهم بعضاً وعلاقاتهم بسكان القرى المجاورة، وتعين نوع مسكنهم وملابسهم وما كلهم، وترسم حياتهم اليومية، وتبين لهم السلوك الخير من السلوك الشرير، وتبيح لهم ما هو مناسب لعضو الجماعة وتحرم ما هو خارج عن أصول لوائح الجماعة، وتفرض عقوبات على كل مخالف. لهذه اللوائح حتى يحافظ العضو دائماً على طهارته ولا يصرفه شيء عن غايته.

ولم يضع بوذا نظم الجماعة دفعة واحدة، بل معظم هذه اللوائح وضعت عند استفسار الأتباع عن تصرف من التصرفات يشككون في سلامته أو يعتبر. نه خارجاً عز، قانون بوذا. أي لم توضع هذه اللوائح بطريقة مجردة بعيدة عن حياة البوذيين، وإنما كل لائحة لها حادثة معينة حفزت إلى وضعها بل أنت بنود كل لائحة لم تسن دفعة واحدة، وإنما كان يضاف إليها بنود جديدة من حين لآخر حسب ما يطرأ من مخالفات وملابسات، فكانت اللوائح تستكمل تدريجياً كلما أصبحت الحاجة ماسة لذلك. وهكذا ظل بوذا

طوال حياته يضع قوانين جماعته ، يغير فيها أو يضيف إليها كلما حصل التباس في فهم بند من البنود أو أحس بنقص فيها وقد غفل عنه . بل إن وضع هذه القوانين لم يقف بعد موت بوذا إذ ظل مريدوه من بعده يستنون القوانين كلما تنشأ حوادث لم يجدوا لها نصا في لوائح بوذا ، وإن كانوا ينسبون هذه القوانين إلى بوذا نفسه وإن لم يضعها وذلك لكي يكسبوها قوة وتأثيرا على أعضاء الجماعة البوذية .

وأخذ اهتمام بوذا بسن هذه اللوائح يزداد بازدياد أعضاء جماعته ، وبعد أن أصبحوا يكونون مجتمعاً مركباً معقداً يحتاج إلى كثير من التنظيمات حتى يتجنب التصادم والاختلاف بين أعضاء الجماعة ، ويشيع المودة والصفاء بين الجميع ، ويدعو إلى تماسك الجماعة ، ويوطد علاقة الأعضاء بأهل القرى المجاورة حتى يظهر البوذيون بمظهر الزهاد الذين لا هم لهم إلا تحقيق الطهارة المحقة التي توصل إلى النرقانا بما يحث الأهل على الإيمان بدعوة بوذا .

ويضم هذه اللوائح كتاب ضخيم يعددها ويذكر ملابسات وضع كل لأئحة وظروف ما طرأ عليها من إضافة ، ويعرف هذا الكتاب باسم Vinaya Pitaka وقد ترجم لمختلف اللغات الآرية ، وأحدث هذه التراجم ترجمة الأستاذة I. B. Horner الإنجليزية تحت اسم «كتاب النظم ، (The Book of the Discipline) وهي الترجمة التي اعتمدت عليها اعتماداً رئيسياً في كتابة هذا الفصل .

وأول مشكلة واجهت الجماعة هي الالتحاق بالأفراد بسلك الجماعة . فقلقت
أباحت بوذا في أول الأمر دخول الجميع مما اختلفت طبقاتهم إذ عندما
يدخل أي فرد في الجماعة يفقد صفاته العائلية وتقاليد الطائفة ، فلا يمتاز
عضو على عضو إلا بمقدار جهده في سبيل تحقيق الرقانا . وكان يقبل الكبار
والصغار الأصحاء والمرضى والمدنيين والجنود . وكان يقبل الرجال من
دون النساء . ولكن حدثت من الأحداث ما دفع بوذا إلى وضع شروط
خاصة يجب أن تتوفر في كل من يرغب في الالتحاق بجماعته ، فاشتراط على
كل طالب ما يأتي :

١ - ألا يقل سنه عن خمس عشرة سنة ، على أن يوافق والداه خوفا من
أن يكون وحيدهما أو مصدر رزقهما وأملهما في المستقبل .

٢ - أن يكون سليم البدن خاليا من الأمراض المعدية ، ولا يقبل مريض
إلا بعد أن يعالج ويشفى تماما من مرضه حتى لا تنتشر عدوى مرضه بين
أعضاء الجماعة .

٣ - أن يكون مدنيا وليس جنديا عليه التزامات للدولة أو هاربا من
ساحة القتال وذلك حرصا على كيان الدولة وحفظا لسلامة قوة جيشها
وقدرته في الدفاع عن الحدود ورد خطر كل غزو خارجي .

٤ - أن يكون بريء الذمة من كل دين أو تعهد ، وعلى الطالب أن
يسدد ما عليه من ديون وتعهدات قبل أن يطلب الالتحاق بالجماعة .

وبذلك لم يقبل بوذا كل فرد في جماعته ، فلم يشجع الجندي الهارب أو الرجل المدبر على أن ينضم الى جماعته وذلك لأن كل من يريد أن يحقق الرفانا ويرغب في أن يقطع صلته بالحياة يجب أن تكون هذه القطيعة نظيفة طاهرة خالية من الشوائب والبدنس .

أما بالنسبة للنساء فلقد إمتنع بوذا عن قبولهن في أول الأمر ولم يسمح لهن بالالتحاق بالجماعة إلا بعد أن سعت زوجته يزودهارا وبعض كرائم سيدات قبيلة ساكيا اليه ليسلكن سلوك الزهاد ، ثم ألح عليه أعز مردييه أناندا في قبولهن فرضخ بوذا في آخر الأمر وقبل النضمامهن الى جماعته ، وبعد ذلك أخذ يزداد عدد النساء في الجماعة مما اضطر بوذا الى وضع لوائح خاصة بهن ، فاشترط على كل طالبة أن تتحقق فيها الشروط الآتية :

١ - أن لا يقل سنها عن عشرين عاما على أن يوافق الوالدان أو الزوج إذا كانت متزوجة .

٢ - لا يسمح بقبول الفتيات الصغار المتزوجات دون سن العشرين أو الزوجات الحوامل أو أمهات الأطفال الصغار أو العذارى .

وحكمة بوذا في وضع هذه الشروط هو أنه لا يريد أن تكون جماعته سببا في إحداث أى نوع من الاضطراب في محيط المجتمع الهندي الذي يعيش في جنباته ، وحتى لا تتأثر الأسرة ويتفكك كيانها بسبب هجرة النساء للبيوت مما يحث الأهالي على محاربة جماعته خصوصا بعد أن إتهم بوذا بأنه

يعمل على هدم المجتمع لأنه يشجع النساء على الهروب من التزاماتهن العائلية وواجباتهن البيئية .

وكل من يتوفر فيه هذه الشروط من الرجال والنساء لا يقبل في الجماعة قبولاً تلقائياً نهائياً ، إذ لا يقبل أى فرد من عامة الطوائف بمجرد أن يبدي رغبته في الانضمام الى الجماعة إلا اذا كان من الزهاد أو الفلاسفة الذين تسمح لهم ثقافتهم الواسعة على استيعاب الاتجاهات البوذية . ولهم من القدرة الذهنية من الحكم على تعاليم بوذا وقبولها دون أن يشكوا فيها . بخلاف عامة الناس فقد يكون لمعتقداتهم القديمة أثر عميق عليهم يحثهم فيما بعد على الخروج على تعاليم بوذا ، ولذلك يعطى لهم مهلة ثلاثة أشهر من وقت طلبهم الالتحاق بالجماعة للتثبت من ايمانهم من تعاليم بوذا ، وذلك حتى لا تقر الجماعة بقبول طالب ثم يعود بعد حين ويخرج عليها ويحن لمقيدته القديمة . وفي أثناء الأشهر الثلاثة يتسنى للطالب أن يتخلص نهائياً من كل أثر لدينه السابق على فكره ، ويتضح له مدى قوة رغبته في الالتحاق بالجماعة حتى لا يتعثر في الطريق ويدرك تمام الإدراك ما هو مقبل عليه من حياة ، كما يتسنى للجماعة من أن تتحقق من حسن سمعته وطيبه أخلاقه وصدق نيته في الانضمام الى الجماعة ، وايمانه القوى بتعاليم بوذا .

وبعد هذه الأشهر الثلاثة يعقد للطالب مجلس بسيط لقبوله قبولاً مبدئياً في الجماعة . يتكون هذا المجلس من عدة أعضاء يكون على رأسهم بوذا نفسه أو مرشد متمكن من قانون بوذا . في بداية هذه الجلسة يعلن الطالب سواء

أكان رجلا أو امرأة عن اسمه ورغبته في الالتحاق بالجماعة ، ثم يزكيه أحد المرشدين بأن يعلن عن تثبته من صدق نية الطالب في الالتحاق بالجماعة ، ويؤكد رغبته الوطيدة في إتباع هدى قانون بوذا وسعيه الحثيث في الوصول الى النرفانا ، كما يركى سلوكه ويذكر بعض أعماله الخيره ويبين مدى نبل سمعته فإذا اقتنع أعضاء المجلس يقبلون هذا الطالب قبولا مبدئيا ، ويعينون له مرشدا يشرف على توجيهه ونصحه واعداده لمعرفة تعاليم بوذا حتى تقبله الجماعة قبولا نهائيا في مجلس آخر يعقد عادة بعد ثمان سنوات من القبول المبدئي

وبعد القبول المبدئي إما يقيم الطالب مع مرشده أو يقيم في سكن آخر ويشرف المرشد على تثقيفه وتوضيح ما يتعلق عليه من تعاليم بوذا، ويقوم الطالب بخدمة مرشده بأن يساعد في إرتداء ملابسه وخلعها عند خروجه وعند عودته ، ويعاونه في غسل يديه وفمه وأسنانه قبل الأكل وبعده ، وينظف له طاسته ، ويرتب أثاث مسكنه ، ويحضر له الكرسي والماء اللازم لغسل قدميه عند عودته من الخارج . وتسود علاقة المرشد بالطالب علاقة ود ومحبة ، يعامل المرشد الطالب معاملة الأب الحنون الحريص على صالح ابنه ، ويعامل الطالب مرشده معاملة الابن البار بوالده .

ولا يقطع الطالب عادة صلته بالحياة الاجتماعية قطعا تماما إذ يسمح له بالقيام ببعض الأعمال التجارية حتى لا يعتمد اعتماداً كلياً في طلباته الخاصه على الجماعة ، فيحق له أن يكسب بعض المال الذي يمكنه من تلبية حاجياته

الضرورة ولا يرهق الجماعة بالمطالب . فله أن يتاجر زيريج ولكن لا يجب أن يتاجر فيما يتعارض مع الإنسانية ومبادئ تعاليم بوذا التي تدعو إلى المحبة والطهارة وتحرم قتل أي كائن حي ، ولذلك لا يجب أن يتاجر في الأسلحة كالسيوف ولا يشترك في تجارة الرقيق التي تهدر الكرامة الإنسانية ولا يسهم في تجارة النحوم والمشروبات الروحية والسموم القاتلة .

وبعد أن تذهب فترة إعداد الطالب وهي ثماني سنوات ويكون عمره قد بلغ عشرين عاما إذا كان رجلا وستين وعشرين عاما إذا كان امرأة يحق للطالب أن يطلب تعيينه تعيينا نهائيا في الجماعة لأنه يمكن خلال هذه الفترة قد درس جميع نواحي قانون بوذا وثبتت منه وذهب عنه كل شك وريبة وصفا ذهنه صفاء تاما . فللطالب أن يستأذن بوذا أو مرشده في أن يعينه عضوا عاملا في الجماعة فإذا ما تأكد بوذا أو مرشده من طهارته وحسن فهمه لتعاليم بوذا وقدرته على الاندماج في سلك جماعة بوذا يعقد للطالب مجلس يتكون من مرشدين — أو مرشدات إذا ما كان الطالب امرأة — لا يقل عددهم عن عشرة على رأسهم بوذا أو مرشد متمكن من القانون البوذي مضى على تعيينه تعيينا نهائيا عشر سنوات على الأقل .

يجلس المرشدون أو المرشدات على حصيرة في صفين متواجهين ، ويجلس رئيس المجلس على رأس أحد الصفين . يزكى في أول الجلسة الطالب أحد المرشدين ويبين صلاحيته لعضوية الجماعة . بعد ذلك يتقدم الطالب إلى

المجلس ممسكا بيديه الأردنية الصفراء الخاصة بالأعضاء ، ثم يحيي رئيس المجلس مقدما هدية كرمز للتقدير والإحترام والإكبار ، بعدها يطلب من المجلس ثلاث مرات أن يصبح مريدا ، ويقول للرئيس « إرفق بي يا سيدي وأقبل هذه الأردنية واسمح بتعييني حتى أستطيع أن أهرب من الآلام وأجرب حياة الرفانا ، فياخذ الأردنية منه ويلفها حول رقبته . ينسحب الطالب بعد ذلك من المجلس ويعود مرتديا هذه الملابس الصفراء ، ثم يركع أمام الرئيس مرددا هذه العبارة :

أتيت لألوذ ببوذا

أتيت لألوذ بالقانون

أتيت لألوذ بالنظام

ويقصد الطالب من ترديد هذه العبارة أن يعان أنه يؤمن ببوذا وقانونه وتعاليمه التي توضح سبل الوصول الى الرفانا ، وأنه يرضى أن يتمسك بنظم جماعة بوذا وينخضع لشئى اللوائح التي تسير عليها الجماعة .

ثم يردد بعد ذلك قسما مكونا من عشرة بنود تنص على المبادئ الأولى التي يجب أن يتبعها المرید ابدأ حياته الطاهرة ويسير في سلك الرفانا ، وبنود هذا القسم هي :

١ - أقسم ألا أزهد حياة

٢ - أقسم ألا أسرق

- ٣ - أقسم أن أمتنع عن الاتصالات الجنسية
- ٤ - أقسم ألا أقول الكذب
- ٥ - أقسم أن أمتنع عن شرب الخمر
- ٦ - أقسم ألا آكل في غير الأوقات المشروعة
- ٧ - أقسم أن أمتنع عن الرقص والغناء والموسيقى والتثليل
- ٨ - أقسم ألا أتزين بملائد الزهور ، ولا أتطيب بالعطور ، ولا أتحملي بالمساحيق والجواهر
- ٩ - أقسم ألا أنام على سرير عريض أو مرتفع
- ١٠ - أقسم ألا أقبل من أحد ذهباً أو فضة

بعد أن ينتهي من ترديد هذا القسم أمام المجلس يقدم الطالب احتراماته للرئيس ، وينسحب على أنه صار مریداً أو عضواً .

غير أن تعيين المرید تعیننا نهائياً في الجماعة لا يتم إلا بعد أن يعقد له مجلس آخر من مرشدين لا يقل عددهم عن عشرة يطلب فيه المرید من رئيس المجلس ثلاث مرات أن يكون رئيسه ، فإذا قبل الرئيس يذهب المرید الى نهاية قاعة المجلس حيث تربط طاسة الشحاذة برقبته ، ثم يذهب اليه المرشد الذي اقترح تعيينه ويحضره امام رئيس المجلس . عندئذ يقف مرشد آخر بجوار المرید بحيث يكون بينها ، ويأخذ المرشدان في إلقاء أسئلة تستسفر عن اسم مرشده ، وعمّا اذا كان يملك طاسة الشحاذة والأردية الصفراء ، وعمّا اذا كان خالياً من الأمراض المعدية وليس عليه التزامات

للدولة أو للأفراد وأن سنه لا يقل عن عشرين عاما . فإذا كانت إجاباته مرضية وتمشى مع تعاليم بوذا ونظمه ، وأقتنع المرشدان بأحقية المرید في التعین النهائي يبلغان المرید بذلك ، بعدئذ يتقدم المرید راجيا من المجلس أن يقبل تعيينه قائلا ثلاث مرات : أيها الشعاذون أرجوكم أن تقبلوني وترفقوا بي وأدفعوني ، ثم يأخذ المرشدان من جديد في اختباره أمام جميع أعضاء المجلس . فإذا لم يعترض أحد على تعيينه يتقدم كل مرشد وينحني أمام الرئيس مقررًا رضاه عن تعيينه في الجماعة ، وموافقته على أن يكون العضو الذي رشحه مرشدا له . وبعد أن تم جميع إجراءات التعین النهائي يتلو احد المرشدين ملخصا للوائح الجماعة ، ثم ينتهي عقد المجلس وينصرف الجميع

وقد يسكن العضو الجديد في أول الأمر في مسكن مرشده الذي يأخذ في نصحه وإرشاده . ولكن سرعان ، ما ينتقل المرید الى مسكن خاص به ، وينصرف الى بذل كل ما يستطيع من جهد للسيطرة على جميع أهوائه ونزعاته ، ولا يشغل ذهنه بأمور الدنيا . ولذلك لايسمح له بأن يشتغل بأي نوع من التجارة ، وعليه أن يستجدي قوت يوم بيوم ، ولا يقتنى إلا ما هو ضروري من الملابس والفراش . فلا يحق له أن يحتفظ بقوت غده . كما يجب عليه أن يطيع نظم الجماعة ولا يخرج عليها ، ويعمل على إتباعها ولا يعصيا ، فإذا كان غير ملزم بطاعة أحد من البشر إلا أنه ملزم بطاعة قانون بوذا ونظم جماعته . إذ لا يكفي لكي يصير المرید مرشدا أن يطيع

قانون بودا وانما يجب عليه كذلك أن يثبت طاعته لنظم الجماعة وإخلاقه
في إتباعها فلا يخالفها في كبير أو صغير. إن التمسك بقانون بودا وإتباع
نظم الجماعة في نفس الوقت يحقق للمرشد رتبة يدفح به في طريق الزنطانا وهو
طريق طويل شاق يتطلب من المرشد فضلا ظاهرا نفسيا مستمرا.

ولقد كانت حياة بودا اليوتية نموذجًا سار على فتواته جميع المرشدين
والمرشدين. فلقد كلفت حياة الوحدة في الغابات هي خير السبل للتفكير على
الأهواء. ولكن بودا منذ ابتدائه لم يعش منفردا، ولم يعش منفردا من
البوذيين إلا أبقار قلائل من المترمتين. ولذلك عاش معظم أتباع بودا في
جماعات في الغابات والحدائق، ثم بنى لهم بعض الأثرياء الفضلاء استراحات
بعضها بنيت في حياته وبعض الآخر بعد وفاته. واشترط بودا أن تبني هذه
الاستراحات في أماكن غير أهلة بالحيوانات المتوحشة من ناحية وأن يكون
حول هذه الاستراحات ساحات مكشوفة حتى يمكن أن يرى عامة الناس
سلوك أتباع بودا ويتخذون منهم قدوة لهم من ناحية، ويحسونهم على بناء
الاستراحات لهم وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من مواد البناء من ناحية
أخرى. وإذا ما أخذ الأهالي في بناء هذه الاستراحات لا يجب أن يرهق
الأعضاء الأهالي بطلباتهم، ويجب أن يتشققوا عند استجداء مواد البناء،
ولا يظهروا أي نوع من الجشع حتى لا ينصرف الناس عن مدهم بما يلزمهم
في تشييد الاستراحات.

ويقيم الأعضاء في غرف حول فناء في هذه الاستراحات . وكان بوذا ينتقل من استراحة الى استراحة عندما يكون الطقس صحوا ، أما في فصل المطر فكان يستقر مع جماعته في استراحة قريبة من مدينة أو قرية سكانها من الموالين لبوذا وجماعته حتى يتمكنوا من استجداء ما يلزمهم من طعام . وفي فصل المطر يكون عندهم متسع من الوقت للدراسة والبحث والتأمل وتلاوة القانون ونظم جماعته .

أما أثاث غرفة العضو فتكون عادة من فراش غير مرتفع وغير عريض وكرسی وإناء لغسل القدمين والملابس وحميرة . والعضو يستجدي عادة هذا الأثاث ولا يحق أن يملك من الأثاث ما هو فاخر وثمين أو أكثر مما يلزمه ، وإذا حدث وأن وهب له أثاث يزيد عن حاجته يجب أن يعطيه للعضو المشرف على توزيع ما ينقص الأعضاء من اثاث .

فإذا كانت نظم بوذا تلزم الأعضاء بالتقشف في السكن فإنها تلزمهم بالتقشف في الملابس كذلك . وتوجب هذه النظم أن يلبس كل عضو ملابس رخيصة مصنوعة من أقمشة برتقالية اللون لا قيمة لها كالحرق البالية التي تؤخذ من أكوام الأوساخ . فإذا منح العصور قاشا جديدا يجب أن يقص قطعاً صغيرة حتى يفقد قيمته التجارية ثم تصنع منه الأردية . وتتكون ملابس الرجل من ثلاث أردية وملابس المرأه من خمس .

أما عن أردية الرجل فهي تتكون من رداء داخلي يلبس داخل الاستراحة

وردا. خارجي يلبس عند الخروج أو عند الذهاب الى القرية ، ثم عباءة فضفاضة تغطي جميع الجسم ما عدا الكتف الأيمن . ولا يليق بالمريد أو المرشد أن يدخل قرية أو مدينة بدون هذه العباءة ، ولا يليق به أن يلبس أردية واسعة . وتتكون أردية النساء من ثلاث أردية تشبه أردية الرجال ثم من ردائين آخرين هما صدرية ولباس وللاستحمام إذ لا يجب أن تستحم المريدة أو المرشدة عارية .

ولا يجوز للمريد أو المرشد أن يخلع هذه الملابس ويبدلها بغيرها لأن إرتدائها شرف له ، ومن يخلعها يستحق الفصل من الجماعة . كما لا يجوز أن يلبس العضو غير الأردية المقررة ولا يتزين بالقلائد والحلي . ولا يسمع للعضو بأن يمتلك من الأردية أكثر من ثلاث إذا كان رجلا ومن خمس إذا كان امرأة . وإذا كان هناك أردية تزيد عن حاجته يجب أن يسلمها للمرشد المشرف على توزيع الملابس على المريدين والمرشدين . وكثيرا ما كان ينقص الأعضاء بعض الأردية ولذلك حث بوذا عامة الناس من الموالين لقانونه أن يقدموا ما يزيد عن حاجتهم من الملابس لأعضاء الجماعة وكان بوذا يتقبل هدايا كثيرة من الملابس . وتصنع هذه الملابس عادة من الصوف أبيض من القطن . ولقد منع بوذا الأعضاء من لبس الأحذية خصوصا الخشبية لأنها تسحق الحشرات الصغيرة عند المشي ، وكذلك حرم لبس جلود الحيوانات ولكنه سمح للذين يعيشون في المناطق الشديدة البرودة

باستعمال جلود الغنم والماعز والغزال كأغطية لتقيهم البرد .

وليس للعضو أن يأكل ما يشاء في أى وقت يشاء وإنما لا يجب أن يأكل المرید أو المرشد إلا ما يشحذه ، ولا يتناول إلا وجبة واحدة في اليوم تكون في الفترة بين شروق الشمس والظهيرة ، ويحرم عليه تناول وجبة غيرها بعد الظهر وإن كان يسمح له أن يشرب مشروبات لا يكون من بينها المشروبات الروحية .

ففي الصباح يخرج المرشد مع مریده يوميا الى القرية المجاورة أو المدينة القريبة من الاستراحة . ويمسك كل منها طاسة الشحاذة ويمر بكل بيت دون أن يطلب شيئا ، بل يقف خارج الكوخ أو أمام الباب أو النافذة التي تكون عادة مفتوحة نظرا لشدة الحرارة فإذا وضع أحد أى طعام في الطاسة عليه أن يدعو متمنيا له الخير ثم ينصرف ، وإذا لم يعط شيئا يستمر في سيره صامتا . وهكذا يشحذ المرید أو المرشد طعامه من مختلف بيوت القرية وأكواخها دون أن يميز بين بيوت الأثرياء وأكواخ الفقراء . وعندما يتجمع له في الطاسة كمية من الطعام تكفيه لوجبة اليوم يعود الى مسكنه ويأخذ في تناول هذا الخليط من المأكولات قبل وقت الظهيرة غير شره أو متلذذ بجودة الطعام أو مشمئز من إختلاط أنواعه ، ويصرف ذهنه أثناء تناول الطعام الى التفكير في حقيقة تلاشى الجسد وكيف أنه يبلى في النهاية وليس هناك جدوى من الأكل إلا أنه يحفظ الجسد الفانى لحين بلوغ الزفاننا .

ولقد كان بوذا في أول الأمر يسمح بتلبية دعوات الأغنياء الموالين لتعاليمه الى تناول الطعام في منازلهم ، وكان يسمح أيضا لأهل القرى والمدن بإحضار الطعام الى الاستراحات وفي مساكن المرشدين والمريرين في المناسبات والأعياد ، وكان بوذا لا يمانع في أكل كل ما يعطى لهم من طعام سواء به لحم أو خال من اللحوم ، وإن كان قد منع أكل لحوم الحيوانات التي تذبح خصيصا للأعضاء ، ولحوم الفيلة والخيل لأنها من الحيوانات الملكية ، ولحوم الحيوانات المتوحشة كالنمر والفهد . وإيكن البوذيين المتشددين حرموا أكل جميع أنواع اللحوم ، ورفضوا تلبية الدعوات الى الولائم ، ولم يقبلوا أى طعام يقدم لهم وإنما حرصوا على ألا يأكلوا إلا بما يشهدونه بأنفسهم ويجمعونه في طاسة الشحاذاة الخاصة بهم .

وكما أن العضو لا يجب أن يمتلك أكثر من ثلاث أردية لا يجب أن يكون عنده أكثر من طاسة واحدة على ألا تكون من الذهب أو الفضة وإذا وهب طاسة ذهبية أو فضية يجب أن يرفضها أو يطلب استبدالها بأشياء تحتاج اليها الجماعة كالأدوية والعقاقير . وإذا كان عنده أكثر من طاسة يجب أن يعطى ما يزيد عن حاجته للمرشد المكلف بتوزيع الطاسات على أعضاء الجماعة .

وهكذا يجب أن يعيش المرشد أو المرير متقشفا في المسكن وفي الملابس وفي المأكل ، فقيرا لا يمتلك أكثر مما هو ضروري من فراش وملابس . وإن سمح

للعضو فيما بعد بأن يمتلك الكتب وغيرها من الأشياء الخاصة التي لا تقناني مع التقشف ولا تدل على حب الاستحواز والإمتلاك . ولم يعترض بوذا كذلك على أن يحتفظ الأعضاء الأغنياء بملكاتهم من الأراضي والمنازل حرصا على صالح الجماعة وتشجيعا للأثرياء بالإندماج في جماعته وبندل الأموال من أجل تزويد الأعضاء بما هم في أمس الحاجة إليه .

وإذا فرض على العضو أن يعيش متقشفا فقيرا فلقد طلب منه كذلك أن يكون مطيعا . وهذه الطاعة ليست لشخص من الأشخاص أو لهيئة من الهيئات وإنما هي لقانون بوذا . على كل عضو إذن أن يطيع القانون . وإذا لم يطلب منه أن يخضع لسيطرة عضو من الأعضاء إلا أنه يجب أن يحترم كل عضو أقدم منه في الجماعة .

إن طاعة المرشد للرشد طاعة عمياء وخضوعه له خضوعا تاما لا توصل إلى النرفانا إذ لا يستطيع أن يبلغ أحد النرفانا بأن يقيد فكره وعمله بالغير إن طريق النرفانا هو الجهاد الحر الذي لا يستطيع أن يلقنه المرشد للبريد . إنما يتوصل إليه بالذهن الصافي والتأمل الطاهر والفكر الطليق من الشهوة والضغط والإلزام . وعلى كل عضو إن يكون حرا لا يستسلم لسحر مرشده ولا يهر بقدرته الروحية إذ الجميع متساوون في كل شيء وما حققه المرشد يستطيع أن يحققه أي عضو ، وإنما يختلف الأعضاء بقدرتهم على السير المتواصل في طريق الجهاد من أجل بلوغ النرفانا ، ومن لا يتعثر في الطريق

لا بد أن يصل الى النرفانا بجهد الخاص ويعون نضاله الشخصي .

وكذلك للعضو مطلق الحرية في أن يطيع نظم الجماعة أو يعصيا ، وله أن ينفذ أوامرها ويتجنب نواهيها دون اجبار أو تعنت ، وإن التحاقه بالجماعة ليس أمرا لا سبيل للتخلص منه إذ يمكن لكل عضو من أعضاء الجماعة أن يخرج من الجماعة اذا ما تنازل عن قسمه الخاص بطاعة قانون بوذا ونظم الجماعة .

ويتبين من ذلك أن جماعة بوذا ليست هيئة سرية تنشر تعاليمها في الخفاء وتطلب من أعضائها الطاعة العمياء وإنما هي هيئة تترك للعضو مطلق الحرية ولا تحتم عليه أن يخلص لها بدون إيمان صادق بتعاليمها ولا تستغل هذا الإيمان بأن تفرض عليه طاعة عمياء . تحدد من انطلاق فكره وتحول دون صفاء ذهنه . إن عمل الفرد نفسه وتثقيف فكره هو السبيل الرئيسي لتحقيق النرفانا . وإن تعاليم المرشد للطلاب واحترام العضو لمن هو أقدم منه ما هو إلا تمهيد لدفع الطالب في طريق الجهاد الشخصي ، وإن إقتناع الفرد بطاعة قانون بوذا ونظم الجماعة ما هو إلا المشعل الذي يهدي العضو الى طريق النرفانا .

فإذا ما أخطأ الطالب في سلوكه ، أو خالف المرشد لوائح الجماعة ، أو حاد المرشد عن هدى الحياة الفاضلة وارتكب إثما صغيرا كان أو كبيرا عليه أن يعترف به لا لنفسه بل لغيره في اجتماع عام ، ويتقبل ما يفرض عليه من عقاب حتى يكون طاهرا نقييا على الدوام ، لا يلوته إثم أو يدنسه ذنب ،

فيقوى على مغالبة الأهواء وقهر النزعات الشريرة ويتخلص من الآلام
ويقضى على القلق ويستعد لحياة النرفانا الهادئة .

ولذلك اهتم بوذا بعقد اجتماعات دورية مرتين في الشهر عند بداية
الشهر القمري وفي منتصفه . يتلو في هذه الاجتماعات لوائح الجماعة مرشد
متمكن من تعاليم بوذا ، وعلى جميع الحاضرين أن يصغوا اليه بانتباه تام حتى
يعيا كل منهم وعيا شاملا دقيقا ولا يخالفها أحد على الاطلاق . فإذا حدث
أن خالفها دون أن يدري ، ولم يشعر بأنه قد أن إثمًا فإن تلاوة اللوائح
تنبهه الى إثمه فيسرع الى الاعتراف به لبوذا أو لأحد المرشدين أو في
الاجتماعات الدورية حتى يتطهر من دنس الإثم الذي اقترفه دون أن
يقتبه اليه .

وفي بداية الاجتماع الدوري يجب ان يعترف كل عضو بأثامه حتى يكون
طاهرا عند تلاوة قائمة لوائح بوذا ، إذ لا يجب أن يسمعها إلا كل مرشد
طاهر متمكن من تعاليم بوذا . ولذلك لا يجب أن يحضر هذه الاجتماعات
عامة الناس أو الطلاب أو المرشد الذي لم يتم تعيينه النهائي أو المرشد الأثم .

وقبل أن تتلى قائمة اللوائح تصف الوسائد في حجرة الاجتماع في صفين
مقابلين ، ويجلس رئيس الاجتماع على رأس أحد هذين الصفين . وفي رأس
الصف الآخر يجلس أكبر بقية الأعضاء رتبة . بينما يجلس بجوار الرئيس
الثالث في الرتبة ، ويجلس في مواجهته الرابع في الرتبة وهكذا يجلس كل

عضو حسب رتبته التي تحدد بأسبقية في التعيين وأقدميته في سلك الجماعة . وبعد ذلك يركع جميع الأعضاء بينما يظل الرئيس جالسا ويطلبون من الرئيس المغفرة عما أتوه من مخالفات في العمل والقول والفكر ثم يجلس العضو الذي يأتي بعد الرئيس في الأقدمية . ويطلب منه بقية الأعضاء المغفرة ثم يجلس العضو الثالث في الأقدمية . ويستمر الأعضاء الراكعون في طلب المغفرة حتى يجلسوا جميعا . وبعد ذلك يركعون ثانية ويتلون أدعية تمتدح بوذا وتثنى على قانونه ونظم جماعته .

وإذا كان الإثم الذي اعترف العضو بإرتكابه مجرد مخالفة بسيطة يعاقب بعقوبة بسيطة ككنس فناء الاستراحة وإزالة ما حول الشجرة المقدسة من أوساخ . أما إذا أتى إثما كبيرا فإنه قد يحال الى هيئة تحاكمه وتقرر العقاب حسب عظم جريرته وحسب مركزه في الجماعة وأقدميته في التعيين .

ولا يسمح لآثم بحضور الجلسات التي تتلى فيها قائمة اللوائح للجماعة . إذ قبل أن يقرأ المرشد المتمكن من تعاليم بوذا هذه اللوائح يسأل رئيس الاجتماع كل عضو ثلاث مرات عن طهارته وعن براءته من الإثم ؛ فإن ظل العضو صامتا كان بريئا من الإثم ، لأن الآثم يجب أن يعترف بإثمه . كما لا يعقد الاجتماع إلا بعد حضور جميع الأعضاء ، ولا يجوز لعضو أن يتغيب عن هذه الاجتماعات إطلاقا إلا عند الضرورة القصوى مثل المرض الشديد أو الجنون . وإذا حدث وتغيب عضو لمرضه يجب أن يرسل براءته من الآثام

الى المجلس . إذ لا تتلى قائمة لوائح الجماعة إلا بعد أن يعلن طهارة جميع الأعضاء الحاضرين منهم والغائبين . وعند تلاوة هذه اللوائح يجب أن يصغى الجميع اليها في يقظة وانتباه حتى يتجنبوا الآثام ، ويعرفوا ما يكونوا قد وقعوا فيه من أخطاء ، وما ارتكبوه سهواً من مخالفات لعدم إلمامهم الدقيق بلوائح الجماعة .

وتشتمل قائمة اللوائح على ثلاثة أنواع من اللوائح : أولها تنص على ما يجب أن يتبعه العضو من سلوك حتى يبلغ النرفانا ، وثانيها تعدد اللوائح التي تحذر من إتيان أفعال تبعد السالك عن طريق الاستنارة وأن من يأتي هذه الأفعال يعد آثماً ، وثالث هذه اللوائح هي اللوائح التي تحدد العقوبات حسب جريرة العضو ومكانته في الجماعة . وعلى كل عضو أن يلم بهذه اللوائح إلماماً تاماً ، وليس لأثم أن يدعى الجهل بها لأنه يفرض عليه قراءة جزء منها يومياً ، كما تتلى عليه مرتين في الشهر في الاجتماعات الدورية ؛ فمن يجهلها بعد ذلك لا شك في أنه آثم ومقصر .

أما من يرتكب إثماً ولا يعترف به أو أتاه سهواً دون أن يشعر أنه اقترف ذنباً يجب أن يبلغ عن إثمه غيره من الأعضاء لأنه من واجب كل عضو أن يبلغ عن مخالفات أى عضو . على أن يكون صادقاً في تبليغه ، ولا يقصد به التشهير بسمعة عضو آخر ، كما أن التستر عليه في مخالفاته يعد اشتراكاً في الإثم . ويقدم العضو المخالف بعد ذلك أمام هيئة مكونة من ستة

مرشدين لمحاكمته . والآثام التي يقدم بسببها الأعضاء أمام هيئة المحاكمة كثيرة متنوعة . وقصد من هذه المحاكمات حماية الجماعة من التفكك والتنافر وإلزام الجميع بحدود الطهارة والفضيلة حتى يعيشوا في إنسجام ووحدة ، ولا يسعون إلا لهدف واحد هو القضاء على الألم والتخلص من القلق والحياة في الرفانا الهادئة .

وأعظم الآثام التي يجب أن يبتعد عنها الجميع هي : القتل والسرقة والكذب والزنا والسكر ، وهي آثام يقسم كل عضو عند تعيينه بتجنبها ، كما يقسم بالابتعاد عن كل ما لا يناسب حياة الزاهد المتقشف ، فلا يقطن فضاء أو ذهب ، ولا يتزين بالزهور والحلي ، ولا يذهب الى دور اللهو ، ولا برقص أو يغنى ، ولا يكون كذلك جشعا في جمع الهبات أو شرها في الأكل . ومن الآثام التي نبه اليها بوذا تجنب تشهير العضو بعضو آخر بقصد تشويه سمعته والحط من مركزه ، والابتعاد عن المشاغبة وإثارة المنازعات والفتن بين الأعضاء مما يسبب كثيرا من المتاعب التي تؤدي الى حزازات تمزق تماسك الجماعة ووحدها . وتعتبر لوائح الجماعة كل من يخفى طاسة أو رداء يزيد عن حاجة العضو آثما يستحق العقاب . وتحذر اللوائح كذلك النساء من إثارة المشاكل وسب بعضهن بعضا ، وتمنعن من التزين والغناء والرقص والتثيل والاستحمام عاريات في الأنهار .

وتضم قائمة اللوائح بنودا كثيرة تحدد علاقة الرجل بالمرأة داخل الجماعة

فتحرم على المرأة سوء مخاطبة الرجل ، فلا تسبه لأى سبب من الأسباب ، أو تجلس أمامه دون استئذان ، وإذا ما جلست لا يجب أن تجلس في استرخاء وقع ، ولا تدخل استراحة الرجال إلا بعد أن يسمح لها بالدخول . كما تطلب هذه اللوائح من الرجال غض النظر عند التحدث أو مقابلة المريدات والمرشدات وعندما يتحدثون اليهن يجب أن تكون نواheim طاهرة غير دنسة ، فيعتبر المسنات منهن كالأمهات والصغيرات منهن كالأخوات إذا كان شابا أما إذا كان مسنا يجب أن يعتبر المسنات كأخوات له والصغيرات كبنات له .

ولعل من أهم الآثام التي حرص بوذا على أن يلح في طلب تجنبها هي مطالبة العضو برفع مكانته في الجماعة ، لأن العضو لا يقدر أن يحكم على مدى رقيه في طريق الترفانا ، وحتى إذا بلغ رتبة عظيمة واقرب من الترفانا لا يجب أن يطلب مرتبة رفيعة في الجماعة ، إنما يجب أن ينتظر حتى يرفعه بوذا الى المسكانه اللائقة بجهاده دون أن يطالب بهذا الحق ، لأن ذلك يدل على أنه منصرف حقا الى تحقيق الترفانا ولا يشغله أى شاغل عن بلوغ هدفه ، وأنه متواضع لا يفاخر في غرور وكبرياء بمجاهداته ويجبر الجماعة على ترقيته ، إنما يجب ترك الأمر لتقدير بوذا وبقية المرشدين دون أن يلتفت لشيء غير الوصول الى الاستنارة .

ويقدم المخطيء الى هيئة مكونة من ستة مرشدين اذا كان رجلا ، وست مرشدات اذا كان امرأة . ثم تأخذ المحكمة تحقق في إثمه . فإذا كان هذا

الإثم بسيطا حكمت عليه الهيئة بعقاب هو بمثابة نوع من المجاهدة يطهر الجسد من الخطايا ، أما اذا كان الوزر كبيرا فيختلف العقاب حسب عظم الوزر من ناحية وحسب مكانة المخطيء في الجماعة من ناحية أخرى . وقد يفصل من الجماعة اذا ما قتل إنسانا أو سرق ولو شيئا نافها أو شرب خمرا أو اقترف الزنا ، وقد تنزل من مكانته في الجماعة وتقل رتبته ويفقد مقامه ، وعليه أن يجاهد من جديد في سبيل الوصول الى المركز الذي فقده . أما اذا ثبت أنه رىء وأن المبلغ عنه قصد التشهير به والخط من مركزه غيرة منه وحسدا عليه فيقدم المبلغ الكاذب الى هيئة الاتهام لمحاكمته ، وقد تسحب منه طاسة الشحاذة ، وهي عقوبة قاسية تنزل العضو من مرتبة المرشد أو المرشد المعين الى مرتبة الطالب .

وهكذا وضع بوذا هذه اللوائح والقوانين حرصا على كيان الجماعة وصونا لها من التفكك ، فضلا عن أنها تحول دون تنازع الأعضاء وتنافسهم وتمكنهم من التصادم والتنافر ، بل أنها تعمل على نشر المحبة والصفاء والوثام بين أعضاء الجماعة ، وأظهرت الجماعة أمام الأهلالي في صورة طاهرة نقية أثبتت لهم أن غرض بوذا وأتباعه هو بلوغ النرفانا فقط ولا شيء آخر ولا يصرفهم عن بلوغ هذا الهدف أي شاغل .

إلا أن بوذا لم يكتف بسن هذه اللوائح التي تحدد علاقات أفراد الجماعة ببعضهم بعضا ولكن اهتم كذلك بوضع التشريعات التي تنظم علاقات

أعضاء الجماعة ببقية أفراد المجتمع الهندي ، خصوصا بالأهالي الموالين للبوذية فاهتم بوذا بأن يكون أعضاء الجماعة على علاقة طيبة بالأهالي وأن يعملوا على توثيق هذه العلاقات حتى يكسب حُبهم وتقديرهم واحترامهم وينال عطفهم على الجماعة ، لأنه بدون معونتهم لا بقاء للجماعة ، خصوصا بعد أن ازداد عدد الأعضاء وأصبحوا لا يمكنهم أن يعيشوا على ثمار الغابات ، وفي حاجة دائمة الى هبات المحسنين من المحبين للبوذية ولذلك منع بوذا الأعضاء من إساءة معاملة الأهالي ، أو التشنيع بهم وبعائلاتهم ، أو الخط من كرامتهم حتى لا يكونوا عرضة لكراهيتهم ، ولا يقفوا في وجه دعوتهم ومحاربتهم ، ويمنعوا عنهم المساعدات الضرورية لبقاء الجماعة ، وطالب بوذا المرشدين والمريدين بحسن معاملة الأهالي قاطبة ، واذا ما طنبوا منهم شيئا يجب أن يطلبوه بلطف وأدب ، وأن يرشدوهم الى طريق الصواب والى الفضيلة ويبعدوهم عن الشر والرذيلة ، ويبينوا لهم طريق الخلاص ويشجموهم على تحقيق الزرفانا ؛ بذلك يمكن أن تنتشر تعاليم بوذا بين الأهالي دون أن يعوقها عائق .

ولكى يضمن بوذا حسن معاملة الأهالي لأعضاء جماعته عنى بوضع نصائح وإرشادات للموالين للبوذية حتم عليهم إتباعها حتى يتصفوا بالتقى والورع والفضل ، وإن لم يلزمهم بالانضمام الى سلك الجماعة فطلب منهم أن يكون الإحترام والحُب والود أساس علاقة الأفراد ببعضهم بعضا في المدينة أو في القرية ؛ إذ يجب أن يحترم الفرد والديهم ومعلميه ، وتحترم الزوجة

زوجها ، ويتبادل الأصدقاء وأبناء القبيلة الحب والاحترام . وطلب بوذا من الأب أن يحسن تربية أولاده وينشئهم على الفضيلة ، وطلب من الزوج أن يحترم زوجته فلا يهملها ويخلص لها ويعطيها سلطة في بيتها ويزودها بالحلى وطلب من الزوجة أن تبادل زوجها احتراماً واحتراماً واخلصاً باخلاص وتقوم بالأعمال البيتية وتحرص على مصلحته وتكون نشيطة تعمل على نشر السعادة في البيت ، وطلب بوذا من أبناء القبيلة أن يكونوا أصدقاء يخلصون لبعضهم بعضاً ولا يتناولون إلا حلوا الحديث ويحرص كل منهم على مصلحة الآخر ولا يحاول أن يضره ويحافظون على الوعد ولا يخشون العهد ، وطلب بوذا من السيد أن يحسن معاملة الخادم أو العبد فلا يكلفه بأعمال تفوق طاقته ويزوده بالطعام اللازم ويعطيه الأجر المناسب ويقوم بعلاجه عند المرض ويشترى له الدواء ويمنحه أوقات للراحة . وطلب من الخادم أو العبد أن يبدى نوايا طيبة نحو سيده ويخدمه بإخلاص فيستيقظ مبكراً وينام مبكراً ويكون أميناً على ممتلكات سيده نشيطاً في العمل ولا يسوء سمعة سيده بالباطل ويشهر به زوراً وبهتاناً . كما طلب بوذا من الأهالي أن يحسنوا معاملة رجال الدين بحيث تنسم بالحب والاحترام والعطف ، وان يرحبوا بهم اذا ما قصدوهم ويمنحوهم ما يحتاجون اليه من لوازم مادية ضرورية .

وقصد بوذا من وراء هذه التشريعات أن يوطد العلاقات بين أعضاء الجماعة وأفراد المجتمع الذين يعيشون بينهم ، وحتى تنشأ محبة متبادلة واحترام متبادل قد يؤديان الى كسب طلاب جدد للجماعة ونيل الجماعة

حاجاتها الضرورية . ولذلك لم يكن بوذا مجرد رجل دين إذ لم تقف رسالته عند إعلان دينه وكسب الأتباع والأعوان ، وإنما كان رجل تشريع كذلك درس ظروف المجتمع الهندي الذي يعيش فيه ، واستفاد من تشريعات الديانات الهندية التي كانت منتشرة في الهند في ذلك الوقت ومن تشريعات جديدة تناسب أهداف دينه وتحقق الزفانا للجميع . إلا أن هذه التشريعات تمتاز على غيرها من التشريعات الدينية أنها لم تشر إلى عبادة الآلهة لأن دين بوذا لا يعرف الإله ، ولم تطلب من الأتباع تقريب القرابين لأنه لا يوجد ما تقدم إليه هذه القرابين وبالتالي لا يوجد في تشريعات بوذا أي نوع من الشعائر الدينية التي تحتاج إلى معابد وكهنة .

الفصل السابع

الحياة اليومية لأعضاء الجماعة

يستيقظ كل عضو في الجماعة - وعلى رأسهم بوذا - مبكراً في الفجر ثم يغتسل ، ويكنس الطالب أو المرشد غرفة مرشده ، وينظف قسماً من فناء الاستراحة ، أو يكنس ما حول الشجرة المقدسة وهي من نوع الشجرة التي استنار تحتها بوذا ، ثم يذهب ويحضّر الماء الذي يحتاج إليه مرشده في هذا اليوم ، وينقيه من الرواسب ويمده للاستعمال . بينما يجلس المرشد في خلوة ويأخذ في تأمل تعاليم بوذا ونظم الجماعة ، وكل ما صدر عنه من أفعال في اليوم السابق ليتبين منها الخطأ من الصواب ويتأكد من طهارته ، ويستمر هذا التأمل إلى أن يحين موعد جمع الصدقات للوجبة اليومية ، ثم يلبس الرداء الخارجي والعباءة ويمسك طاسة الشحاذة ، ويذهب إلى المدينة القريبة أو القرية المجاورة لطلب الصدقات . وقد يذهب بوذا منفرداً أو يستصحب معه بعض المرشدين والمريدين ، وقد يذهب المرشد بمفرده وأحياناً يستصحب بعض المريدين . وإذا ما ظهر بوذا في شوارع المدينة أو دروب القرية يتسابق الأهالي على إعطائه هو ومن معه كل ما يحتاجون إليه من طعام . وبعد الجولة اليومية يعود الجميع إلى الاستراحة . ويفضل المرشد قديم بوذا أو

مرشده ، ثم يضع طاسة الطعام أمامه ليأكل . وبعد أن ينتهى من تناول الوجبة اليومية يغسل المريـد الطاسة .

بعد أن ينتهى جميع أعضاء الجماعة من الأكل يتجمعون حول بوذا الذى يأخذ فى القاء بعض الدروس فى القانون ونظم الجماعة ، ويناقشهم فى طرق التأمل وأساليبه ، ويبين لهم كيفية التدريب عليه حسب قدرات كل فرد واستعداده . بعد ذلك يستأذن كل عضو فى الانصراف ، ويذهب الى مكان خلوته الذى تعود أن يعتزل فيه أوقات من الليل والنهار . فمنهم من يذهب الى الغابة ويجلس فى ظل شجرة ، ومنهم من يلجأ الى مغارات الجبال والتلال . ومنهم من يذهب الى غرفته فى الاستراحة ، ويأخذ فى دراسة ما عنده من كتب تتناول قوانين بوذا ولوائح الجماعة ، أو ينسخ بعض الكتب ، ويسأل مرشده عن الفقرات التى يشق عليه فهمها . بينما يبقى بوذا فى غرفته ، ويستلقى بعض الوقت طلباً للراحة . يستيقظ بعدها نشط الفكر ، منتبه الذهن . متجدد الحيوية ، ويأخذ فى التأمل من جديد فى حقائق الوجود .

وكثيراً ما يجتمع أهل المدينة القريبة أو القرية المجاورة فى قاعة المحاضرات فى الاستراحة ، ويجلس بوذا على حصير على الأرض ، ويلقى عليهم دروساً فى التعاليم البوذية . وبعد أن ينصرف الأهالى يستحم بوذا اذا ما رغب فى ذلك أو يبرد المريـد أطرافه بالماء ، ثم يرتدى الرداء الخارجى والعباءة ويعتزل الجميع طلباً للخلوة ، ويفرق فى بحر من التأمل . بينما يأخذ الطلاب والمريـدون

في تنظيف الاستراحة وكندسها . وبعد غروب الشمس يوقدون المصابيح ،
ويأخذ كل منهم في الاستماع لدروس مرشده أو في تلاوة ما استظلمه من
فقرات من القانون . وإذا ارتكب إنما يعترف لمرشده بكل ما آتاه من
آثام حتى يتطهر . يجتمع المرشدون بعد ذلك في غرفة بوذا ويستفسرون منه
عن كل ما غمض عليهم من تعاليم بوذا وما صعب عليهم من طرق التأمل ،
أو يطلبون منه أن يلقي عليهم درسا في أحد الموضوعات البوذية ، ثم
يستأذنون في الانصراف . وقبل أن ينام بوذا يمضي بعض الوقت في التأمل
ثم يقوم بتمرينات لتحريك قدميه من عناء الجلوس على الأرض حتى منتصف
الليل .

يتضح من عرض حياة أعضاء جماعة بوذا اليومية أنها خالية من العبادات
والشعائر . فهم لا يذهبون الى المعابد ، ولا يصلون أو يصومون أو يتلون
الدعوات . وأحسب أنه لا يوجد عندهم ما يشبه الشعائر إلا جمع الصدقات
والتأمل اذا ما اعتبرنا جمع الصدقات والتأمل كنوع من الشعائر حيث أن
بوذا فرض على الجميع جمع الصدقات يوميا والزمهم بالاكتر من التأمل .
ولقد سبق أن تحدثنا عن موضوع جمع الصدقات ، أما عن التأمل فإن بوذا
يرى أنه هو السبيل الوحيد الذي يقضى على الألم والتعلق ، ويتيح للعضو فرصة
للسيطرة على الأهواء والشهوات ، ويوصل الى الهدوء والاستقرار أى يحقق
النرفانا . ولذلك يجب على كل عضو أن يمضي معظم يومه في التدريب على التأمل

حتى يجيد طريق النجاة ، فلا نعجب اذا اعتبر بوذا التأمل من أهم أعمال
العضو اليومية .

واذا كان التأمل قوام الحياة اليومية لكل عضو فلا يمكن أن يكون
عندنا فكرة واضحة عن حياة الأعضاء اليومية ما لم نعرف كل ما يتصل بهذا
التأمل . أن التأمل الصحيح لا يكتسب بدون أن يتبع العضو طرقا معينة يتدرب
عليها يوميا حتى يقدر بالمران والخبرة أن يزاول التأمل مزاوله صحيحة ، وأن
يصل بالتأمل الصحيح الى أهدافه . وللتأمل عدة مراحل تبدأ بأن يحاول
العضو تسكين حركات جسمه بأن يجلس في مكان هادى جلسة القرفصاء أو
يستلقى في استرخاء تام ويسكن جميع أطراف جسمه تسكينا كاملا ، ولا يحرك
أى عضو منها إلا للحاجة ملحة وفي بدءه وهدوءه ؛ ثم يأخذ بعد ذلك في تصفيه
ذهنه من كل ما يشغله ويصرفه عن التأمل بأن ينتبه بكل وعيه لعملية التنفس
من شهيق وزفير دون أن يحاول التدخل في عملية التنفس نفسها ويتركها
تسير سيرها الطبيعي . بعد فترة من السكون الشامل يصبح الجسم هادئا
ساكنا ، ويصير الذهن صافيا عيضا ، ويشعر العضو براحة واطمئنان
تفضيان على كل ما سببته له حياته اليومية من تعب وقلق . وفي هذه الحالة
يكون الذهن قد أعد إعدادا تاما للتأمل فينصرف الى موضوعات تأمله
بكل كيانه لا يشغله عنها شاغل ، ويحصر فيها تفكيره دون أن يطرق عليه
أى فكرة دخيلة أو شعور عارض يعرقل تأمله ويبعده عن هدفه .

أما عن موضوعات التأمل فتشمل تعاليم بوذا وإزالة النوازع الشريرة وكسب نزعات خيرة من ناحية ، ونقد الذات ومحاسبتها على ما قد ارتكبه من آثام من ناحية أخرى . ويبدأ العضو تأمله بتأمل موضوع الجسد وما يصيبه من مرض وشيخوخة وموت فيتأكد من أنه بال وسبب استمرار الولادات ومبعث الشهوات ومصدر الأهواء ، ثم يتأمل موضوع النفس فلا يجد شيئاً ثابتاً في الفرد ، فالحواس متغيرة متقلبة ، والانفعالات تتبدل من حين لآخر ، والمشاعر لا تثبت على حال ، حتى الأفكار تتطور وتتغير فليس هناك نفس أو أى شيء ثابت في كيان الإنسان فيثق في أنه لا يوجد حقاً روح أو نفس . ثم يتأمل في سبب تعلق الفرد بالعالم الأرضي أو بالعالم الآخر ، فيجد أن تعلقنا بالحياة الأرضية يرجع الى قوة الشهوات وسطوة للرغبات ، وأن ميلنا للحياة في عالم آخر بعد الموت يقويه الاعتقاد بوجود الروح أو النفس أو ما شابه ذلك ، ويدعو ذلك العضو الى محاربة كل ما يبعثه الجسد من انفعالات حتى يقضى عليها ، والى مقاومة كل ما تنشره الأديان الأخرى من الأفكار الدينية التي تدور حول النفس والروح حتى لا تحلم بحياة في العالم الآخر فيبتعد عن عرضه النهائي وهو تحقيق الرفانا التي لا تتحقق في عالم أرضي أو في عالم سماوي ولا تحتاج لشعائر وتقريب القرابين ودخول المعابد ، مما تنادى به الأديان الأخرى .

وقد يدعو ذلك الى نوع الشك ، ولذلك يجب أن يتأمل العضو في ضرر الشك وحيرة التردد وقلق الريبة ، وكيف أن الشك والتردد والريبة تبلبل

الذهن وتشتت الفكر وتبعد العضو عن هدفه . وليس الشك وحده النقيصة الوحيدة التي تفسد التأمل ، بل هناك نقائص أخرى كثيرة يجب أن يتأملها العضو ليقضي على أضرارها . ولذلك يجب أن يتأمل كل عضو في الحقد والحسد وكيفية التخلص منها ، وفي الكسل والخمول والبلادة وكيف أنها تعوق الورد عن سيره الحثيث نحو النرفانا ، وفي الجهل الذي يجعل العضو يتصرف تصرفات أبعد ما تكون عن السلوك السوي ، وفي الجشع ، وفي الكبرياء ، وفي الطيش والنزق ، وفي قلة الحياء والوقاحة وكيف أنها لا تساعد على كسب الطهارة وتعرقل الصفاء ، وأن التحرر من هذه المساوئ بالتأمل المستمر فيها ضروري لأنها تبعد العضو عن الهدوء والاستقرار .

وبعد أن ينتهي العضو من تأمل النواقص الخلقية وكيف يتخلص منها يأخذ في تأمل الكمالات الخلقية وكيف يكتسبها . فيبدأ في تأمل المنح والعطاء حتى يدرك كيف أن الاحسان يولد سعادة وسرورا ، إذ يبعث على حب الآخرين ، ويدرب الفكر على التجاوب مع الشفقة والرحمة . ثم يتأمل الواجب وكيف أن أداءه يتنافى مع الكذب وقلة الحياء وشرب الخمر ، وأن التدريب على تأمله يكون عن طريق تقوية الإرادة وتصفية القلب ، ولا يتأتى ذلك بدون العمل على تحرير الإرادة والقلب من أضرار الجسد ، وذلك يدعو الى التأمل في إنكار الذات وكيف أن الغيرية تسوق الى حب الجميع وأن تدريب الفكر على تأمل الحب يحرر الذهن وينقيه ، ويسطع عليه بنور وضاح ظاهر يقوى من إيمانه بالنرفانا ؛ ولذلك يجب أن ينمي الفرد

حب جميع أفراد البشرية في قلبه ، ويدرب فكره على طول الإمعان في تأمل الحب حتى يصفوا إيمانه بالترفانا صفاء تاما . ويدرب العضو كذلك ذهنه على للتأمل في مغزى شحاذة الوجبة اليومية وكيف أنها تحرره من حب الامتلاك والجشع ، وأن التدريب على تأمل استجداء الطعام يحث على تخلص الجسد من الروابط الأرضية . بينما التأمل في الشجاعة ضروري لتقوية نزعة الإرادة في القضاء على الأنانية ومحاربة النزعات والرغبات والأهواء . أما التأمل في الصبر يقوى الذهن على تحمل كل ما يصادف العضو من متاعب في سبيل القضاء على الشهوة واللذة والمسرات . ويجب أن يصوب فكره نحو الحقيقة بتأملها على الدوام حتى لا يبيد عنها أبدا . ويجب أن يركز ذهنه في تأمل الحزم والعزم وكيف أن الإرادة يجب أن تصمم بلا تردد أو تخاذل في سبيل تحقيق الترفانا . ويجب أن يتأمل كذلك في الرحمة والشفقة إذ يجب أن يعطف كل عضو على هؤلاء البشر الذين يعيشون في حزن وألم وقلق من جراء تعلقهم بالأرض ، فيحزن لحزنهم ويتألم لألمهم ويقلق لقلقهم ، ومشاركة البشر في الحزن والألم والقلق يولد شفقة محبوبة تولد بدورها حبا أخويا وصداقة لجميع الناس . وللعضو أن يتأمل في سعادة غيره من الناس ويشاركهم في هذه السعادة بأن يسعد لسعادتهم ويسر لأنهم يعيشون في سعادة خلصتهم من روابط الأرض وتعدهم للوصول الى الترفانا . وأخيرا يجب على كل عضو أن يركز ذهنه في تأمل حالة الهدوء والسكينة والاستقرار التي يتساوى فيها

السرور والالام ، ويتعدم فيها التميز بين الخير والشر أو العدل والظلم أو الشهرة والأفول أو الغنى والفقير أو الجمال والقبح أو الشباب والشيوخوخة أو الصحة والمرض ، ويدرب فكره تدريجيا طويلا مستمرا على اكتساب حالة الاستقرار التي هي أقرب الأحوال الى الرفانا أو باكتسابها يصل الى الرفانا.

ولا يمكن إكتساب الكمالات السابقة إلا اذا كان عند العضو رغبة قوية في التحلي بهذه الخصال الطيبة ، إذ يمكن أن تدفعه الى أن يسلك السبيل السوى لإكتسابها ، وأن تعد قلبه للإيمان بها إيمانا صادقا نقيا ، وأن تحث فكره على أن يدرسها دراسة فاحصة . وطالما يركز العضو ذهنه في هذه الخصال الحميدة ويقوى من إرادته لإكتسابها بالأعمال الطيبة فإنه ينتقل من حال الى حال أرقى منها حتى يعمل في النهاية الى حال الاستقرار . أما عن هذه الأحوال فهي :

١ - حال الحيوية والنشاط وهو الذي يحث على العمل من أجل السير في طريق الرفانا .

٢ - حال الوعي وهو الذي يوقظ في العضو وعي تعاليم بوذا وعيا شاملا كاملا .

٣ - حال التأمل الذي يحض العضو على إمعان النظر في تعاليم بوذا .

٤ - حال البحث وهو الذى يلزم العضو بالدقة فى دراسة قانون بوذا دراسة عميقة مستفيضة .

٥ - حال النشوة وهو السعادة المكتسبة من التحرر من الشهوات والرغبات .

٦ - حال الاطمئنان الذى يتخلص فيه العضو من جميع ألوان الحزن والقلق والخوف بما يدعو الى صفاء الذهن صفاء تاما لا يدفعه الى أى نوع من التفكير .

٧ - حال الصبر الذى يحتفظ فيه العضو بنشوته من أجل تحرره التام من الأهواء ، ويتمسك بما حققه من اطمئنان أدى الى صفاء الذهن وأنقذه من هواجس الألم .

٨ - حال الاستقرار والهدوء الذى لا تتميز فيه القيم ، ويصبح فيه العضو فوق الأفراح والأحزان بل فوق الحياة والموت ، ويحقق الزفانا حال السكينة المطلقة التى ينفصل فيها عن كل ما يربطه بالوجود من قيم ، وبذلك يصل الى نهاية مطاف كل بوذى .

إن حياة أعضاء جماعة بوذا اليومية تؤكد لنا أن بوذا لا يعترف بالشعائر والطلاسم ، ولا يقر بالكهانة وحياة المعابد . وإن حياتهم اليومية تشمل

نوعين من الاعمال : أعمال مادية تنحصر في تنظيف الاستراحة وخدمة المرشدين واستجداء الطعام ، وأعمال تأملية تنصرف الى التخلص من النقائص وكسب كالات تقود الى النرفانا . كما أن حياة الأعضاء اليومية تشهد على أن بوذا لا يلزم أى عضو بقبول تعاليمه دون أن يتأكد من صدقها ويترك لهم مطلق الحرية الى أن يعيها كل منهم وعيا تاما ، ويتأملها تأملا طويلا عميقا ، ويفحصها فحصا شاملا حتى اذا ما آمن بها يسير في طريق النرفانا دون أى تعثر .

الفصل الثامن

أيام بوذا الأخيرة

عندما اقترب بوذا من سن الثمانين كان قد دب في جسمه الضعف والوهن ولا عجب في ذلك فلقد قام بما يربو عن أربع وأربعين رحلة بين القصيرة والطويلة متنقلا من بلدة الى بلدة سيرا على الأقدام يدعو الناس الى تعاليمه ، ويحثهم على الانضمام الى جماعته ، وينشئ مراكز لاستراحة الأعضاء في كل مكان ، ويضع النظم واللوائح التي تنظم حياة الأعضاء داخل الجماعة . ولم يكن جهاده سهلا هينا فلقد صادفته بعض المتاهب ، وواجهته انقسامات أثارته الفتن والمنازعات ، كان أعمق هذه الفتن أثرا في بوذا هي فتنة ديفاداتا التي كان سببها التنافس على رئاسة الجماعة ، وأدت الى خروج بعض الأعضاء المتزمين من جماعته . ولا شك في أن هذه الفتن والمنازعات جعلت بوذا ينشغل على مستقبل جماعته ، بينما هو في سن لا يمكنه أن يواجهها بقوة ويقضي عليها بحزم في الحال . وقد توالى عليه المصائب بعد ذلك إذ اغتيل أعز صديق له وهو الملك بمبارا حاكم مملكة ما جادها وكان من أخلص المخلصين لبوذا وجماعته ؛ وهاجم الملك فيرودها حاكم مملكة كاش ولاية كايلافاستي وأخذ يذبح في أمراء ساكيا من أبناء عمومته .

فكبر السن وطول الجهاد وكثرة المتاعب وتوالي المصائب جعلت بوذا يحس بقرب منيته ، فحن الى موطنه ، ورغب في الذهاب الى حيث أما كن الطفولة والشباب ، واشتاق لرؤية جبال الهيمالايا وقممها المغطاة بالتلوج . وكان في ذلك الوقت قد ذهب الى مدينة راجاجريها عاصمة ماجادها بعد أن مضى فصل المطر الرابع والأربعين في استراحة جيتا بمدينة شرافسي ، وانتابه شعور بأن رحلته هذه ستكون آخر رحلة له ، ولذلك عزم على أن يمر بأكبر عدد ممكن من المدن والقرى ليلقى على أعضاء الجماعة في كل منها دروسا في آخر صورة لتعاليمه . ولذلك طلب بوذا من مریده وأقرب المقربين اليه أناندا أن يدعو جميع الاخـوان في راجاجريها للحضور في قاعة المحاضرات ، وأخذ يلقي عليهم دروسا لخص فيها شتى تعاليمه ، وأعطاهم فكرة شاملة عن جميع اتجاهات مذهبه .

وأخذ بوذا بعد ذلك ينتقل من بلدة الى بلدة في مملكة ماجادها داعيا جماعته لسماع محاضراته الجامعة الشاملة لشتى نواحي دينه . ومن تلك المدن بلدة أميالاتهيك وبلدة نالاندا ، وبلدة باتاليجاما التي تقع على الحدود بين مملكة ماجادها ومملكة فيجيان ، وكانت المملكتان في حرب ، وكان لكل منها قوات تحرس الأسوار على الحدود ، وكان ملك ماجادها آخذ في بناء حصون جديدة تعتبر نواة عاصمته الجديدة التي سميت فيما بعد باسم مدينة باتاليبوتا التي ليست إلا مدينة باتنا الحالية . ولما عرف وزراء ملك ماجادها

بوجود بوذا على الحدود دعوه لتناول الطعام .

بعد ذلك عـ. بوذا مع جماعته نهر الجنجز ساحة ، وما أن وصل الى الضفة الأخرى حتى توجه الى بلدة كاتيجاما في مملكة فيجيان ، وألقى هناك دروسا وافية شاملة لجميع المبادئ البوذية ، ثم أخذ يتنقل بين بلدان مملكة فيجيان خصوصا بلدة نادريكا حيث أقام في بيت من الطوب ، وألقى نفس الدروس الشاملة الجامعة على جماعة هذه البلدة .

ثم ذهب الى مدينة فيشالي عاصمة مملكة ليكشافيس ، وأقام في غابة تملكها الغانية أمبابالي ، وكانت على قسط وافر من الجمال ، تجيد الرقص والغناء ، ويتسابق العشاق على كسب ودها ، وكانت لا تبخل عليهم بالحلب ولا ترد ما يطلبونه من متعة . فلما علمت أمبابالي بزول بوذا وجماعته في غابتها أسرعت اليه ودعته هو وجماعته لتناول الطعام . وبعد أن قبل بوذا دعوتها كان كبار رجال مدينة فيشالي يتسابقون اليه ليفوز كل منهم بشرف دعوة بوذا ، إلا أنه اعتذر لهم جميعا ، وتعجبوا كيف يقبل بوذا دعوة غانية ويرفض دعوتهم . وبعد أن أكل بوذا وجماعته ألقى بوذا على أمبابالي دروسا في البوذية ونصائح وعظات دفعتها الى تغيير مجرى حياتها والايان بتعاليمه وترك حياة المجون ، ثم رجعت بوذا أن يقبل منها غابة المانجو وما فيها من إستراحة كهدية منها للجماعة فقبلها بوذا ، ولم تكف أمبابالي بذلك بل وهبت حياتها ومالها كذلك في سبيل بوذا وجماعته . وقبل أن يرحل بوذا

الى بلدة ييلوفاجاما كما ألقى على جماعة فيشالي دروسا جامعة شاملة تربط
تعاليمه في وحدة كاملة متناسقة .

وفي بلدة ييلوفاجا ما كما أمضى بوذا آخر فصل للمطر بعد الاستنارة ،
وهي قرية صغيرة . لا تكاد تكفي لإقامة جميع أفراد جماعته ، ولذلك طلب منهم
أن بوذا يتوزعوا على بيوت الأصدقاء والمعارف في مدينة فيشالي أو يسكنوا
القرى المجاورة لتضية فصل المطر . أما بوذا فبقى مع أناندا في ييلوفاجاما كما
ولقد أصيب بوذا في هذه البلدة بمرض كاد يؤدي بحياته حتى يأس أناندا
من شفائه . ولكن بوذا شعر بأنه لم يمر بجميع مراكز الجماعة ، وأن كثيرا
من الأعضاء لم يستمعوا الى آخر دروسه الجامعة الشاملة وكذلك تذكر أن
أناندا لم يصبح مرشدا بعد ، وأنه ما زال يريدنا يطلب العلم ، ولم يعين
تعييننا نهائيا في سلك الجماعة ، فتغلب على مرضه واستعاد صحته بقوة إرادته
وأخذ ينبه أناندا الى أنه سواء أكان حيا أو ميتا فإن ذلك لا يفيد في شيء
إذ لا ييسر له بوذا تحقيق النرفانا أو يحول دون بلوغ الاستنارة ؛ لأن
الاستنارة لا يتوصل اليها الفرد إلا بجهوده الخاصة وبدافع من ذاته دون
أن يستعين بمعلم أو ينتظر حافزا خارجيا يدفعه اليها .

وكان بوذا يتوجه كل يوم مع أناندا الى مدينة فيشالي ليشحذا طعامها ،
وبعد تناولها هذا الطعام كثيرا ما كان بوذا يحدث أناندا عن المراحل التي
يسير فيها المستنير بعد الموت حتى يبلغ النرفانا ، وحدد مراحل النرفانا بأحوال
ثمانية هي :

- ١ - تبدأ المرحلة الأولى بحال الاحساس بالصور والأشكال .
- ٢ - وينتقل منه الى حال فقدان الشعور بصورته الذاتية وشكله الخاص مع عدم الإحساس بالأشياء الخارجية . .
- ٣ - وفي الحال الثالث لا يدرك إلا المعاني الكلية للصور والأشياء .
- ٤ - بعد ذلك ينتقل الى حال يتلاشى فيه الاحساس بكل ما هو جزئى وينعدم الإدراك بكل ما هو فردى ، ويدرك فيه حقيقة المكان اللانهائى بأنه غير محدد بصورة أو معين بشكل .
- ٥ - وينتقل فى الحال الخامس الى حال يستولى عليه الشعور اللامتناهى وهو شعور غير مقيد بإحساس معين أو بأدراك خاص .
- ٦ - ثم ينتقل الى حال اللاشيئية حيث لا يدرك أى شىء على الإطلاق
- ٧ - وفي الحال السابع ينعدم الاحساس بكل ما هو جزئى أو كلى على حد سواء ، ويتلاشى الادراك بكل ما هو جزئى وكلى فى وقت واحد .
- ٨ - وأخيرا ينتقل الى حال يتساوى فيه الاحساس مع عدمه ، ولا يتمايز الادراك عن عدمه وهو حال الترقانا .

وبعد انتهاء فصل المطراتجه بوذا الى بلدة ماهاقانا حيث توجد قاعة كوتاجارا وطلب من أناندا أن يدعو جميع الاخوان المنتشرين فى فيشالى وماحولها من قرى للتوجه الى هذه القاعة . وبعد حضورهم ألقى عليهم بوذا بجملا للقانون

البوذي، وحشهم على التمسك بلوائح الجماعة والتعمق في تعاليم البوذية. ثم أخذ بوذا يتنقل بين مدن وقرى مملكة كاشافيس، وألقى في كل منها دروساً.
رافية عن البوذية

وبعد ذلك قصد بلاد مالان، وأقام في غابة مانجو بمدينة بافا. وعندما سمع تشندا صاحب هذا الغابة بقدوم بوذا إلى غابته أسرع إليه ودعاه هو وجماعته لتناول الطعام. وقدم لهم من بين ما قدم من طعام لحم خنزير وبعد الأكل غاود بوذا مرضه القديم وهو الدوزنتريا، فشكر تشندا على ضيافته وقام مسرعاً هو وجماعته، حتى لا يعزف تشندا بمرضه فيؤنب ذاته. ظناً منه بأن طعامه سبب مرض بوذا، وضاغظ بوذا المريض المتعب على قواه واتجه نحو مدينة كوسنارا وهي تبعد حوالي ١٢٠ ميلاً عن مدينة بنارس وتبعد من جهة الشرق بحوالي ٨٠ ميلاً عن مدينة كايلا فاستي. في أثناء السير اعترضه نهر كوكوشتا فاضطر أن يستريح بعض الوقت ثم سبغ في النهر وعبره مع جماعته. ولكنه لم يكد يمشي مسافة قصيرة حتى شعر بوذا بشدة وطأة المرض عليه، فلم يقو على أن يواصل السير. فتوقف بوذا في غابة بين أشجار السال، وطلب من أناندا أن يعد له فراشاً على أن تكون رأسه جهة الشمال وبين شجرتين توأمتين من أشجار البليل. ثم نام على جنبه الأيمن، ووضع ساقاً على ساق، وغرق في بحر من التأمل.

وبعد قليل تنبه وأخذ يحدث أناندا عن تشندا، وطلب منه أن يدافع

عنه اذا ما لامه أحد على ما قدمه لبوذا من طعام به لحم خنزير ، وأن يعلن للجميع بأن أفضل الأطعمة التي قدمت له هو الطعام الذي قدمته له السيدة سوجاتا قبيل الاستنارة وهو تحت شجرة التين ، والطعام الذي قدمه له تشندا قبيل وفاته . كما حدث بوذا أناندا عما يجب عمله بعد موته وعن كيفية دفنه .

وبعد أن انتهى بوذا من حديثه السحب أناندا بعيدا ، وأخذ يبكي ، فلاحظ بوذا غياب أناندا ، فسأل عنه ، فقيل له إنه تسرب بعيدا وأخذ يبكي فطلب من أحد الاخوان أن يستدعيه ، فلما حضر طلب منه بوذا أن يكف عن البكاء ، وشكره على اخلاصه ووفائه ، وأخبره بأنه لا يوجد انسان لا يموت ويتحلل ويبيلى ، فهذه سنة الحياة ولن يفر أحد من الموت ، فلا حاجة للحزن والبكاء .

ولقد ضايق أناندا أن يموت بوذا العظيم في قرية صغيرة مجهولة ، سورها من طين ، وأرضها برية لا تزرع ، فرجا بوذا أن يذهب الى إحدى المدن الكبرى حيث يوجد عدد كبير من البرهمة والكشائريا والأثرياء والمخلصين لبوذا ، ويشرفهم أن يحيطوا جثمان بوذا بالاحترام اللائق به ، ويكرموه في رحيله من الحياة أحسن إكرام . ولكن بوذا منع أناندا من الاستمرار في مثل هذا الكلام ، وطلب منه أن يذهب الى أهالي كوسنارا ويخبرهم بقرب منية بوذا . فذهب أناندا الى كوسنارا ، ووجد أهاليها - وهم من قبيلة مالان - يعتقدون إجتهاط في نقاعة الشورى ويناقشون بعض الأمور النجارية التي

تخصيم ؛ فأعلن في هذا الاجتماع بأن هذه الليلة هي آخر ليلة في حياة بوذا ،
وأنه يحضر الآن ، فحزن الأهالي حزنا شديدا ؛ وسرعان ما انتشر الخبر
في البلدة ، وأخذت النساء تولولن وتندبن .

ولما بلغ سمع الزاهد المتجول سودهارا خبر احتضار بوذا أسرع في
الذهاب إليه ؛ إذ كان يشك في التعاليم الدينية المنتشرة في البلاد ، وأراد أن
يناقش بوذا في بعض المسائل الدينية لعله يصل إلى اليقين على يديه . وطلب
من أناندا أن يقابل بوذا ، ولكنه رفض لأنه لم يرد أن يزعم بوذا في
ساعاته الأخيرة . ولكن بوذا سمع نقاشها فطلب من أناندا أن يسمح لسودهارا
بمقابلته . ولما أخبر سودهارا بوذا بعدم ثقته في رجال الدين في ذلك الوقت
أخذ بوذا يوضح له أسس دينه فأمن بها وطلب من بوذا أن يدخل في الجماعة
قبل وعينه في الجماعة ؛ فكان سودهارا آخر طالب دخل الجماعة على يد بوذا .

وقبل أن يلفظ بوذا أنفاسه الأخيرة طلب من أناندا ومن جميع الأعضاء
ال حاضرين أن يتخذوا من القانون مرشدا لهم ، وعليهم جميعا أن يعملوا
من أجل إذاعته ونشره في كل مكان . ثم تساءل إذا ما كان هناك من يشك
في أي شيء من تعاليمه أو يريد أن يستفسر عن شيء غمض عليه . وبعد
ذلك قال آخر كلماته ، إن الغناء رايع في كل شيء يزاد لا ينقص عن ذلك
أحد ، وعلى الجميع أن يبذلوا الجهد في سبيل الخلاص النهائي ، ثم مات .

وسرعان ما ذاع خبر الوفاة ، وجاءت النساء وأعلنن جثمان بوذا وأخذن

يولولت ويندين . أما الأعضاء الذين لم يقهروا بعد شهواتهم ، أو يقضوا
على نزواتهم انتابتهم نوبات من البكاء والتعيب والنواح ، فضلا عن أنهم كان
يمدون أيديهم الى الامام ثم ينطحون أرضا ويحركون أجسامهم الى الامام
والخلف . بينما الأعضاء الذين قهروا شهواتهم وتغلبوا على نزواتهم لم يفقدوا
الحزن السيطرة على انفعالاتهم ولم يخرجهم الاسبى عن جادة الصواب .
وأشد أناندا قائلا ، يا هول ما حدث ، لقد مات المستبصر الذى هو أفضل
الجميع فى كل شىء ، ، وقال أنورودها ، لقد خرج النفس الأخير من الذهن
الثابت الهادى ، وخمد فكره كما تخمد النار المنيرة ، ، ثم طلب أنورودها
من الأعضاء أن يكفوا عن البكاء وذكرهم بآخر أقوال بوذا فى فناء سائر
الأفراد ، إلا أن الأعضاء لم ينقطوا عن التعيب طوال الليل ، واستمر كل
من أناندا وأنورودها يخفان عنهم شدة وطأة الحزن ويطلبان منهم التوقف
عن النواح .

ولما ذهب أناندا لينبع قادة مالان نبا مؤث بوذا أسرع أهالى كوسنارا
فى صنع الكفن وأكليل الزهور وفى احضار الطيب والعطر ، ثم توجهوا
الى غابة السال وأخذوا يرتلون الأناشيد ويعزفون الموسيقى ويرقصون ،
واستمروا على هذا المتوال سبعة أيام بلياليها ، وما أن أتى اليوم السابع حتى
اغتسل ثمانية من الرجال وارتدوا ملابس نظيفة طاهرة ، ثم حملوا جثمان
بوذا وظانوا به فى طرق كوسنارا حتى وصلوا الى ضريح مالان . وهناك

وضعوا جثمان بوذا في تابوت حديدي به زيت بعد أن لصفوه بطبقات من القماش والقطن ، ثم غطوه بقماش طاهر ، ونقلوا التابوت حيث أقاموا محرقة من خشب الأشجار ذات الرائحة الطيبة . وحاول البعض إشعال الخشب لجرق جثمان بوذا إلا أنهم فشلوا في إشعال النار . في ذلك الوقت وصل كاشيابا - إذ لم يكن حاضرا وقت أن مات بوذا - على رأس جماعة عددها حوالي خمسمائة عضوا ، وأخذ يدور هو وجماعته حول المحرقة ثلاث مرات ويلقي قطعاً من خشب شجر النخيل ، ثم كشف عن قدمي بوذا وألصق جبهته بها إجلالا وإكراما لبوذا . وبينما يحيي بقية الأعضاء بوذا بلصق الجباة بقدميه اشتعلت المحرقة ، وسرعان ما تم إحتراق جثمان بوذا حتى لم يبق منه إلا الرماد .

وبعد أن خبت النار أقام أهالي كوستنارا سورا من السيوف والسهام حول رماد جثمان بوذا . وظلوا يكرمون هذا الرماد سبة أيام أخرى بالاناشيد والموسيقى والرقص ، ويلقون عليها العطر والأزهار .

وكان في نية أهالي كوستنارا أن يحتفظوا برماد جثمان بوذا في بلدتهم ، ويقيموا ضريحاً خاصاً لبوذا . ولكن لما سمعت المدن التي تنتشر فيها البوذية بخبر موت بوذا أسرع بإرسال مندوبيها مطالبة بنصيبها في رماد جثمان بوذا حتى يمكنها إقامة أضرحة لبوذا في أراضيها . ومنعا للشقاق أشار العضو ديونا بأن يوزع رماد جثمان بوذا على البلدان الثمانية التي طالبت بحفظها في

أخذ هذا الرماد . ولقد رضى قادة هذه البلاد بهذا التقسيم فوزع رماد جثمان بوذا على كوسنارا وماجادها وفيشالى وكايلافاسى واللاكابا وراما جاما وبافا وفيتهاديا . وبعد هذا التوزيع طالب العضو دونا بطاسة بوذا فأعطيت له ، ثم جاء بعد ذلك مندوب قبائل مورياس وطالب بنصيب بلاده فى رماد جثمان بوذا ولم يكن هناك إلا بقايا من الحطب الذى احترق فيه جثمان بوذا فأعطى له .

ولقد أقامت كل بلدة من البلاد الثمانية ضريحاً خاصاً دفنت فيه نصيبها فى رماد جثمان بوذا ، وشيد العضو دونا ضريحاً تاسعاً لطاسة بوذا ، بينما بنى أهالى مورياس ضريحاً عاشراً لبقايا الحطب الذى احترق فيه جثمان بوذا . إلا أنه يقال - وأحسب أن هذا القول صحيحاً - إن كاشيابا اعترض على دونا ورفض فكره توزيع رماد جثمان بوذا وإقامة أضرحة متعددة لهذا الرماد ؛ لأن تعاليم بوذا تناهض إقامة الأضرحة وزيارتها ، وكذلك خوفاً من أن ينظر الناس الى بوذا على أنه إله ثم يعبدونه أتباعه بعد ذلك ، بينما بوذا لم يؤمن بالآلهة ولم يأمر بعبادتها . ولذلك عمل كاشيابا على استرداد رماد جثمان بوذا ثم دفنه فى كهف فى جنوب شرق راجاجريها .

وهكذا مات بوذا بعد جهاد طويل شاق دام ما يقرب من نصف قرن أحدث ثورة دينية قلبت الأوضاع الدينية والاجتماعية المألوفة ، وحاربت نظام الطوائف وسحبت من البراهمة والكهنة ورجال الدين ما كانوا يتمتعون

من حنوة عند الشعب ومن نفوذ وسطوة عليه . لقد نادى بوذا بمساواة جميع الأفراد ، وأن لا فرق بين برهمي وسودري إلا بجهاده في سبيل تحقيق الرفانا وأن تحقيق الرفانا لا يتوصل إليه الفرد إلا بجهد الذاتي ولا ينتظر من أحد عونا لأن ذلك لا يفيد في شيء . وأن الجميع أحرار ليس عليهم من سلطان غير القانون البوذي بل لهم الحق في التحلل منه إذا ما شكوا فيه وأحسوا أنه لا يحقق هدفهم ، وعندئذ لهم مطلق الحرية في الانفصال عن الجماعة

ولقد ظل بوذا إلى آخر أيام حياته يطوف بمرآة الجماعة يدعو إلى تعاليمه ويناقش كل معترض ويزيل الشك من قلب كل مرتاب ويحث على التمسك بالقانون ويدفع إلى نشره في كل مكان . ولم يقصر بوذا في أن يمين طالبا في الجماعة وهو في ساعاته الأخيرة ، ولم يكف عن النصيح والارشاد حتى قبل أن يلفظ النفس الأخير .

وهكذا ظل بوذا مخلصا لتعاليمه ثابتا على دعوته حتى الرمق الأخير .

الفصل التاسع

الجماعة بعد موت بوذا

لم يكن بوذا يؤمن بنظام الكهانة بل حارب الكهانة طوال حياته ، ولم ينشئ مراتب ودرجات لأعضاء الجماعة بل نظر اليهم جميعا على أنهم أخوة متساوون في كل شيء ولا يحق لأحد أن يفخر على آخر بأى شيء حتى ولو كان متفوقا في الروحية ، وإن الطالب والمريد والمرشد لا يمتاز أحد منهم على الآخر إلا بالأقدمية في سلك البوذية ، وإن رائد الجميع ومرشدهم هو قانون بوذا . ولذلك لم يكن بوذا في حاجة لأن يرشح من يتولى بعده زعامة الجماعة بل إن الجماعة بعد موته لم تشعر بحاجة للاجتماع لانتخاب من يحل محل بوذا لأنهم يعرفون القانون البوذي وهو ملاذ الجميع يلجئون إليه كلما صادفهم أى إشكال .

ولكن أقوال العضو المسن سوبهادا - الذى عين في الجماعة بعد أن تقدم في السن - عند موت بوذا دفعت الأعضاء الى التفكير الجدى في عقد اجتماع لمراجعة تعاليم بوذا والاتفاق على صورتها الأخيرة . لقد لام سوبهادا الأعضاء الذين أخذوا يبكون حزنا عن موت بوذا وطلب منهم عدم الاستمرار في البكاء وأخبرهم بأن موت بوذا يدعو الى الفرح لا الى الحزن وكان يجب

أن يسعدهم لأنه خلصهم من صرامة تعليماته ، فلقد كان يفرض عليهم سلوكا
خاصا ويلزمهم باتباعه وقيدهم بقانونه ويضيق عليهم من حين لآخر بأقواله
« إن هذا الفعل يليق بالأخ ، وهذا الفعل لا يليق به ، أما الآن بعد موت
بوذا فلا يوجد من يأمر وأن الجميع أحرار ليس عليهم من سلطان لهم أن
يفعلوا ما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

وسرعان ما أنتشرت أقوال سوبهادا بين الأعضاء وتناقلتها الألسن حتى
وصلت الى علم كاشيابا وهو في طريقه الى كوستنارا ليشارك في جنازة بوذا .
ولذلك دعا كاشيابا الى عقد اجتماع عام بعد الانتهاء من أداء الشعائر الجنائزية
ولقد وجد كاشيابا استجابة من الجميع لعقد هذا الاجتماع لأنهم كانوا
يحرصون على حفظ تعاليم بوذا من البدع ومن إدعاءات أمثال سوبهادا
الذين لا يتورعون عن تحريف تعاليم بوذا وتبديلها أو إضافة ما هو غريب
عنها ، كما خاف الأعضاء أن تثير أقوال سوبهادا الزيع في قلوب من لم يتوطد
إيمانه بتعاليم بوذا فيرتدون عن البوذية .

وتولى كاشيابا رئاسة هذا الاجتماع إذ فضلا عن أنه سار شوطا عظيما في
طريق الزفانا فإنه أقدم الأعضاء في الجماعة لأنه كان من أوائل الزعماء
الدينيين الذين اعتنقوا تعاليم بوذا . وكان يوجد في ذلك الوقت حشد كبير
من الأعضاء منهم الطالب الذي لم يعين بعد ، ومنهم المرشد الذي لم يتشب
من تعاليم بوذا ولا يجيد حفظ نصوصها ، ومنهم المرشد الذي له أقدمية في

سلك الجماعة وعلى علم تام بأسرار تعاليم بوذا ، وحافظ في صدره لقسط وافر منها . فطلب أغلبية الأعضاء من كاشيابا أن يختار من بينهم خمسمائة مرشداً لهم أقدمية في الجماعة مكنتهم من معرفة أقوال بوذا في أصول طريق الخلاص وفي قواعد سلوك الأعضاء . فأخذ كاشيابا في اختيار هؤلاء المرشدين الى أن تبقى عضو واحد ، ولم يجد كاشيابا عضوا له أقدمية تسمح له بالاشتراك في هذا الاجتماع الخطير . فأشار عليه البعض باختيار أناندا تلميذ بوذا المفضل الذي زامله زمالة قريبة مدة طويلة ، وسمع منه معظم تعاليمه ، وكثيرا ما كان يناقشه فيها حتى ألم بها إلماما تاما وإن كان ما زال طالبا ولم يعين في الجماعة . فوافق كاشيابا على اختيار أناندا لأنه يعرف تعلق بوذا بملازمته وثنائه الدائم له على حسن سلوكه ، فهو بذلك لا يقل عن بقية المرشدين الذين اختارهم .

وقرر المرشدون الاجتماع في غار في تل قريب من راجاجربها أهداه لهم الملك أجاتا شاتو حاكم ماجادها . كما اتفق المرشدون فيما بينهم على أن لا يسمح لأحد غيرهم بدخول هذا الغار لتمضية فصل المطر . قبل تلاوة أقوال بوذا للتصديق عليها أشار البعض الى أن بوذا كثيرا ما كان ينصح بضرورة اصلاح الاستراحة قبل تمضية فصل المطر فيها ، فأخذوا في إزالة ما في الغار من خرائب ثم شرعوا في ترميم ما قد هدم واصلح ما قد كسر وحطم وإعداد الغار للسكنى ، واستمر هذا العمل شهرا كاملا .

وفي الشهر الذي يليه استعد الأعضاء لتلاوة أقوال بوذا لاعلان أقوال بوذا الصحيحة في صورة رسمية بعد موافقة جميع المرشدين . وقبل البدء في هذه التلاوة اتفق الأعضاء على تقسيم أقوال بوذا الى قسمين :

القسم الأول ويسمى « سوتا بيتا كا ، وهو قسم نظري يتضمن مبادئ العقيدة البوذية ونداهها في الخلاص .

أما القسم الثاني فيسمى « فينايا بيتا كا ، وهو قسم عملي يشمل شروط سلوك العضو داخل الجماعة وقواعد المجاهدة التي تحقق النرفانا .

اقترح كاشيابا بعد ذلك بأن يبدأ أوبالي بتلاوة فينايا بيتا كا لأنه يفوق جميع الحاضرين حفظا لها ، ثم يتلو أناندا سوتا بيتا كا لأن صلته الوثيقة ببوذا جعلته أكثر الأعضاء معرفة لها . ولما وافق الجميع على هذا الاقتراح أخذ أوبالي يتلو فينايا بيتا كا ، ولكن كاشيابا رأى أن يطلب من أوبالي أن يتلو قسما من فينايا بيتا كا ثم يسأله عن الظروف والمناسبات التي دعت بوذا الى أن يقولها ، وعن كيفية تطور كل تشريع وضعه بوذا ، وعن النتائج التي أدت اليها .

ولقد أخذ أوبالي في تلاوة قائمة الآثام وعقوباتها ، وشروط قبول العضو في الجماعة ، وطرق تعيينه وتعليمه وإرشاده ، وأصول عقد الاجتماعات ومواهيدها وأهمية تلاوة قائمة الآثام في اجتماعات خاصة ، وأنواع المأكل

والمجلس والمسكن والأثاث ، وأساليب معالجة المرضى وتقديم الدواء اللازم لهم إلى أن تلا جميع أقسام فينايا بيتا كا .

وبعد أن انتهى كاشيابا من سؤال أوبالي في جميع ما تلاه من أقسام فينايا بيتا كا وأجاب عليه الإجابة الصحيحة وصدق الجميع على صدق الأسئلة وصواب الأجوبة ، أخذ كاشيابا في سؤال أناندا في كل ما يتلوه من سوتا بيتا كا بنفس الطريقة التي سأل بها أوبالي . وتلا أناندا جميع أقسام القانون البوذي من أصول ومبادئ ونظريات ؛ ثم قص مراحل حياة بوذا منذ أن ولد إلى أن مات ، وعرض جهاده الروحي ونجاحه في الوصول إلى النرفانا ، وذكر كثيرا من القصص التي تتناول حيوات بوذا في شتى العصور السابقة . وقال قصصا أخرى كثيرة حكاهما بوذا للوعظ والارشاد والحث على الإيمان بـتعاليمه .

ولما انتهى كاشيابا من استعراض سوتا بيتا كا مع أناندا وصدق الجميع على أقوالها أحسب أنه لم يعجب بعض الأعضاء أن ينال أناندا شرف تلاوة سوتا بيتا كا بينما هو ما زال طالبا لم يعين بعد في الجماعة ، فدفعهم الحسد إلى إثارة بعض المشكلات حول بعض تصرفات أناندا ، وأخبطوا يرمونه بالتقصير وينسبون إليه هنات اعتبروها تفریطا خطيرا في حق الجباء وتصل إلى حد الإثم . ولقد بلغت آثام أناندا في عرفهم خمسة آثام وهي :

أولاً : بعد أن تلا أنا ندا سوتنا بيتا كما صرح بأن بوذا أخيرة بأن هناك نوعين من قواعد السلوك : أحدهما أساسى وهو نوع لا يمكن تعديله أو احداث أى تغيير فيه ، ونوع آخر ثانوى يمكن تعديله حسب الظروف والمناسبات . ولكن لما سئل اذا ما استفسر من بوذا عن ماهية القبولواعد الإنسانية التى لا تقبل التعديل ، وعن نمط القواعد الثانوية التى يمكن تعديلها اعتذر بأنه سها عليه أن يسأل بوذا فى هذا الأمر ، وأضطر تحت ضغط الاتهام أن يعترف بأنه ارتكب خطأ بهذا السهو .

ولقد تدخل كاشيابا فى هذا الجدل ، ونبه الأعضاء الى أنه لا يمكن أن يقرر أحد بأنه يمكن إجراء أى تعديل فى أى قاعدة من قواعد السلوك ، لأنه لا يوجد أحد يستطيع أن يميز بين ما هو أساسى منها وما هو غير أساسى . ولذلك لا يجوز السماح بإجراء أى تعديل فى أى قاعدة من قواعد السلوك حتى لا يحزوا المذبذبون والدخلاء على الجماعة على تحريف قواعد السلوك التى وضعتها بوذا زاعمين أن بوذا أمر بذلك ، وحتى لا يظن عامة الناس بأن أعضاء الجماعة انتهزوا فرصة موت بوذا وأخذوا يعدلون ويبدلون فى قواعد السلوك حسب هواهم ، ويخففون من شدتها للتحلل منها كما حاول سوتنا اذا تعديلا للتحلل من قسوتها ، وذلك يسىء الى الجماعة ، ويدعو عامة الناس الى أن يظنوا بها الظنون فينصرفون عنها بما يعرض مستقبل الجماعة للضياع .

ثانياً : بعد أن نجح الحساد فى إثارة هذه المشكلة ، وأشعروا الجميع بإهمال

أناندا لم تعترضهم صعوبة عند مواجهته ببقية أخطائه التي ارتكبها أثناء حياة بوذا ، فإذا بأحدهم يلومه لأنه غاط لبوذا ثوبا للطر بعد أن داس على قاشه بقدميه دون أن يراه .

ثالثا : وأنبه آخر لأنه أول من أدخل على جثمان بوذا أدخل النساء ثم الرجال ، ولقد تجمعت النساء حول جثمان بوذا الطاهر وأخذن في البكاء والتعجب حتى لوئت دموعهن الجثمان الطاهر .

رابعا : كما أخذ عليه أنه جانب الصواب حينما لم يطلب من بوذا أن يعيش دورة كاملة حتى يستمر في نشر دعوته أطول مدة ممكنة ويسعد أكبر عدد من البشر .

خامسا : ولم ينس البعض بأن يذكره بخطئه الجسيم الذي ارتكبه عندما ألح على بوذا بقبول النساء في سلك الجماعة . ولقد سبب ذلك كثيرا من المضايقات لبوذا فيما بعد وعرض الجماعة لمشاكل لم تكن هناك حاجة إليها .

ولم ينكر أناندا أنه أتى هذه الأفعال ، إلا أنه قرر بأنه أتاها عن حسن نية أو سهوا عنه ولم يقصد بها إلا الخير . وما دار من نقاش حول أخطاء أناندا يوحى بأنه كان هناك ضرب من الاختلاف بين رؤساء هذا الاجتماع وأنه قصد من تخليبه أناندا في بعض أفعال إنقاص قدره ، خصوصا وأن بوذا اصطفاه في أواخر حياته ولم يرامل أحدا سواه ، كما أن أعضاء المجلس

حلبوا من كاشيابا أن يختاره عضوا في هذا الاجتماع ، وإن لم يختاره كاشيابا من تلقاء ذاته فلأنه لم يكن قد عين تعيينا نهائيا ولم يصبح مرشدا . ولكن نظرا لأن بوذا كثيرا ما صرح بتفوق أناندا في معرفة تعاليم بوذا وأمتدح قبل سلوكه وسيره الحديث في طريق النرفانا ، فلم يعترض أحد على أن يكون أناندا عضوا عاملا في هذا الاجتماع التاريخي .

وكان من الممكن أن يؤدي النقاش حول أخطاء أناندا الى نوع من التفتق بين الأعضاء . ولكن رجاحة عقل أناندا وبعده نظره جعله يعترف بأن هذه الأفعال أخطاء وإن كان في قرارة ذاته يشعر بأنها ليست أخطاء تستحق كل هذا للنقاش . وكان غرض أناندا من هذا الاعتراف هو حرصه على تماسك الجماعة واتحاد أفرادها وخوفه من أن يصيب الجماعة ضربا من الخلاف يقسمها الى شيع وأحزاب ، ولقد ~~كان أشد ما يكره بوذا أن يسمع عن خلاف بين عضو وآخر ، فكيف يرضى أناندا أن يكون سببا في خلاف خطير بيننا لم يمس على موت بوذا إلا شهران ...؟~~

ولقد ظلت جماعة بوذا بعد هذا الاجتماع سنين طوال تسير على هدى تعاليم بوذا متمسكة بكل ما نادى به من مبادئ وأصول وقواعد ، ويحرص في الدفاع عنها تلاميذه المخلصون الذين حملوا لواء البوذية من بعده . إلا أن حياة البوذيين في أحضان مجتمع يمتنع بعمق عن غالبية الديانات القديمة والبراهمانية دعا الى تسرب بعض تعاليم الفيدا والبرهمناس والبرهمنيشاد الى البوذية

بالرغم من حرص تلاميذ بودا في مقاومة تأثر البوذية بغيرها من الديانات الهندية، وكان من جراء هذا الحرص على نقاوة البوذية كثيرا ما كان يدخل أعضاء الجماعة البوذية في نقاش وجدال حول تعاليم بودا الأصلية.

وبعد مضي حوالي قرن من الزمان أو أكثر قليلا على الاجتماع الأول حدث في عهد الملك كالا شوكا أن لاحظ ياسا - وكان في ذلك الوقت شيخا معمرًا - بلغ سنة حوالي ١٦٥ عاما - أن أفراد جماعة فيشالي من قبيلة فاجيان قد خرجوا على نظم بودا في عشر نقاط . ولقد عرف ذلك حينما كان يشهد طعامه ذات مرة كعادته في مدينة فيشالي فتشاهد أن جماعة فيشالي من قبيلة فاجيان يمسون طاسات برنزية مملوءة بالماء يجمعون فيها صدقات من قطع من النقود الفضية والذهبية ، فنبه ياسا الأهالي بأنه لا يجوز لأبناء بودا أن يقبلوا قضة أو ذهباً ، فلم يكثر أعضاء فيشالي لأقوال ياسا ، واستمروا في جمع الصدقات الفضية والذهبية . وبعد ذلك قسموا ما جمعوه من نقود فيما بينهم ، وقدموا لياسا قسطا منها . لما رفضها اتهموه بأنه تطاول على أهالي فيشالي وضايقهم مضايقة شديدة تتطلب منه أن يكفر عن إيمه بأن يعتذر لهم عن متعهم من تقديم الصدقات الى أعضاء الجماعة .

ولكن ياسا لم يعتذر لهم ، إنما أخذ يبين لهم - وهو العليم بكل ما صدر عن بودا من أقوال وأفعال - أن بودا يحرم تحريما تاما امتلاك البوذي الذهب والفضة ، وأيد كلامه بتذكر كثير من أقوال بودا في هذا الصدد .

وبذكر كثير من الحوادث التي عرضت على بوذا وخطأ فيها من أخذ ذهباً أو فضة . ولقد أقنع دفاعه الحار المدعم بالأسانيد أهالي فيشالي بما دعاهم إلى التصريح بأن ياسا هو الزاهد البوذي الحق ، أما غيره فهم أدعياء لا يعرفون عن تعاليم بوذا شيئاً . فلما بلغ ذلك جماعة فيشالي من قبيلة فاجيان قرروا المطالبة بإيقافه لأنه حرض أهالي فيشالي ضدهم ، وحط من شأنهم أمامهم .

ولكن ياسا لم ينتظر حتى يعقدوا اجتماعاً لإيقافه ، إنما اتجه نحو مملكة كوشامبي وأتصل بأفراد جماعة مدينة بافا وكان عددهم حوالي ستين عضواً كما اتصل بأعضاء المنطقة الجنوبية من مدينة أفانتي وكان عددهم ٨٨ عضواً ، وعرض عليهم خلافاته مع جماعة فيشالي ، وهي لا تنحصر فقط في تحريم جمع الفضة والذهب أو إباحة أخذها وإنما هناك تسع مخالفات أخرى غيرها ، وطالب بعقد إجتماع خاص لبحث هذه المخالفات فوافقوا على عقد هذا الاجتماع .

ثم توجه ياسا بعد ذلك إلى « سامبهوتا » وهو من الأعضاء الذين عاصروا بوذا ، وكان يقيم في كهف في سفح جبل . ولما سمع من ياسا بقصة جماعة فيشالي كان رأيه من رأى ياسا ، وقبل أن يحضر الاجتماع ويكون في صف ياسا .

وأدرك ياسا ضرورة حضور « رفاتا » لهذا الاجتماع لأنه مطلع على كل ما في سوتا بيتا كما وفي فينايا بيتا كما ، ويسير على هدى بوذا ، ويسلك

طريقه بكل حزم وإخلاص ، فضلا عن أنه عاصر بوذا مثل ياسا وعرف الكثير عن أفعاله واستمع الى دروسه ومحاضراته ؛ ولذلك توجه ياسا الى بلدة سوريا حيث يعتكف رفاتا ليطلب منه أن يحضر الاجتماع ليكون حكما في أمر الخلاف الذي بينه وبين أعضاء فيشالي . ويبدو أن رفاتا كان قد بلغه أمر هذا الخلاف وأحس بأن ياسا لابد أن يقصده ليحكم بينهم ، بينما هو زاهد يحب للخلوة والوحدة ولا يميل للتدخل في مثل هذا الخلاف ؛ فعادر بلدة سوريا قبل أن يصلها ياسا . وعرف ياسا أنه اتجه الى بلدة سامكاسا ولكن ما أن وصل اليها حتى سمع أنه انتقل الى بلدة كانا كوجا . واستمر ياسا ينتقل من بلدة الى أخرى وراء رفاتا حتى التقى به في بلدة ساهاجاتي . وهناك عرض عليه ياسا أمر الخلافات التي بينه وبين جماعة فيشالي وطلب منه أن يبدى رأيه فيها ، فاتفق مع ياسا على أنه محق فيما ذهب اليه من رأى وأن جماعة فيشالي أخطأت ، إلا أنه لم يكن متحمسا للاشتراك في اجتماع عام لمناقشة مثل هذه المسائل .

ولم يقف أعضاء جماعة فيشالي مكتوفي الأيدي تاركين ياسا يجمع المؤيدين من شرق فيشالي وغربها ويكسب في صفه الأحياء من مريدي بوذا أو الذين شاهدوه واستمعوا اليه أو كل ضليع في الفكر البوذي ومتمكن في قانون بوذا وشريعته ؛ فأخذت جماعة فيشالي في جذب المؤيدين الى جانبهم فانتهزوا فرصة تردد رفاتا في تأييد ياسا تأييدا علنيا ، فتوجهوا اليه وقدموا اليه

هدايا من طاسات وأردية وحصائر وعلب لحفظ إبر الخياطة وأحزمة وأواني لتصفية المياه، إلا أن رفاتا رفضها كلها لأنه لا يحتاج إليها ولا ينقصه شيء ويكفيه ما عنده من حاجيات ضرورية. فلما لم تلن لهم قنابة رفاتا ولم يبد أي ميل للانضمام إليهم قصدوا مریده « أوتارا » وكان أوتارا صغيرا السن لم يزد عمره عن العشرين عاما فحاولوا إقناعه بأن يتوسط لهم عند مرشده ليؤيدهم ضد ياسا، وعرضوا عليه نفس الهدايا التي لم يقبلها رفاتا إلا أنه رفضها أول الأمر مثل مرشده، ولكن لما أخبروه بأن بوذا نفسه كان يقبل الهدايا وإذا حدث أن رفضها فإن مریده أناندا كان يأخذها قبل أوتارا بعد إلحاح شديد رداء واحدا، ثم طلبوا منه ان يذهب الى مرشده رفاتا ويرجوه ان يحضر الاجتماع ويقف في صف جماعة فيشالي ويعلم امام الجميع أنهم أدق علما وأصدق فهم لتعاليم بوذا من ياسا وأنهم لم يخرجوا على شريعة بوذا أو يعارضوا قانونه بتمسكهم بالعشر نقاط التي يناهضها ياسا .

وما أن ذهب أوتارا الى رفاتا وطلب منه تأييد جماعة فيشالي حتى طرده رفاتا لأنه أحس بأن جماعة فيشالي قد غررت به فأخذ يحرضه على عمل يخالف شريعة بوذا . ولذلك صمم رفاتا على ألا يقف موقفا سلبيا وعزم على أن يعاون ياسا ضدهم بطريقة عملية حتى يوقفهم عند حدهم ولا يتبادوا في الإثم أو يستمروا في إدعاءاتهم الكاذبة . فذهب رفاتا بدوره الى « سابا كامين »

وهو عضو من الذين عاصروا بوذا ولهم إلمام واسع بقانونه وشريعته .
وهكذا أخذ رفاتا ينتقل بين شرق فيشالي وغربها يجمع مع ياسا المؤيدين حتى
التف حولها ما يقرب من ١٢ ألف عضو من الموافقين على وجهة نظرهما .

واقدم قرر الجميع عقد اجتماع عام في غابة فالريكا في مدينة فيشالي ، ونظراً
لكثرة المؤيدين اختار رفاتا من بينهم سبعمائة عضواً حسب أقدميتهم في
سلك البوذية وتبعاً لسعة إطلاعهم على أصول تعاليم بوذا ومعرفتهم لقواعد
السلوك عنده . ولما بدأ الاجتماع لاحظ رفاتا أن المناقشات تدور بين عدد
كبير من الأعضاء بلا هدف وأن جدالهم لا يرمى إلى شيء وبغير طائل ،
فاقترح على المجتمعين أن يختار أعضاء المجلس من بينهم ثمانية أعضاء لمناقشة
هذه الاختلافات . فأختارت جماعة شرق فيشالي أربعة من الأعضاء وكانوا
جميعاً من الذين عاصروا بوذا أو من مريدي أناندا وهم : سابا كامين وسالها
وشوفا سوبهيتا وفاسابها جاميكا . واختارت جماعة بافا من غرب فيشالي
أربعة أعضاء وهم كذلك من مريدي بوذا أو من الذين عاصروه أو من
مريدي أناندا وهم : ياسا ورفاتا وسامبهوتا وسومانانا . ولما وافق جميع
الحاضرين على اختيار هؤلاء الأعضاء الثمانية طلبوا منهم تشكيل مجلس تؤخذ
فيه أصواتهم على كل مسألة .

ترك الأعضاء الثمانية بقية الأعضاء وذهبوا إلى داخل استراحة فالريكا
حيث الهدوء والسكينة بعيدين عن كل ضجة وضوضاء . وفتح رفاتا الاجتماع

بإقتراح هو أن يسأل سابا كامين عن النقاط العشر محور الاختلاف، ولما وافق سابا كامين على أن يجيب على كل ما يسأل فيه وافق بقية الأعضاء على اختياره .

ولقد بادره رفاتا بالسؤال الأول وهو اذا ما كان مسموحا لأعضاء الجماعة أن يحفظوا الملح في إناء من دون بقية المأكولات . فأجاب سابا كامين بأن بوذا عارض ذلك في مدينة سافاتهي وأكد أن من يحفظ أى مأكولات أو ملح في إناء فهو آثم ، لأنه يأكل طعاما مخزونا ، وليس على العضو أن يستبقى عنده طعاما على الاطلاق ، إذ يجب عليه أن يشحن قوت يوم بيوم ، ولا يجمع أكثر مما يحتاج اليه في وجبته اليومية ، فحفظ الملح في إناء فيه خروج على الشريعة التي وضعها بوذا للجماعة .

ثم سأله رفاتا السؤال الثاني وهو اذا ما كان مسموحا للعضو أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالى إصبعين أى بعد الظهيرة بمدة قصيرة . فأجاب سابا كامين بأن بوذا منع تناول الوجبة اليومية بعد الظهيرة مباشرة ، واشترط أن تكون قبل وقت الظهيرة ، ولقد صرح بوذا وهو في راجاجريها بأن من يتناول بعد الظهيرة غير التوائل يكون آثما .

وعندما طلب رفاتا إيضاحا للاشكال الثالث الخاص بجواز تناول أكثر من وجبة في اليوم أجاب سابا كامين بأنه لا يجوز إطلاقا تناول أكثر من وجبة في اليوم ، إذ لا يجب أن يصرف العضو وقته في جمع الطعام وأكله ،

وأن وجبة واحدة تنكفي الزاهد ، وأن الشرة في الأكل يقوي الشهوات
ويحيي الأهواء ويدعم النزعات الحسية ؛ ولذلك منع بوذا تناول أكثر من
وجبة في اليوم على أن يكون الغرض من تناولها حفظ كيان الجسد حتى
يتمكن العضو من الاستمرار في جهاده في سبيل الوصول الى الرفاقا ؛ فمن
يأكل أكثر من وجبة في اليوم يكون آثما .

بعد ذلك انتقل رفاتا الى الموضوع الرابع ، وتساءل اذا ما كان يجوز
عقد اجتماعات دورية متعددة داخل منطقة واحدة ، فأعلن سابا كامين بأن
بوذا صرح بأنه لا يجوز إطلاقا عقد اجتماعات دورية تتلى فيها قائمة الآثام
في أماكن متفرقة في نفس الوقت داخل حدود منطقة واحدة ، وإنما يجب
أن يحدد مكان خاص تعقد فيه مثل هذه الاجتماعات الدورية كل خمسة عشر
يوما . ولقد حرم بوذا ذلك في مواضع كثيرة في فينايا بيتاكا ، وأن من
يعقد أكثر من اجتماع واحد في منطقة واحدة يأتي فعلا في عصيان لقواعد
السلوك التي وضعها بوذا .

أما بخصوص النقطة الخامسة فلقد استفسر رفاتا اذا ما كان يجوز عقد
اجتماعات لتقرير أمر يخص الجماعة مثل تعيين عضو جديد دون أن يستكمل
عدد الأعضاء بأن يتغيب البعض ثم يبلغ الأعضاء الغائبون نتيجة ما حصل
في الاجتماع ، فقرر سابا كامين بأن بوذا نهى جماعة كامبا الى خطأ عقد
اجتماعات لم يحضر فيها جميع الأعضاء ، وبين لهم أن عقد مثل هذه الاجتماعات

فيه خروج عن النظم التي تنص عليها لوائح الجماعة البوذية .

وفي السؤال السادس طلب رفاتا تفسيراً إذا ما كان يجوز للطالب أو المرید أن يحاكي مرشده في عاداته وسلوكه ويقلده في مختلف أفعاله معتقداً أن هذه المحاكاة وذلك التقليد يمكنه من اختصار عدد الولادات المستقبلية وتقربه من النرفانا ، فأجاب سابا كامين بأن الطالب أو المرید ليس ملزماً بأن يقلد مرشده في شيء من عاداته ، وما عليه إلا أن يطيع لوائح قواعد السلوك التي شرعها بوذا ، فإذا ما كان سلوك المرشد لا يتعارض مع ما سنه بوذا من شرائع فليس في محاكاة سلوكه إثم ، أما إذا خالف سلوكه شريعة بوذا يخطيء من يقلد مرشده .

وتعرض السؤال السابع لمشكلة تناول اللبن الآخذ في التخثر دون أن يخض ققرر سابا كامين بأنه لا يجوز إلا شرب اللبن الحليب فقط فإذا انتاب الحليب أي تغير وحتى قبل أن يتخثر تمام التخثر يجب الامتناع عن تناوله كما صرح بذلك بوذا في مدينة سافاتهي ويأثم من يتناوله .

بينما السؤال الثامن يتعلق بجواز شرب السوائل الآخذة في التخمر ، فأخبر سابا كامين المجتمعين بأن بوذا حرم شرب مثل هذه السوائل وهو في كوشامبي ، ولذلك فمن يشربها يأثم إثم من يشرب المسكرات .

وأيد سابا كامين اعتراض رفاتا على الأشكال التاسع الخاص بالجلوس

على قطعة من القماش المزركش والمهدب ، إذ لا يجوز الجلوس على مثل هذا القماش وبأثم من يستخدمه في الجلوس .

وأخيرا انتهى النقاش الى الاشكال العاشر سبب الاختلاف بين ياسا وجماعة فيشالي وهو الاشكال الخاص بامتلاك الذهب والفضة ، فقرر سابا كامين بأن تعاليم بوذا صريحة في هذا الموضوع ، فهي لا تسمح إطلاقا لعضو من الأعضاء أن يمتلك ذهباً أو فضة ، ولقد تعددت أقوال بوذا بخصوص تحريم إمتلاكها ، ولذلك كل من يحتفظ بذهب أو فضة فهو آثم وخارج على شريعة بوذا .

بعد أن وافق الأعضاء الثمانية على رفض كل ادعاءات جماعة فيشالي خرجوا الى بقية الأعضاء في غابة فاليجا وسأل رفاتا سابا كامين أمامهم في جميع المسائل المختلف عليها فأجاب بنفس الاجابات السابقة ؛ وبعد ذلك أقر السبعائة عضوا رفضها وتأييد ياسا . وبعد الانتهاء من حم هذا النزاع أخذ الجميع في تلاوة فينايا بيتا كاثم انشاد سوتا بيتا كا . وكان القصد من ذلك هو مراجعة أقوال بوذا مراجعة دقيقة وتحديد النصوص الصحيحة لتعاليم بوذا الحقيقية ، ولم يكتف الأعضاء بالتلاوة بل أخذوا في شرحها والتعليق عليها ، كما أوجزوها في مختصرات سهلة تحدد معالمها الرئيسية ، وأخيرا ضافوا اليها كل ما ذكر في هذا الاجتماع والأسباب التي حفزت على عقده .

ومع ذلك لم تستسلم جماعة فيشالي لياسا ورفاتا ولم ترضخ للهزيمة وتقبل

قرارات هذا الاجتماع ، وأخذوا بدورهم يجمعون المؤيدين لوجهة نظرهم بخصوص العشر نقاط ، فالتف حولهم ما يقرب من عشرة آلاف عضو ، وكونوا فرقة جديدة سميت « ماها نجهيكا » ، عقدت اجتماعا آخر تليت فيه فينابا بيتاكا وسوتا بيتاكا بعد أن حرفتا حسب أهوائهم وغيرونا حتى تتمشيا مع ما أدعته من ادعاءات . ولقد حضر هذا الاجتماع جميع الأعضاء المؤيدين وعددهم عشرة آلاف عضو ولذلك سمي اجتماعهم بالاجتماع الكبير نظرا لعظم عددهم . ولقد اعتبر ياسا ورفاقنا أعضاء هذا الاجتماع منحرفين عن الطريق السوي وخارجين عن تعاليم بوذا .

ويبدو من هذا الخلاف أنه اختلاف لا يتناول أسس التعاليم البوذية من بعيد أو قريب ، ويشمل فروع العقيدة وشكليات الدين . ولكنه يدل على أن الديانات الفيديّة والبراهمانية بدأت في تسربها الى التعاليم البوذية ، وأنها نجحت في غرس بذور التفرقة بين أعضائها . وقد يوحي هذا الخلاف بأن هناك ضربا من التنافس بين أتباع بوذا على أيهم أعمق فيها وأكثر إطلاعا على تعاليم بوذا ، أو بأن هناك نوعا من التنافس على الزعامة الروحية أدى الى عناد كان سببا رئيسيا في هذا الانقسام .

ولقد كان هذا الانقسام بداية انقسامات أخرى أتت بعدها وأخذت تتكرر مع مرور الأيام ، وشجع عليها الديانات الأخرى المحلية التي أخذت تدس تعاليمها في ثنايا البوذية حتى تضاربت فيها الآراء وتعارضت ، وأصبح

بوذا شخصية إلهية وهو الذي لم يقبل أن يعترف بوجهه وود إله ، فلا نعجب
إذا بلغ عدد الفرق البوذية في عهد الملك آشوكا هو ثمانى عشرة فرقة .

ولما أعجب الملك آشوكا بتعاليم بوذا لم يكتف بأن يعتنقها بل رأى أنه
من الواجب عليه أن يدعو لها ويجعل منها الدين الرسمى للدولة ، فأخذ يحض
مواطنيه على الايمان بها . فأقبل الهنود على البوذية حتى انتشرت بينهم
انتشارا واسعا ، فكان هذه عصر البوذية الذهبي في الهند . ولكن هذه
الدعوة العامة للدخول في البوذية لم تخل من ضرر ، فلقد كانت من بين
من آمن بها كثيرون يجهلون جهلا تاما كل ما يتعلق بأصولها ، وأدعى بعضهم
بأنهم علماء مطلعون على أسرارها طمعا في التقرب لآشوكا أو كسب الخظوة
عنده ونيل العطايا منه . فانتشر ادعاء العلم بالبوذية في البلاد مما دعا الى
ظهور كثير من التعاليم التي هي أبعد ما تكون عن البوذية مما عرضها للشك
والريبة . هذا فضلا عن أن كثيرا من الادعاء كانوا يعيشون في بدخ
ورفاهية ، ويدلون بأقوال على أنها أقوال بوذا بينما بوذا منها يرى ،
ويطالبون الناس باتباع السلوك الفاضل بينما هم يسرون حسب هـ -واهم
وسلوكلهم أبعد ما يكون عن طريق بوذا .

ولذلك فكر آشوكا - وهو البوذي الحريص على سلامة تعاليم بوذا -
في أن يعقد اجتماعا عاما على نمط الاجتماعين السابقين ، قصد من ورائه أن
يظهر الجماعة البوذية من الادعاء الذين يجهلون طريق بوذا ، ويخلص تعاليم

بوذا من البدع وكل ما هو دخيل عليها. فدعا إلى عقد اجتماع عام - وضع على رأسه تيسا ، ابن موجالانى أعظم مريدى بوذا - فى العام الثامن عشر من حكمه أى بعد الاجتماع الثانى بحوالى مائة وثمانية عشر عاما فى عاصمة ملكه بالايوبترا وهى مدينة باتنا الحالية .

وقبل أن يعقد الاجتماع امتحن آشوكا جميع أعضاء الجماعة البوذية فى ذلك الوقت ، وأبعد عنها كل من ثبت جهله بتعاليم بوذا وكل الادعاء المشاغبين الذين يحدثون الانقسامات والحزازات داخل الجماعة بما يضعونه من تعاليم ويأتونه من أفعال تخالف ما قاله بوذا ويدعون أنها من أقوال بوذا . ثم اخار آشوكا تيسا ، أقدم أعضاء الجماعة فى سلك البوذية على أن يكون رئيسا للاجتماع من بين الأعضاء الذين اجتازوا الاختبار ونجحوا فى اظهار معرفتهم بتعاليم بوذا . وكان عدد الأعضاء المثقفين ثقافة كاملة وملين للماما تاما بشتى نواحي البوذيين وحافظين حفظا واعيا لكتب بوذا هو ألف عضو . ولقد اجتمع هؤلاء الأعضاء فى غابة آشوكا لمدة تسعة أشهر أو عشرة أشهر تحت رعاية آشوكا نفسه .

وفى هذا الاجتماع نقحت تعاليم بوذا من كل ما هو دخيل عليها ، وتليت فيه فينايا بيتاكا الخاصة بالسلوك ، وسوتا بيتاكا الخاصة بالعقائد ، كما تليت أبهدهما بيتاكا ، (Abhidhamma-Pitaka) الخاصة بفلسفة العقائد ؛

رئيس الاجتماع الأول قد تلاها بنفسه ولكن لم يرد ذكرها في الاجتماع الثاني ، ثم تليت في الاجتماع الثالث هذا .

وتشمل « أبيدهاما بيتاكا » بعض أجزاء سوتا بيتاكا خصوصا أهم أقسامها الفلسفية « دها-ابادا » ، (Dhammapada) التي تلاها أنا أيضا في الاجتماع الأول كما تليت في الاجتماع الثاني . وذلك يوحى بأن أعضاء الاجتماع الثالث قد أعادوا تقسيم الكتب البوذية ، وفصلوا بعض الأقسام عن سوتا بيتاكا وكونوا منها أبيدهاما بيتاكا بعد أن أضافوا إليها كتباً أخرى كان قد جمعها تلاميذ بوذا بعد وفاته عن بوذا نفسه وعن مريديه الأوائل كما أضاف إليها تيسا رئيس الاجتماع الثالث كتاباً من تأليفه دحض فيه كثيراً من النظريات التي ظهرت لتعارض تعاليم بوذا .

ومن ذلك الحين انقسمت كتب بوذا الى ثلاثة أقسام بعد أن كانت مكونة من قسمين في أول الأمر . والأقسام الثلاثة هي : فينايا بيتاكا : السلوك ، سوتا بيتاكا : العقائد ، أبيدهاما بيتاكا : فلسفة العقائد .

ولم يكتف أشوكا بعقد هذا الاجتماع لتنقية تعاليم بوذا من كل البدع الدخيلة عليها وإبعاد كل مدعى بمعرفة البوذية عن حظيرة الجماعة ، وإنما أسس كذلك وزارة جديدة سماها « وزارة العدل والدين » ، كانت مهمتها المحافظة على نقاء الدين البوذي من ناحية ونشر التعاليم البوذية من ناحية أخرى لاني مختلف الولايات الهندية فقط وإنما في خارج الهند كذلك . كما

أقام كثيرا من الأعمدة الصخرية التي نقش عليها منشورات دينية تضم
أركان الدين البوذي الرئيسية ، ووضعت هذه الأعمدة في طول البلاد وعرضها
حتى تكون تعاليم بوذا ماثلة أمام الأعين حاضرة في الأذهان على الدوام
تحت على الإيمان بها في كل وقت ومكان . ولقد أقام آشوكا حوالي ثمانين
ألف ضريح لبوذا في جميع أنحاء البلاد وأشاد استراحات لا عدد لها . فلا
تعجب اذا ما انتشرت البوذية في الهند وكان لها الحضرة والسلطان في عهد
آشوكا لأن عهده كان يتسم بالنساع والحرية والازدهار والتقدم .

هذا فضلا عن أن آشوكا عمل على تنفيذ وصية بوذا لمريديه بضرورة
الاستمرار في نشر التعاليم البوذية في كل مكان ، فأرسل البعثات التبشيرية
خارج الهند الى جميع البلاد التي من بينها مصر وسوريا . ولعل أهم بعثة
أرسلها هي البعثة التي أرسلها الى سيلان وعلى رأسها ابنه ما هندو ، لأنها
عملت على نشر البوذية في سيلان ومنها انتقلت الى بورما وسيام وكبوديا ،
وكذلك الى جاوة التي انتقلت منها البوذية الى جزيرتي بالي وسومطرة . كما
كان من نتائج بعثة سيلان أن دونت تعاليم بوذا فيما بعد في سيلان في عهد
الملك فاتا جاماني ، حاكم سيلان في نهاية القرن الأول قبل الميلاد .
ودونت فينايا بيتاكا وسوتا بيتاكا وأبهيدها ما بيتاكا في صورة الحوار
بلغة أشبه ما تكون بلغة سكان مملكة ما جادها وهي اللغة البالية .

ولم يرسل آشوكا بعثات بوذية الى البلاد التي تقع في غرب الهند وجنوبها

بمقاط وإنما أرسل بعثات الى البلاد التي تقع في شمال الهند كذلك . فوصلت بعثات الى كشمير والتبت . ومن كشمير انتقلت البوذية الى الاكستان ، ومن التبت دخلت البوذية بلاد الصين ومنغوليا ، ومن الصين وصلت الى كوريا ومن كوريا الى اليابان .

وما أن خرجت البوذية من الهند واعتنقها كثير من سكان أقطار الشرق الأقصى حتى أخذت تتسرب اليها تعاليم هذه الأقطار من ناحية ، وتتأثر بديانات الهند المحلية من ناحية أخرى مما أدى الى ظهور عشرات المذاهب البوذية أشهرها ثمانية عشر مذهباً . ويظن أن الملك التتاري « كانيشكا » - الذي اعتنق البوذية ويحكم امبراطورية تمتد من أفغانستان الى البنجاب - دعا الى عقد اجتماع - لا يوجد ما يجزم بعقده - للجماعة البوذية قبل نهاية القرن الأول الميلادي . وكان كانيشكا يهدف من وراء هذا الاجتماع أن ينظم تعاليم بوذا تنظيمياً جديداً بحيث يوفق بين الفرق البوذية المختلفة التي أخذت تتعارض بقوة تضعف من هبة الديانات البوذية .

ولقد حضر هذا الاجتماع أعضاء كثيرون من مختلف البلاد التي انتشرت فيها البوذية - على الخصوص الصين والتبت - حتى زاد عددهم عن خمسمائة عضواً . ونظراً لأن الرغبة كانت أن يكون عدد الأعضاء هو خمسمائة فقط مثل أعضاء الاجتماع ، فلقد اختير أربعائة وتسع وتسعون مرشداً ونقص عضو آخر نظراً لعدم وجود أي مرشد آخر ، فاختير « فاسوميترا » بالرغم

من أنه لم يصبح مرشدا بعد لأنه أظلم — كرامة عجيبة جعلته لا بأن يكون
جديرا بعضوية هذا الاجتماع فقط بل يكون على رأسه كذلك . ولقد
قام المجتمعون بإرشاد فاسوميترا بعمل ثلاث تعليقات على فينايا بيتاكا وسوتا
بيتاكا وأبيدها ما بيتاكا روعى فيها حصر الخلافات بين الفرق البوذية في
أضيق نطاق ممكن ، ثم أمر الملك كانشكا بحفر هذه التعليقات على ألواح من
النحاس ، ووضعها في ضريح خاص .

ولم يعترف المجتمعون إلا بفرقتين رئيسيتين : الأولى فرقة « هينايانا » ،
ومعناها الطريق الأصغر ، والثانية هي فرقة « ماهايانا » ، ومعناها الطريق
الأعظم . وكلتا الفرقتين تعتمدان على تعاليم بوذا الأساسية ؛ إلا أن هينايانا
أكثر إخلاصا لتعاليم بوذا الأولى ، بينما لا تتفق ماهايانا مع هينايانا في أن
جهاد العضو لا يجب أن يتوقف عندما يصير مستنيرا وإنما يجب أن تستمر
حتى تعم الاستنارة جميع البشر وينتشر الخير في كل مكان ، وأن المستنير عالم
بكل شيء فهو أشبه ما يكون بالإله ولذلك يستحق التقديس والعبادة ، وأن
هذا التقديس وتلك العبادة تساعد العضو على بلوغ الاستنارة وتحقيق النرفانا
وهذا يوحى بأن ماهايانا قد تأثرت تأثيرا كبيرا بالديانات الهندوكية التي
تعدد فيها الآلهة المعبودة ، لأن بوذا نفسه لم يقرب وجود أى نوع من الآلهة
فكيف يقبل أن يكون هو أو أى مستنير آخر إلها يعبد ويقدم ؟!....

وبينا أخذت الخلافات تشتد بين الفرق البوذية مع مرور الزمن ، كانت

الديانات الفيديّة والبرهمانية آخذة في التطور حتى أصبح لها كهانة قوية أسست الديانة الهندوكية ، التي عملت على القضاء على البوذية في الهند ، بأن صهرت التعاليم البوذية في بوتقة الهندوكية وجعلت من بوذا إلها من بين الآلهة الهندوكية . فأصبح لا يميز عامة الشعب بين البوذية والهندوكية ، فأقبل الناس على الهندوكية لأنها دين الدولة الرسمي التي في يدها مقاليد القوة والسلطان ، ولأنها تؤمن بإله يعبد وتعتقد بوجود روح للإنسان . فلم يأت القرن السابع الميلادي حتى فقدت البوذية مركزها الممتاز وزعامتها الدينية في الهند ، وأصبح للهندوكية السلطة الأولى إذ لم يسمح كهنة الهندوكية بأن يكون للبوذية أي نوع من النفوذ في البلاد .

وإذا لم يكن للهند فضل في تدوين تعاليم بوذا لأن الكتابة لم تكن منتشرة بين الهنود في عهد بوذا وكان الفضل في تدوينها لسيلان ، فإن الفضل لسيلان كذلك في انتشار البوذية في ربوع بلاد الشرق الأقصى ؛ إذ بينما كان نجم البوذية آخذ في الأفول في الهند كانت البوذية سريعة الانتشار أقطار جنوب شرق آسيا وشرقها دون أن يعوقها عائق بل كانت تمتص جميع الديانات المحليّة وتظهرها في قالب البوذية بخلاف الحال في الهند الموطن الأصلي الذي نبعت منه البوذية .

وهكذا تعرض بوذيون في الهند بعد أن أقل نجم البوذية الى كثير من الاضطهاد . وإن لم يقف البوذيون مكتوفين وكثيرا ما كانوا يدخلون في

نقاش حاد مع الهندوكيين ، إلا أنهم لم يكولوا يشعروا بالاستقرار والاطمئنان على حرمتهم الدينية ، إذ كان يجبر الكثير منهم على الإيمان بالهندوكية . وكان أكثر ما يضيق أتباع بوذا من الديانة الهندوكية ما تعتقه من تفرقة طبقية لأنها كانت تنادى بنظام الطوائف الذي يقسم الهند إلى أربعة أقسام : البراهمة والكشاتريا والفيشيا والسودرا ، ولذلك كان ينفر البوذيون من الديانة الهندوكية لأن البوذية لا تفرق بين شخص وآخر إلا بالجهد الصالح الذي يبذله في سبيل بلوغ الترقانا .

ولما دخل الاسلام الهند هدمت الحروب ما تبقى للبوذيين من معابد واستراحات وأضرحة ، فتفرق شملهم وقضى على وجودهم كهيئة دينية كبرى في الهند . ومع ذلك كان من أوائل الهندوس الذين أقبلوا على الاسلام هم البوذيون لأنهم وجدوا في الاسلام تسامحا ومساواة وأخاء لجميع البشر ، وعرفوا أنه لا يفرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى .

أهم المراجع

المراجع العامة

History of Philosophy Eastern and Western, Edited
by Sarvepalli Radhakrishnan.

The Wonder that was India, by A. L. Basham.

Philosophies of India, by Heinrich Zimmer.

Ancient India and Indian Civilization, by Paul
Masson - Oursel .

The Essentials of Indian Philosophy, by M. Hiriyanna.

Outlines of Indian Philosophy, by M. Hiriyanna.

The Legacy of India, Edited by G T. Garratt.

Buddhism, by T. W. Rhys Davids.

Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

A Manuel of Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

Outline of Buddhism, by C.H.S. Ward.

Buddhism, by Christmas Humphreys.

The Popular Life of Buddha, by Arthur Lillie .

The Teaching of the Compassionate Buddha, Edited
by E. A. Burtt.

History of Buddhist Thought, by Edward J. Thomas.

Kindred Sayings on Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

The Buddha's Way of Virtue, translated by W. D. C. Wāgiswara and K. J. Saunders.

مراجع :
الفصل الأول
الفصل الثاني

The Life of Buddha, by Asvagosha Bodhisattva. Translated from Sanscrit into Chinese by Dharmaraksha A. D. 420 . Translated from Chinese into English by Samuel Beal .

The Light of Asia, by Sir Edwin Arnold.

The Vedantic Buddhism of the Buddha, translated from the original Pali by J. G. Jennings.

مراجع :
الفصل الثالث
الفصل الرابع

The Vedantic Buddhism of the Buddha, translated by J. G. Jennings .

Early Buddhist Scriptures, translated by Edward J. Thomas .

The Dhamapada, translated from Pali by F. Max Muller. .

Buddhist Birth Stories, translated from Pali by T.W. Rhys Davids .

The Sutta Nipata, translated from Pali by V. Fausboll.

الفصل الخامس
مراجع: الفصل السادس
الفصل السابع

The Vedantic Buddhism of the Buddha

The Book of the Discipline (Vinaya Pitaka) translated
from Pali by I. B. Horner.

Early Buddhist Scriptures.

مراجع: الفصل الثامن

The Vedantic Buddhism of the Buddha.

The Book of the Discipline.

The Life of Buddha, by Asvagosha Bodhisattva.

مراجع: الفصل التاسع

The Vedantic Buddhism of the Buddha.

The Book of the discipline.

History of Buddhist Thought, by Edward J. Thomas.

The Introduction to the Dhammapada, by F. Max
Muller .

تصحيح الأخطاء

المصواب	الخطأ	ص	س	المصواب	المصواب	س	ص
جمع	جميع	٩	٤٤	العرب	العوب	١٨	ص
ثراء	ثراها	١٣	٤٤	أثر كبير	أثراً كبيراً	١٨	٤
تبتليه	تبلية	٣	٥٥	دخل عظيم	دخلا عظيماً	١٨	٤
صفاء	صفاءاً	٨	٥٨	ط ثقة	طائة	١٠	٧
صفاء	صفاءاً	٦	٦١	بالضبط إذ نسب	بالضبط إذا	١٩	١٢
الغريرة	الشرير	٣	٦٨	إليه أسماء كثيرة			
فنبهم	فنبههما	٦	٧١	لا يعرف إذا			
ثلاثة	ثلاث	٤	٧٢	The	Teh	الهامش	١٤
أحداً	أحد	١١	٧٩	ضرب	ضرباً	١	١٨
أولاء	أولاه	١	٨٧	فصلا	فصل	٦	١٨
فما أن	فما أي	١٠	٩٣	افتنانا	افتانا	١٥	١٩
نجت	عجت	٢	٩٥	طفلاً رضيعاً	طفل رضيع	١٦	٢٦
وإنتشاق	وإنتشاق	١١	١٠٣	كهل ضعيفاً	كهل ضعيف	٣	٢٧
ذهباً	ذهب	٩	١٢٦	بكاء	بكاءاً	١	٢٨
أن يتوزعوا	أن يوزعوا	٥	١٤٥	طلب من تشاناً	طلب من	١٨	٢٨
صحيح	صحيحاً	١٠	١٥٣	رداء	رداءاً	١٩	٣٠
وجدال	وجداو	٣	١٦٢	يفضل أحدهما	يفضل الآخر	١٠	٤٣
واختارت	واختاوت	١٢	١٦٦	قضاء	قضاءاً	٧	٤٤

الفهرست

ت - ن	تصدير
٣ - ٥	مقدمة
٧ - ٢٤	الفصل الأول : مولد جوتاما ونشأته .
٢٥ - ٣٥	الفصل الثاني : حجرة القصر .
٣٦ - ٥٣	الفصل الثالث : البحث عن السعادة .
٥٤ - ٦٨	الفصل الرابع : طريق الخلاص .
٦٩ - ١٠٥	الفصل الخامس : بوذا ينشر دعوته .
١٠٦ - ١٣١	الفصل السادس : نظم جماعة بوذا
١٣٢ - ١٤١	الفصل السابع : الحياة اليومية لأعضاء الجماعة
١٤٢ - ١٥٤	الفصل الثامن : أيام بوذا الأخيرة .
١٥٥ - ١٧٩	الفصل التاسع : الجماعة بعد موت بوذا .
١٨٠ - ١٨٢	: المراجع
١٨٤	: الفهرس

* قصة بوذا : بحث علمي يعرض حياة بوذا مستمدة من المصادر الأولى.

* قصة بوذا : قصة أمير مل حياة القصور وسئم الترف والراحة واللهم

فهبجر القصر واعتزل الحياة بحثا عن السعادة الحقة .

* قصة بوذا : حياة زاهد ضحى بالثروة و الجاه والسلطان في سبيل

الخلاص من الآلام، والنجاة من المرض والشيخوخة والموت .

* قصة بوذا : سيرة حكيم وضع ديننا خلقيا بدون إله ولا شعائر ومعابد

* قصة بوذا : كتاب عن ناسك رسم طريقا صوفيا ليس فيه مكان

لتعذيب الجسد

* قصة بوذا : دراسة عن جهاد بطل من أبطال الإنسانية في عالم الحب

والخير والأخاء والمساواة

* قصة بوذا : مؤلف عن صاحب عقيدة تنكر له مواطنوه فقدسه أكثر من

نصف بليون نسمة في سيلان وبورما وسيام وكمبوديا والصين

والتبت وكوريا واليابان

كتب تحت الطبع للمؤلف :

١ - فلسفة تاجور

٢ - حول الفكر الإسلامي

ملتزم التوزيع مؤسسة المطبوعات الحديثة

البنار المصرية للطباعة

dx.
309

5z



0522200